الجامعة الإسلامية ـــ غزة
عمادة الدراســـات العليا
كليـــــــة الشـــــريعة
قسم الفقـــه المقـــارن

الخداع في الحرب

إعداد الطالب
خالد محمد عطوة زعرب

إشراف الدكتور

د. يونس الأسطل

بحث لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الفقه المقارن

١٤٢٦هـــ ـــ ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

{ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ } سورة الحشر الآية ٢ .

الإهداء

ـــ إلى الشهداء والجرحى والمصابين .

ـــ إلى الأسرى والمعتقلين القابعين في سجون الاحتلال .

ـــ إلى المجاهدين الذين يمتطون ذروة سنام الإسلام .

ـــ إلى المرابطين فوق هذه الأرض الطيبة المباركة .

أقدم هذا الجهد .

والله العلي القدير أسأل أن ينفع به الإسلام والمسلمين ، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

أولاً : المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

إن الحرب ملازمة للإنسان منذ أن دب الخلاف بين ابني آدم قابيل وهابيل ، حتى بدت كأنها أمر طَبَعِيٌّ في البشر ، ولذلك فقد تساءل الملائكة عند استخلاف آدم قائلين : { **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ..** } (١) .

والسؤال هنا منهم سؤال استعلام عن الحكمة في ذلك ، فبين لهم سبحانه وتعالى أن ذرية آدم كما فيها من يفسد في الأرض ، ففيها الأنبياء والرسل والصديقون و الشهداء والصالحون .

فالحرب ظاهرة اجتماعية يمكن تحاشيها ، وكان ذلك واضحا من خلال الرسالات السماوية التي أفلحت في غرس بذور الخير ، واقتلاع أشواك الشر من النفوس .

ثم إن الحرب بغيضة في ذاتها ؛ لما يكون فيها من إزهاق النفوس والتدمير ، وان الشرائع لم تأت بشيء يصادم الطبائع ، حيث يقول سبحانه وتعالى : {**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** } (٢) ، فلو كان القتال أمراً طبيعياً في النفوس لما قال القرآن : { **وهو كره لكم** } .

وإنما شرع الجهاد في سبيل الله لأنه أمر حسن لغيره ، وهو إعلاء كلمة الله تعالى ، وحماية الدين الحق ، و دفع العدوان ، و منع الفساد .

بينما الحرب عند الكفار تلجأ إليها الدولة بمحض تقديرها ، وفي سبيل نفعها الذاتي القائم على الهوى ، وحب التسلط ، وتدعيم الاقتصاد ، أي سعيا وراء تحقيق هدف اقتصادي أو سياسي ، ومنه رد الأمة الإسلامية عن دينها ، كما في قوله تعالى : { **وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ** } (٣) .

إن هدف أي دولة هو أن تحصل على النصر بأقل الخسائر ، وفي أقصر وقت ، وبخاصة بعد التفوق العلمي الرهيب والمرعب في تطوير الأسلحة ، ووسائل التدمير ، وفي شكل الحرب ، وفنون القتال .

فإذا كان هذا هو هدف الدول المغترة بقوتها ـــ فمن باب أولى ـــ أن يكون هدفاً للدولة المستضعفة ، حتى لا تستنزف مواردها بالحروب .

---

(١) سورة البقرة جزء الآية ٣٠ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٦ .

(٣) سورة البقرة جزء الآية ٢١٧ .

ويزداد الأمر خطورة عندما تتصدى المقاومة للاحتلال المتفوق عليها مادياً ، كما هو الحال عندنا في فلسطين ، فهاهنا يصبح الحصول على النصر ، وبأقل الخسائر ، قضية مصير ، ومسألة حياة أو موت، ولا بد أن توضع على قمة الأهداف الضرورية ، وأن تسخر كل الطاقات المادية والمعنوية لتحقيقه .

ولعل هذا هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم في إدارته للمعارك ؛ حيث استغل كل سلاح الى أقصى حد ممكن ، فيما رواه حمزة بن أبي أسيد عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **" إنْ دنا القومُ منكم فَانْضَحوهم بالنِّبالِ ، ولا تَسُلُّوا السيوفَ حتى يَغْشَوْكُم "** (١) ، مع الاقتصاد الشديد في الذخيرة ؛ حيث يقول : **" وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُم "** (٢) .

وقد سار المسلمون على هذا النهج بعد ذلك فكان إذا زحف العدو بعد ذلك أمهله رماة المسلمين حتى يكون في متناول السهام ، ثم أمطروه بوابل منها و هم جاثون جماعات ؛ بحيث تخرج سهامهم مجتمعة كأنها صادرة عن قوس واحدة .

وإن من المبادئ الحديثة في الدفاع " كبت النيران " إلى اللحظة التي يصبح فيها العدو في المدى المؤثر لهذه الأسلحة ، فالبندقية المستخدمة في الجيوش حديثا يصل مداها إلى ألف ياردة على الأقل ، ولكن أصول الدفاع تقضي بألا تطلق النيران إلا إذا وصل العدو إلى مسافة مائتي ياردة ، وإن على المدافعين كبت نيرانهم حتى يصل العدو إلى هذا المدى فتكون كل رصاصة برجل ؛ مما يؤدي إلى اقتصاد كبير في استهلاك الذخيرة .

ثم إن مواجهة العدو بوابل شديد من النيران المصوبة جيداً من مسافة قريبة ، يكون لها اثر مروع في روحه المعنوية ، وتعظم نسبة الخسائر فيه ، وإن عشرة رجال يسقطون معا في ميدان المعركة ، يجبرون فوجا كبيراً على التراجع بصورة مؤكدة أكثر من خمسين جريحاً يسقطون تدريجياً في أماكن مختلفة ، وهذا أفضل بالطبع من الرمي من مسافات بعيدة يطيش معها رصاص المدافعين ، ويذهب أكثره في الهواء ، فضلا عن أن ذلك يكشف للعدو مواقع المدافعين مبكرا (٣) .

ولعل هذا الهدف متوفر بصورة أكبر في وسائل الخداع والحيل المستخدمة في الحرب بما تؤدي إليه من سرعة النصر ، وقلة الخسائر ، و الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : **" الحرب خدعة "** (٤) . معناه أن النصر يقع سريعاً بخدعة واحدة ، والواجب الحذر من أن نؤخذ ببعضها على غفلة منا .

---

(١)سنن أبي داو ود ــ كتاب الجهاد ــ باب سل السيوف عند اللقاء .. رقم ٢٦٦٤ .

(٢) سنن أبي داو ود ــ كتاب الجهاد ــ باب في الصفوف .. رقم ٢٦٦٣ ، مسند الإمام احمد ٣/٤٩٨ رقم ١٦١٠٤ .

(٣)المدخل إلى العقيدة الإسلامية ــ محمد محفوظ ص١٢١ .

(٤) صحيح البخاري ٥٦ ــ كتاب الجهاد ١٥٧ ــ باب الحرب خدعة رقم ٣٠٣٠ ، صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير (٥) باب جواز الخداع في الحرب (١٨) [٤٩] .

ثانياً : أهمية الموضوع

تكمن أهمية هذا الموضوع في أنه وسيلة لكسب النصر ، والإسراع في إنهاء القتال ؛ بغرض الاقتصاد في الخسائر والجهود .

وإن الأصل في سلوك أمتنا أن يقوم على الوضوح والصراحة والصدق ، ولكن هذه القيم الرفيعة لا يحسن التمسك بها أثناء الحرب مع العدو إذا كان من شأنها أن تسبب الضرر لنا ، وإن الشأن في الحرب المشروعة أنه يباح فيها ما لا يباح خارجها .

وإن من مقاصد الشريعة المحافظة على المجتمع المسلم ، ولأن الكفار لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمة، ولا يدخرون وسعاً في القضاء علينا نهائياً ، واستئصال شأفتنا .

ثالثاً : سبب اختيار الموضوع

تعود أبرز الأسباب لاختيار هذا الموضوع إلى البنود الأربعة التالية :

١ــ إن سبب الكتابة في هذا الموضوع هو ما يواجهه الإنسان الفلسطيني من الذل والإهانة والقهر، والقتل والهدم والتشريد ، والحصار والتجويع بدون تمييز بين صغير وكبير ، رجل أو امرأة ، صحيح أو سقيم ، على أيدي العدو الصهيوني صباح مساء .

فعسى أن يكون في بعض هذه الوسائل ما يفيد في مقاومة هذا العدو المتغطرس الذي يتفوق علينا في العدد والعدد ، انطلاقا من قوله تعالى : { **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ ..**} (١) .

حيث لا نألو جهداً ، ولا ندخر وسعاً ، في استخدام الوسائل التي ترد عنا كيدهم ، وقديماً قيل : (**رُبَّ حِيلَةٍ أَنْفَعُ من قبيلة**) (٢) .

ولا نحقر أنفسنا ؛ لأن الله تعالى يقول : {**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** } (٣) .

٢ــ إن الاعتماد على الحيلة والخداع يوفر الكثير من النفوس والأموال والأوقات والجهود ؛ لأنه غالباً ما يختصر المعركة ، ويجعلنا ننتزع الغلبة بأقل الخسائر، فصار الواجب يقتضي تتبع وجوه الخداع المختلفة ؛ حتى تكون بين أيدي إخواننا المقاومين أو المجاهدين .

٣ــ إن اللجوء إلى الخداع قد يدفع إلى استباحة بعض المحذورات ، كالجندي المجهول الذي يخترق صفوف الأعداء ، ويجد نفسه وجها لوجه أمام الموبقات ؛ كمعاقرة الخمر ، ومواقعة المومسات، فوجب

---

(١) سورة الأنفال جزء الآية ٦٠ .

(٢) موسوعة أمثال العرب ــ إعداد د. إميل بديع يعقوب ٧٨/٤ .

(٣) سورة البقرة جزء الآية ٢٤٩ .

أن يعرف حدود التقية في خداع شَرِّ البَرِيَّة ، حتى لا يقع في سخط الله ، أو ينقلب جاسوساً علينا فنخسره ، وقد نخسر الحرب كذلك ، فجاءت هذه الرسالة مبينة حدود المأذون فيه من المنهي عنه من وسائل الخداع ؛ حتى لا يقع المجاهد في سخط الله ، أو ينقلب جاسوساً علينا ، فنخسره ، وقد نخسر الحرب كذلك .

٤ ــ ولما كان مطلوباً منا أن نحمل هذا الدين دعوة وجهاداً إلى العالمين ، فانه ينتظر الصحوة الإسلامية اليوم جهاد طويل مرير ، فوجب اللجوء إلى الحيل ؛ حتى نتمكن من الوصول بهذه الرحمة والنعمة إلى المشارق والمغارب ، والى كل بيت مدر ووبر ، ولذلك تحتم أن نلم بوجوه الخداع المشروعة، حتى نتمكن من القيام بهذا الواجب الثقيل في زمن غير طويل بعون الله العلي الجليل .

رابعاً : الجهود السابقة

بعد البحث والمطالعة في الكثير من الكتب القديمة ، وبخاصة في أبواب الجهاد أو المغازي والسير ، لم أجد ــ على حد علمي ــ ما يتعلق بهذا الموضوع ، إلا ما ذكر من حديث النبي صلى الله عليه وسلم : " **الحرب خدعة** " ، والاقتصار على النذر اليسير من بعض تمويهات النبي صلى الله عليه وسلم أثناء الهجرة المباركة .

وأما الكتب الحديثة فبعد الاطلاع على كثير منها لم أجد من تطرق لهذا الموضوع ؛ إلا عدد محدود، ومن ذلك :

١ــ الدكتور محمد خير هيكل ، في رسالته (**الجهاد والقتال في السياسة الشرعية**) ، ولم يتجاوز ما كتبه سبع صفحات ، مع وجود نتف منثورة في ثنايا الكتاب ومباحثه .

٢ــ أيضا كتاب (الدهاء في الحرب) للعماد حسن توركماني ؛ حيث تحدث فيه عن أهمية دهاء القادة في تحقيق الانتصارات على خصومهم ، وأن الدهاء سيبقى عنصراً أساسياً مهماً في تحقيق المفاجأة، وأن العقل البشري سيظل له الدور الأساسي في ابتداع الحلول الخلاقة لخداع العدو ، مهما تطورت معدات القتال .

٣ــ أيضا الدكتور وهبة الزحيلي في كتابيه (**آثار الحرب** ، **والعلاقات الدولية** .. وغيرهما) .

٤ــ كذلك الأستاذ منير محمد الغضبان في كتابه (**المنهج الحركي للسيرة النبوية**) أشار إلى الخداع والحيل في مقتل بعض الأشخاص الذين أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دماءهم .. إلى غير ذلك.

أضف إلى ذلك أنني بحثت في المكتبة وفي مجموعة الملك فيصل رحمه الله على شبكة الانتر نت عن بحث بهذا العنوان فلم أجد .

٥ـــ كذلك بخصوص (الحرب النفسية) ، والتي لها علاقة ببعض مباحث الموضوع ، قد كتب فيه العديد من المعاصرين ، وبشكل مقتضب ومكرر .. ، إلا أن الدكتور أحمد نوفل قد امتاز بالاستفاضة فيها في كتابه (**الحرب النفسية من منظور إسلامي**) .

٦ـــ وكذلك الدكتور محمد منير حجاب في كتابه (**الدعاية السياسية وتطبيقاتها قديماً وحديثاً**).

خامساً : منهج البحث

أولاً : جمع المادة العلمية من الكتب المعتمدة ؛ ككتب تفسير القرآن الكريم ، وكتب الحديث الشريف وشروحه ، وكتب الفقه القديمة ، ثم الاطلاع في الكتب الحديثة على ما يخص موضوع هذا البحث ؛ للإفادة من آراء أصحابها ، وحتى يكون الموضوع أكثر شمولا .

ثانياً : توثيق المعلومات التي أنقلها وفقا للأمانة العلمية ؛ وذلك بذكر اسم الكتاب ، ثم مؤلفه ، ثم الجزء والصفحة في الحاشية ، مكتفيا بتوثيق المصدر كاملا في قائمة المراجع ، وقد أنقلها بتصرف عند الحاجة للاختصار .

ثالثاً : عزو الآيات القرآنية ، وكذلك تخريج الأحاديث النبوية ، وبيان مظانها .

رابعاً : الترجمة للأعلام المغمورة من أشخاص وأماكن ، وتبيين معاني الكلمات المبهمة التي وردت في الرسالة .

سادساً : خطة البحث

تتكون هذه الخطة من فصل تمهيدي ، وأربعة فصول ، وخاتمة على النحو التالي :

الفصل التمهيدي

مفهوم الحرب والجهاد وأنواعهما وأسبابهما ووسائلهما

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : معنى كل من الحرب والجهاد والفرق بينهما .

المبحث الثاني : أسباب الجهاد والحرب في الدولة الإسلامية و الدول الأخرى .

المبحث الثالث : أنواع كل من الحرب والجهاد .

المبحث الرابع : وسائل الحرب والجهاد .

الفصل الأول

مفهوم الخدعة وحكمها

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الخدعة .

المبحث الثاني : الألفاظ ذات الصلة بمفهوم الخدعة .

المبحث الثالث : أدلة مشروعية الخدعة .

الفصل الثاني

شروط الخدعة

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : وجود حالة الحرب .

المبحث الثاني : أن تكون الخدعة لها فائدة مرجوة .

المبحث الثالث : أن لا تتضمن الخدعة تأمين العدو .

المبحث الرابع : أن لا تؤدي الخدعة إلى ارتكاب محظور .

الفصل الثالث

أهداف الخدعة

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : التغلب على العدو في الحرب .

المبحث الثاني : تقليل الخسائر في صفوف الجند .

المبحث الثالث : الوقوف على قوة العدو ن ومعرفة خططهم وأسرارهم .

المبحث الرابع : تضليل العدو .

المبحث الخامس : إضعاف الروح المعنوية للعدو (الحرب النفسية) .

الفصل الرابع

من صور الخداع

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : الكمائن .

المبحث الثاني : التظاهر بالتسليم .

المبحث الثالث : ارتداء أزياء العدو وحمل شاراته .

المبحث الرابع : العميل المزدوج .

المبحث الخامس : محاولة تشتيت العدو وتفتيته .

المبحث السادس : من وسائل الخداع المستحدثة :

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : هياكل الطائرات والدبابات والمدافع والطرود المتفجرة .

المطلب الثاني : الحصون ذات الأبواب المموهة .

المطلب الثالث : بيع السلاح الفاسد للعدو .

المطلب الرابع : المكر الإعلامي .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات .

الفهارس العامة .

شكر وتقدير

انطلاقا من قول الله سبحانه وتعالى : **{ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ }** (١) .

ومن رواية أبي هريرة رضي الله عنه كما ورد في سنن أبي داوود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **" من لا يشكر الناس لا يشكر الله "** (٢) .

واعترافاً بالفضل لأهله ؛ فإنني أتقدم ـــ بعد حمد الله عز وجل والثناء عليه بما هو أهله ـــ بالشكر الجزيل لأستاذي الفاضل فضيلة الدكتور : **يونس محيي الدين الأسطل** على تفضله بقبول الإشراف على هذه الرسالة ، وكان دائماً صادق الوعد وتلك الصفة التي مدح الله بها نبيه إسماعيل عليه السلام ، فقد أفدت من كثيراً ، وكان لإرشاداته وتوجيهاته ونصائحه الأثر الكبير في إتمام هذه الرسالة ، وكان كثيراً ما يقابل تقصيري بحلمه وصفحه ، وقد أتحفني بتدقيقه وتصحيحه ، حتى انتهى بحثي إلى الصورة التي وصل إليها ، فجزاه الله عني خير الجزاء ، وأسال الله العلي القدير ألا ينقلنا وإياه إلى جواره حتى يقر أعيننا بهلاك اليهود وأعوانهم ، وهي دعوة سعد بن معاذ رضي الله عنه .

كما وأشكر شكراً كثيراً وأقدر تقديراً كبيراً ، أستاذيَّ الفاضلين :

فضيلة الدكتور : **إسماعيل الأسطل .**

وفضيلة الدكتور . **نعيم المصري .**

اللذيْن تكرما بقبول مناقشة هذا البحث ؛ لما بذلاه من جهد مثمر في نقده وتنقيحه ، وفي تصويب أخطائي ، وإقالة عثراتي ، فأسال الله تعالى أن يبارك في جهدهما ، ويحسن ثوابهما .

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى جميع الأساتذة الأفاضل في الجامعة الإسلامية ، وبخاصة في كلية الشريعة ؛ لما لهم من فضل كبير علي وعلى طلبة العلم ، بدءا بفضيلة الدكتور : **أحمد شويدح** عميد الكلية ، ومروراً بمجلس الكلية ، وانتهاءاً بجميع الأساتذة الأجلاء .

كما وأشكر كل من أعانني على هذا الجهد من قريب أو بعيد .

جزى الله الجميع خير الجزاء ، وحمى الله جامعتنا الإسلامية من كل سوء ، وجعلها ذخراً للإسلام والعالمين .

---

(٢) سورة النمل جزء الآية ٤٠ .

(٢) سنن أبي داو ود كتاب الأدب باب شكر المعروف رقم ٤٨١١ .

الفصل التمهيدي

مفهوم الحرب والجهاد وأنواعهما وأسبابهما ووسائلهما

إن المتتبع لتاريخ البشرية منذ أن دبَّ الإنسان على هذه الأرض ،لا يكاد يجد فترة تخلو من الحروب أو النـــزاعات بين الدول والأمم والشعوب؛ بل وربما بين أفراد الأمة الواحدة أو القبيلـــة الواحـــدة ، بغضِّ النظر عن كون أحد الطرفين على حق ، والآخر على باطل ، أو كون الاثنين على باطل.

وإن هذه هي سنة الحياة ؛ حيث ورد ذلك في العديد من الآيات الكريمة ، ومنها :

١ــ قوله تعالى :{ **وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُـــسْتَقَرٌّ وَمَتَـــاعٌ إِلَـــى حِينٍ**}(١)

أي أن العداوة متأصلة في هذه الأرض منذ بداية الخليقة بين الخير والشر ، أو الحق والباطل.

٢ــ قوله تعالى { **وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ** }(٢)

أي لولا أن يدفع الله شر الأشرار بجهاد الأخيار لفسدت الحياة (٣)

٣ــ قوله تعالى :{ **وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**}(٤)

أي أن الاختلاف بين الناس لا يزال قائماً في أديانهم ومعتقـــداتهم ومللـــهم ونحلـــهم ومذاهبـــهم وآرائهم(٥) .

وقد قام هذا الفصل على بيان مفهوم كل من الحرب والجهاد ، والألفـــاظ ذات الـــصلة بهمـــا ، والأسباب التي تؤدى إلى إيقاد نارهما ، وأنواع كل منهما ، ووسائلهما ، في المباحث الأربعة التالية :-

---

(١)سورة البقرة جزء من الآية ٣٦.

(٢)سورة البقرة جزء من الآية ٢٥١.

(٣)صفوة التفاسير محمد على الصابوني ١٥٩/١.

(٤)سورة هود الآية ١١٨.

(٥)تفسير القران العظيم ــ ابن كثير ٤٤٦/٢ .

المبحث الأول

معنى كل من الحرب والجهاد والفرق بينهما

استدعى هذا المبحث عقد ثلاثة مطالب ؛ الأول منها يتناول معنى الحرب لغة واصطلاحاً ، وأما الثاني فيتناول معنى الجهاد لغة واصطلاحاً ، ويختص المطلب الثالث بالألفاظ ذات الصلة بالحرب والجهاد وذلك على النحو التالي :-

المطلب الأول

معنى الحرب

أتناول في هذا المطلب معنى الحرب في كل من اللغة ، والاصطلاح في كل من الفرعين التاليين :

الفرع الأول

معنى الحرب في اللغة

وردت كلمة الحرب عند العرب لعدة معانٍ ، أشهرها خمسة :

١ــ نقيض السلم ، وهي لفظ مؤنث ،وتصغيرها حُرَيْبٌ بغير هاء.

٢ــ الشدة والشجاعة:يقال:رجل حَرْبٌ ومِحْرَبٌ،ومحراب:شديد الحرب شجاع

٣ــ العداوة: يقال :أنا حربٌ لمن حاربني : أي عَدُوٌّ ، وقوم حرب كذلك.

٤ــ إحداد السيوف : يقال : حَرّبَ السنان : أي أحدَّها .

٥ــ نهب المال : يقال : الحَرَب بفتحتين : أي نَهْبُ مال الإنسان ، وتركه لاشيء له.

وكلها معانٍ ضرورية للقتال ، فإن العداوة تدفع إلى إنهاء حالة السلم ، وإعداد العدة بإحداد السلاح ، والشدة في القتال ، ونهب الأموال (١) .

الفرع الثاني

معنى الحرب في الاصطلاح

هي المنازلة والمقاتلة (٢) ، أو اختلاف بين قومين يفصل بقوة السلاح (٣) ، أو هي ظاهرة استخدام العنف والإكراه كوسيلة لحماية مصالح أو لتوسيع نفوذ أو لحسم خلاف حول مصالح أو مطالب متعارضة بين جماعتين من البشر (٤) .

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١/ ٣٠١ ، معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٤٨ .

(٢) مفردات ألفاظ القران ــ الراغب الأصفهاني ص٢٢٥

(٣) محيط المحيط ــ بطرس البستاني ص١٥٨ .

(٤) موسوعة السياسة ــ د. عبد الوهاب الكيالي ورفاقه ٢/ ١٧٠ .

المطلب الثاني

معنى الجهاد

أتناول في هذا المطلب معنى الجهاد في كل من اللغة ، والاصطلاح ، في الفرعين التاليين :

الفرع الأول

معنى الجهاد في اللغة

وردت مادة جَهدَ عند العرب لعدة معانٍ، أشهرها خمسة :

١ـــ الجُهْدُ بفتح الجيم وضمها : أي الطاقة ،وقُرِئ بهما في قوله تعالى :

{وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ}(١) .

أي لايجدون إلا مالاً قليلاً يتصدقون به في دعم القتال ، وهو أقصى طاقتهم ؛ بدليل صدر الآية:{ **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ**} .

٢ـــ الجَهْدُ بالفتح المشقة :يقال جهد دابته أجهدها إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها .

٣ـــ جَهَدَ الرجل في كذا :أي جدّ فيه وبالغ .

٤ـــ الاجتهاد والتجاهد :أي بذل الوسع والمجهود (٢) .

٥ـــ جاهد : أي في سبيل الله مجاهدةً وجهاداً .

وكلها معانٍ ضرورية للجهاد في سبيل الله ، فالمجاهد في سبيل الله يحتاج إلى الطاقة وبذل الوسع والمجهود ، وتحمل المشاق ، والجد والمبالغة في ذلك ؛ ليتمكن من صد الأعداء ، وإعلاء كلمة الله تعالى.

وبناءاً على هذه المعاني عرَّفه الدكتور محمد خير هيكل بأنه:

" استفراغ الوسع في المدافعة بين طرفين ولو تقديراً "(٣) .

إن هذا الوسع المبذول ، قد يكون فعلاً مادياً حقيقة ، إيجابياً بسلاح ، أو بغير سلاح ، بمال أو بغير مال ، وقد يكون مجازاً بمجاهدة الشيطان ، أو عدم طاعة والديه في الكفر ، كما في قوله تعالى :

{وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا }(٤) .

أي إن بذلا جهدهما ليحملاك على الكفر والشرك بالله فلا تطعهما ، ولكن أحسن إليهما من أجل

---

(١)سورة التوبة جزء الآية ٧٩ .

(٢)مختار الصحاح ـــ عبد القادر الرازي ص١١٤ .

(٣)الجهاد والقتال ـــ محمد خير هيكل ٣٩/١ .

(٤)سورة لقمان جزء الآية ١٥ .

المتاعب التي تحمَّلاها في تربيتك صغيراً ؛ حتى لا تكون قد أنكرت الجميل (١) .

وذكر الراغب الأصفهاني أن الجهاد ثلاثة أضرب(٢) مجاهدة العدو الظاهر ، ومجاهدة الشيطان ، ومجاهدة النفس ، وأن ثلاثتها تدخل في الآيات الثلاث التالية:

١ـ {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ } (٣) .

٢ـ{ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ } (٤) .

٣ـ{وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ }(٥) .

الفرع الثاني

معنى الجهاد في الاصطلاح

نقل الشرع لفظ الجهاد من معناه اللغوي العام إلى معنى خاص هو : الدعاء إلى الدين الحق وقتال من يقف في طريقه ، قال ابن عابدين في تعريفه :

" هو بذل الوسع في القتال في سبيل الله مباشرة ، أو معاونة بمال ، أو رأي ، أو تكثير سوادٍ ، أو غير ذلك " (٦) .

وهذا المعنى الخاص للجهاد إنما كان في المدينة ، أما في مكة فلم يكن تشريع الجهاد قد أنزل بعد ؛ لأن الجهاد لم يشرع إلا في المدينة(٧) .

فإذا أطلق لفظ الجهاد في النصوص الشرعية فإنه يدل على القتال في سبيل الله ؛ أي المعنى الشرعي والاصطلاحي ، أما المعنى اللغوي العام فإنه قد يدل عليه بقرينة لفظية ، أو حالية (٨) ، و إن مجرد استخدام القوة لا يُعَدُّ حرباً ما لم يكن مقروناً بهذا الهدف السياسي (٩) .

(١)صفوة التفاسير ـ محمد الصابوني ٤٩٢/٢ .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ـ الراغب الأصفهاني ص٥٦٠ .

(٣) سورة الانفال جزء الآية ٧٢ .

(٤) سورة الحج جزء الآية ٧٨ .

(٥) سورة العنكبوت جزء الآية ٦ .

(٦)حاشية ابن عابدين ١٢١/٤ .

(٧)الجهاد والقتال ـ محمد خير هيكل ٤٠/١ .

(٨) نفس المرجع ٤٦/١ .

(٩) آثار الحرب ـ د. وهبة الزحيلي ص٣٧ .

المطلب الثالث

الألفاظ ذات الصلة بالحرب والجهاد

إن هناك بعض الألفاظ التي لها صلة بمفهوم الحرب والجهاد ، أحببت أن أنوه إليها ؛ لتتَّضح الصورة حول مفهوم الجهاد ، ومن هذه الألفاظ : القتال ، الغزو ، السرية ، الرباط .

وقد اقتصرت في بعضها على التعريف اللغوي ؛ لأنه ليس له معنى اصطلاحي ، فيكون المعنى اللغوي هو نفسه المتعارف عليه اصطلاحاً .

أولاً : القتال .

إن لفظة القتال مشتقة من القتل ، وقد ورد القتل في لسان العرب لعدة معانٍ ، أبرزها أربعة :

١ــ **الموت** : تقول : قتله : أي أماته ، فهو قاتل ، جمعه قاتلون وقَتَلَةً وقُتَّال .

٢ــ **الانتقام** : تقول : قتله بأخيه : أي قتله منتقماً لأخيه .

٣ــ **التعريض للقتل** : تقول : أَقْتَلَ الرجلَ : عرّضه للقتل ، واقتتله العشق والجن ولا يقال ذلك في غيرهما (١) .

٤ــ **سبب القتل** : كما في المثل : مقتل الرجل بين فكيه ؛ أي سبب قتله بين لحييه ، وهو لسانه (٢) .

أما القتال فهو لفظ بمعنى المحاربة والمعاداة : تقول : قاتل قتالاً و قِيْتَالاً ومقاتلة ، وقاتله : حاربه وعاداه . تَقَتَّلَ القوم، وتقاتلوا واقْتَتَلُوا : تحاربوا ، وقتل بعضهم بعضاً .

وكل المعاني السالفة من مستلزَمات القتال ، فالمُقَاتِلة : وهم الذين يلون القتال ؛ قد تختلف أسباب تقاتلهم ، فتكون انتقاماً أو محاربة ومعاداة ، ثم إنه قد ينشأ عن القتال التعرض للقتل أو الموت .

فهذه المعاني المذكورة في لفظي (القتل والقتال) هي السبب المباشر لنشوب الحرب ؛ فعندما يوجد قتيل في مكان ما ، قد تثور ثائرة الثأر وحب الانتقام ، وتنشأ العداوة والبغضاء ، ثم المواجهة والتعرض للحرب والقتال .

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن ــ الراغب الأصفهاني ص٦٥٦ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ١١/ ٦٥١ وما بعدها .

ثانياً : الغزو

ورد لفظ (الغزو) في اللغة العربية لعدة معان ؛ منها :

١ــ الإرادة والطلب : تقول غزا الشيء غزواً : أيْ أراده وطلبه ، وغزوت فلاناً أغزوه غزواً بنفس المعنى .

٢ــ المقصد : مغزى الكلام أي : مقصده ، والغزو : القصد إلى العدو .

٣ــ السير إلى قتال العدو وانتهابه : غزاهم غزواً وَغَزَوَاناً ، أي سار إليهم لقتالهم واستلاب أموالهم .

٤ــ صفة لجماعة الغزاة : تقول : الغازية : تأنيث الغازي ، وأخفق الغازي : إذا لم يغنم ، ولم يظفر ، وأغزت المرأة ، فهي مغزية : إذا غزا بعلها (١) ، وَالغُزَّى جمع غازٍ : على بناء الرُّكَّعِ السُّجَّد، قال تعالى :{ **أو كانوا غُزَّىً** } (٢) ، وفى الحديث الشريف :عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **ما من غازية تغزو في سبيل الله** ، **فيصيبوا غنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم** (٣) ، **فإن لم يصيبوا غنيمة ، تَمَّ لهم أجرهم** "(٤) ؛ أراد بذلك سرية أو جيشاً .

٥ ــ التجهيز للغزو : تقول : أغزاه : أي جَهَّزه للغزو (٥).

وكل هذه المعاني تحمل معنى الحرب ،؛ فالغازي يريد السير إلى قتال العدو ،وهو يقصده لانتهابه ومحاربته ، وهو يتجهز قبل الغزو للحرب والقتال ، كما أن هذا هو معنى كلمة (غُزَّىً) في الآية الكريمة السابقة ، ومعنى كلمة (غازية) في الحديث الشريف الآنف الذكر ؛ إلا أن الغزو في الإسلام ليس لانتهاب الأموال كما يفعل الطامعون ، بل لكسر شوكة العدو ، وأمن شرهم ، وفتح الطريق أمام الدعوة لاستنقاذهم من النار ، ومن شقاء هذه الدار .

ثالثاً: السَّرِيّة

يطلق لفظ (السَّرِيَّة) في اللغة العربية على عدة معان ؛ أشهرها ثلاثة :

١ ــ القطعة من الجيش : ما بين خمسة أنفس إلى ثلاثمائة تخرج منه ، وتغير وترجع إليه .

---

(١)لسان العرب لابن منظور ١٥/ ١٤١ .

(٢) سورة آل عمران جزء الآية ١٥٦ .

(٣)إن الغزاة إذا سلموا أو غنموا يكون أجرهم أقل من أجر من لم يسلم ، أو سلم ولم يغنم ، وإن الغنيمة هي في مقابلة جزء من أجر غزوهم ، فإذا حصلت لهم فقد تعجلوا ثلثي أجرهم المترتب على الغزو ، وتكون هذه الغنيمة من جملة الأجر .. صحيح مسلم (٣٣) كتاب الإمارة (٤٤) باب بيان قدر ثواب من غزا فغنم ومن لم يغنم .. رقم [١٥٣][١٩٠٦) .

(٤) ابن ماجة كتاب الجهاد باب (١٣) النية في القتال (٢٧٨٥) .

(٥) مختار الصحاح عبد القادر الرازى ص ٤١٧ .

٢ــ الخيل تبلغ أربعمائة ونحوها لتغير وترجع كذلك (١) .

٣ــ السير ليلاً : يقال : سرى أسرى : إذا ذهب ليلاً (٢) .

ووجه صلة هذا اللفظ (السرِّية) بالحرب : أنه من وسائل القتال وأشكاله التي تستخدمها الفرقة من الجيش ، فتسري في الليل ، وتخفي ذهابها ؛ لكي تباغت العدو أو تفاجئه أو تبيته ، فتوقع به الهزيمة بسهولة ويسر ، وتكون لها الغلبة في الحرب .

رابعاً : الرباط

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **"رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها"** (٣) .

جاء في فتح الباري : الرباط بكسر الراء وبالموحدة الخفيفة **ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين منهم** (٤) .

وقال السرخسي في السير الكبير : إن المرابطة **عبارة عن المقام في ثغر العدو لإعزاز الدين ودفع شر المشركين عن المسلمين** ، وأصل الكلمة من رباط الخيل ، قال تعالى : **{ ومن رباط الخيل }** (٥) .

فالمسلم يربط خيله حيث يسكن من الثغر ليرهب العدو به ، وكذلك يفعل عدوه ، ولهذا سمي مرابطة ؛ لأن ما كان على ميزان المفاعلة يجري بين اثنين غالباً (٦) .

وفي حاشية ابن عابدين عرف الرباط بأنه : **الإقامة في مكان ليس وراءه إسلام** (٧) .

فالرباط بمعناه العام الذي عرف في صدر الإسلام : هو تمركز المقاتل (المرابط) في مواجهة الأعداء على الخط الفاصل بين المناطق الصديقة والعدوَّة ، ومع بدء الفتوحات العربية ظهرت الثغور، أو القلاع المنتشرة على خطوط التماس بين الدولة الإسلامية والدول المجاورة ، وخاصة في النقاط الحاكمة والممرات الإجبارية ، وكانت هذه الثغور مراكز رصد وقتال أمامية ، وقاعدة انطلاق للقيام بالغزوات التي أخذت اسم الصوائف والشواتي . وغدا الرباط و المرابطة عبارة عن التمركز في هذه الثغور لمراقبة

---

(١)القاموس الفقهي ــ سعدي أبو جيب ص١٧٢ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٣١/٦ .

(٣)صحيح البخاري ٥٦ــ كتاب الجهاد ٧٢ ــ باب فضل رباط يوم في سبيل الله .. رقم ٢٨٩٢ .

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ــ ابن حجر العسقلاني ٨٥/٦ .

(٥) سورة الأنفال جزء الآية ٦٠ .

(٦) السير الكبير ــ للسرخسي ٧/١ .

(٧) حاشية ابن عابدين ١٣١/٤ .

العدو ، والصدام مع ألويته المتقدمة ، وإنذار القوات المحالفة ، وتأمينها من المفاجأة .

ثم أخذت كلمة (الرباط) معنى آخر منذ أواخر القرن الثاني الهجـــري (الثـــامن المـــيلادي) ، وأصبحت تعني الثغر ، أو المكان الذي يتم فيه الرباط بمعناه الأصلي . ورغم التشابه بين مهمتي الثغـــر والرباط ؛ فقد استخدمت كلمة الثغر في المشرق ، وكلمة الرباط في شمالي أفريقية، في حين استخدمت الكلمتان معاً في الأندلس ، وكان لكل رباط مهمتان : مقاومة الغزاة ، وإنـــذار القـــوات الـــصديقة الموجودة في العمق عن طريق إشعال النيران في أعلى المآذن عند ملاحظة تقدم العـــدو مـــن الـــبر أو البحر (١) .

---

(١) الموسوعة العسكرية ٢/ ٨٢٣ -٨٢٤ .

المبحث الثاني

أسباب الجهاد والحرب في الدولة الإسلامية والدول الأخرى

تختلف أسباب الحرب في الدولة الإسلامية عنها في الدول الأخرى ، فهو في الإسلام ـــ يعني الجهاد في سبيل الله ـــ لرد العدوان ، أو المحافظة على المجتمع المسلم ، أو إزالة الحكام الظلمة الذين يحاربون الدعوة الإسلامية ، وذلك للقضاء على الفتنة في الدين ، ولإعلاء كلمة الله ، ونشر مبادئ العدل والخير والفضيلة ، وجعل الحاكمية لله تبارك وتعالى .

فالإسلام هو الدين الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا بد منه لصلاح العالم؛ لأنه منهج الله الذي يعلم مَنْ خَلَقَ وهو اللطيف الخبير .

بينما الحرب عند الدول الأخرى تكون لأسباب كثيرة ومتشعبة وتتبع الأهواء والشهوات ؛ كالحصول على أعراض مادية تدعو إليها مصلحة الدولة التي تسعرها ، بمجرد تقديرها ، وفي سبيل نفعها الذاتي القائم على الهوى وحب التسلط وتدعيم الاقتصاد ؛ أي هي مجرد وسيلة من وسائل العنف، تلجأ إليها الدول لحسم ما يقوم بينها من منازعات أو سعياً وراء تحقيق هدف سياسي ، فمجرد استخدام القوة لا يعد حربا ما لم يكن مقرونا بهذا الهدف (١) .

وقد استدعى ذلك عقد مطلبين يتحدث الأول عن مقاصد الحرب في الدولة الإسلامية ، بينما يتكلم الثاني عن دوافعها في الدول الأخرى :

المطلب الأول

أسباب الجهاد في الدولة الإسلامية

هناك عدة أسباب للجهاد في الدولة الإسلامية ، كلها تدور حول أمرين اثنين هما : رد العدوان ، وحمل الدعوة الإسلامية ، من هذه الأسباب :

١ـــ الاعتداء على المسلمين سبب من أسباب القتال (٢) ومن أدلته قوله تعالى : { فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ..} (٣) .

٢ـــ الاعتداء على أهل الذمة كالاعتداء على المسلمين ؛ لأنهم من رعية الدولة ، وهذا موضع إجماع لأنهم في ذمتنا ومن رعيتنا .

---

(١)آثار الحرب ـــد. وهبة الزحيلي ص ٣٧ .

(٢) الجهاد والقتال ـــ محمد هيكل ١/ ٥٩٧ .

(٣) سورة البقرة جزء الآية ١٩٤ .

٣ـــ الاعتداء أو الظلم الواقع على غير المسلمين من الحلفاء الذين ليس من أهل الذمة ، كما حصل في فتح مكة رداً على إعانة قريش لحلفائها من بني بكر في عدوانهم على حلفاء المسلمين من بني خزاعة.

٤ـــ الاعتداء أو الظلم الواقع على غير المسلمين من غير أهل الذمة ومن غير الحلفاء ، منعاً للظلم والعدوان في الأرض ، وإنقاذاً للمستضعفين ، تأليفاً لقلوبهم ، بشرط ألا ينتج عن نصرهم ضرر أكـــبر يلحق بالمسلمين من أولئك المعتدين .

٥ ـــ حماية نشر الإسلام في حالة حصول الاعتداء على حملة الدعوة أو المستجيبين لها ، أو في حالة منع دعوة غير المسلمين إلى الإسلام .

٦ ـــ ضم الدول غير الإسلامية إلى الدولة الإسلامية ، وتطبيق النظام الإسلامي عليها عند القدرة على ذلك بعد دعوة تلك الدول إلى الإسلام ، أو الانضمام إلى الدولة الإسلامية ورفضها الاســتجابة لذلك .

المطلب الثاني

أسباب الحرب في الدول غير الإسلامية

ذكر الدكتور محمد خير هيكل ثلاثين سببا من أسباب الحروب في الدول غير الإسلامية ، مـــع أن بعضها قد يكون فيه شيء من التداخل ، أو العموم ، والخصوص ، أو الإجمال والتفصيل ، وقد تشمل أسباب الحروب القديمة منها والحديثة ، وربما أن هذه الأسباب تدخل تحت بندين رئيسيين ، ألا وهما : الركض وراء المنافع المادية ، وحب السيادة ، سواء كانت سيادة الأمة والشعب ، أو سيادة المبدأ .

ولكن الدكتور هيكل ذكر انه يعرضها بهذه الطريقة ؛ ليقربها للأفهام (١) ، وليبين أن هناك ترابطا كبيراً بينها ، وبين أسباب الحروب الحديثة ، و لاحاجة بي إلى سردها ، واكتفي بذكر مالا أراه مكرراً، ولا أذكر كذلك ما لم يعد قائماً بعد غلبة المصالح في العلاقات الدولية :

١ـــ الحاجة الضرورية المعاشية .

٢ـــ الطمع والاستكثار .

٣ـــ الردع والإرهاب .

٤ـــ الثأر والانتقام .

٥ ـــ نجدة المستغيث المظلوم .

٦ـــ الغيرة على الأعراض .

---

(١) الجهاد والقتال ـــ محمد هيكل ١٤/١ وما بعدها .

٧ ــ فرض السيطرة على الآخرين بالقوة .

٨ ــ الاختلاف في الدين لمجرد التعصب ، أو للدعوة إلى الحق .

٩ ــ الصراع على السلطة .

١٠ ــ الصراع على البلاد الهامة الاستراتيجية .

١١ ــ قمع الثورات في داخل البلاد ، وفي الولايات المتطرفة .

١٢ ــ إيجاد الوحدة في الشعب والدولة ، والقضاء على عوامل التجزئة .

١٣ ــ تحرير البلاد من الاحتلال الأجنبي .

١٤ ــ حماية المصالح الخارجية للبلاد .

١٥ ــ نقض المعاهدات بين الدول .

١٦ ــ الخوف من قوة الخصم في المستقبل ، وضربه قبل أن يقوى (الحرب الوقائية) .

١٧ ــ الحرب بالوكالة ، كما فعلت أمريكا في فيتنام ، (فتنمة الحرب) (١) ، وفي أفغانستان ، وتريد أن تفعل في العراق .

---

(١) فقد قام الأمريكان بتجنيد عملاء لهم وخونة من الفيتناميين أنفسهم يقومون بأداء مهماتهم وتنفيذ سياساتهم ؛ حتى تتحول الحرب بين الفيتناميين أنفسهم ، ويسلم جنودهم من القتل ؛ حتى لا يتألب الرأي العام الداخلي عليهم . وكذلك فعلوا في أفغانستان ، ويريدون أن يفعلوا في العراق . وهذا ما يسعى إليه الصهاينة عندنا في فلسطين بتوظيف السلطة لنفس الهدف ..

المبحث الثالث

أنواع كل من الجهاد والحرب

للجهاد أنواع عديدة ، أوصلها بعضهم إلى سبعة ، وللحرب أنواع كذلك بأكثر من اعتبار ، لذلك فإن هذا المبحث يقوم على مطلبين ، يتناول الأول أنواع الجهاد في سبيل الله ، بينما يخصص الثاني لأنواع الحرب .

المطلب الأول

أنواع الجهاد في سبيل الله

بناءً على الفروق بين الجهاد لغةً واصطلاحاً ، فقد تنوع الجهاد في سبيل الله ؛ ليقتصر على أحدهما أحياناً ، أو يشمل كليهما ، وقد رصدت أهم تلك الأنواع في سبعة ، كما يلي :-

١ـ قتال أهل الردة : وهم من قطع الإسلام بنيـَّةٍ ، أو قول كُفْرٍ ، أو فعل ، سواء قاله استهزاءاً ، أو عناداً ، أو اعتقاداً (١) .

وقد قاتل أبو بكر الصديق رضى الله عنه أهل الردة ، وقال :" **والله لو منعوني عَنَاقاً** (٢) **كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه** "(٣)

٢ ـ قتال أهل البغي : وهم طائفة من الناس تحققت فيهم ثلاثة شروط :

أ ـ التمرد على سلطة الدولة ، أو العمل على الإطاحة برئيس الدولة ، والامتناع عن أداء الحقوق وطاعة القوانين .

ب ـ قوة يتمتعون بها تمكنهم من السيطرة .

ج ـ الخروج بثورة مسلحة ، أو حرب أهلية ، أو قتال داخلي ، أو استخدام العنف ؛ لتحقيق الأغراض السياسية التي من أجلها حصلت الثورة (٤) .

ودليل ذلك : ما كان من شأن الخوارج مع علي رضى الله عنه (٥) ، وكذلك حديث أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمار :" **تقتلك الفئة الباغية** "(٦) .

---

(١) مغنى المحتاج .محمد الخطيب الشربيني ٤/ ١٣٤ .   (٢) عناقاً : الأنثى من المعز . لسان العرب لابن منظور ١٠ / ٢٧٤ .

(٣) تاريخ الخلفاء ـ جلال الدين السيوطي ص٨٧ ، تاريخ اليعقوبي ١٣١/٢ .

(٤) التشريع الجنائي .د. عبد القادر عودة ١/ ١٠٢ – ١٠٤ .

(٥)حيث أجبروا الإمام علي رضي الله عنه على التحكيم وحينما تم ذلك طلبوا منه الرجوع عنه بل ويعلن إسلامه .. فرق معاصرة ـ غالب عواجي ١/١٠٠ .

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/ ٣٦٥ . (٥٢) كتاب الفتن وأشرط الساعة (١/ ١٨) باب اقتراب ظهور الفتن رقم (٢٩١٦) .

٣ــ قتال المحاربين : ويسمى فعلهم (قطع الطريق أو الحرابة) ، و هو : البروز لأخذ مال ، أو لقتل، أو لإرعاب مكابرة واعتمادا على القوة مع البعد عن الغوث لبعد عن العمارة أو ضعف في أهلها، و إن كان البارز واحداً أو أنثى أو بلا سلاح ، ولا يشترط فيه إسلام . ولو دخل جمع بالليل داراً ومنعوا أهلها من الاستعانة مع قوة السلطان وحضوره فَقُطَّاع (١) ، و الأصل فيه قوله تعالى :

{إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (٢) .

و في المغني قال : هم الذين يعرضون للناس بالسلاح في الصحراء فيغصبونهم المال مجاهرة (٣) .

٤ــ القتال للدفاع عن الحرمات الخاصة : وهي : النفس والعرض والمال (القتال ضد الصيال)

والصيال لغة : هو الاستطالة والوثوب على الغير (٤) .

وشرعاً: استطالة مخصوصة ، والأصل فيه قوله تعالى : **{ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ }** (٥) ، وخبر البخاري فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **انصر أخاك ظالما أو مظلوما** " (٦) ، والصائل ظالم فيمنع من ظلمه لأن ذلك نصر(٧)، وكذلك ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "**من قتل دون ماله فهو شهيد** " (٨) .

وللشخص دفع كل صائل مسلم أو ذمي حر أو عبد ، صبي أو مجنون على نف أو طرف أو بضع أو مال وإن قل إذا كانت هذه المذكورات معصومة (٩) ، والمراد بالمعصوم هو الآمن من العدوان على النفس، أو العرض ، أو المال ، سواء كانت هذه الحرمات المعصومة لُمسلمٍ اكتسب العصمة بإسلامه ، أو كانت لذمي ، أو مستأمن اكتسب العصمة بسبب عقد الذمة والأمان (١٠).

٥ــ قتال مغتصب السلطة : وهو الذي يستولي على السلطة بالقوة .

ذكر الدكتور وهبة الزحيلي أن الكثير من الفقهاء يرون أن الإمامة تنعقد بالتغلب والقهر ؛ إذ يصير المتغلب إماماً دون مبايعة أو استخلاف من الإمام السابق ، وإنما بالاستيلاء ، وقد يكون مع التغلب

---

(١)الإقناع ــ محمد الشربيني الخطيب ٢٢١/٣ــ٢٢٢ . (٢)سورة المائدة الآية ٣٣ .

(٣)المغني ــ ابن قدامة ٣٠٣/١٠ . (٤)مختار الصحاح ــ عبد القادر الرازي ص٣٧٣ــ٣٧٤ .

(٥)سورة البقرة جزء الآية ١٩٤ . (٦)صحيح البخاري ٤٦ــ كتاب المظالم ٤ــ باب أعن أخاك .. (٢٤٤٣) .

(٧)الإقناع ــ الشربيني ٢٢٥/٣ (٨) صحيح مسلم (١)كتاب الإيمان (٦٢)باب الدليل على أن من قصد .. (١٤١).

(٩)قليوبي وعميرة ٢٠٦/٤ .

(١٠)الجهاد والقتال ــ محمد هيكل ٧٩/١ .

المبايعة أيضا فيما بعد (١) .

فقد ذكر ابن المنذر أن الذي عليه أهل العلم أن للرجل أن يدفع عن دينه ودمه وماله وعرضه ومظلمته ، إذا أريد ظلما ، بغير تفصيل ، إلا أن كل من يحفظ عنه من علماء الحديث كالمجمعين على استثناء السلطان للآثار الواردة بالأمر بالصبر على جوره ، وترك القيام عليه (٢) .

ولكني أرجح رأي الدكتور محمد خير هيكل (٣) الذي ناقش فيه أدلة الذين قالوا بجواز انعقاد الإمامة بالتغلب والقهر ودَحَضَها ، واستدل على عدم جوازها بما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **من قتل دون ماله فهو شهيد** " (٤) ، وكذلك حديث " **من قتل دون مظلمته فهو شهيد** " (٥) فهذان الحديثان عامَّان ليس فيهما استثناء لسلطان أو غير سلطان ؛ و لأن اغتصاب السلطان من المسلمين هو من أعظم المظالم ، فيشرع القتال لرد هذه المظلمة ، والمقتول من أصحاب هذا الحق في هذا القتال يعتبر شهيدا من شهداء الآخرة .

و لم يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم أن المال أغلى من النفس في الحديث الشريف ، إنما المقصود دفع المعاصي (٦) .

إن تساهل المسلمين في مقاومة مغتصب السلطة بدافع اختيار أهون الضررين واعتبار الاغتصاب طريقة تنعقد بها الإمامة للمتغلب ، جعل أصحاب الطموح ممن ضعفت التقوى في نفوسهم يتخذون من القوة العسكرية ، وقتال أصحاب الحق طريقا للوصول إلى السلطة بحجة أن على المسلمين شرعاً أن يسمعوا ويطيعوا لكل متغلب ، تَأَمَّرَ عليهم ؛ أي تسلط عليهم بقوته العسكرية رغماً عنهم ، وهكذا كثرت الحروب الأهلية بين أصحاب الطموح من أجل الوصول إلى السلطة المشروعة بزعمهم (٧) .

٦ــ قتال الغارة من أجل الظفر بمال العدو : وهو قتال الفرد المسلم أو العصبة من الأفراد المسلمين في أرض العدو ، إذا تسللوا إليها من خارجها بدون إمام ، أو كانوا من سكانها ، سواء كانت أرض العدو هذه هي أرضه في الأصل ، أو كانت أصلاً بلاداً للمسلمين ، إلا أن العدو قد احتلها ، وفرض عليها شعبه، ونظامه، وسلطانه، فصار أهلها المسلمون ما بين مُهَجَّر أو مقهور ، وصارت البلاد

---

(١)الفقه الإسلامي وأدلته ــ د. وهبة الزحيلي ٦١٦٦/٨ .

(٢) فتح الباري ــ ابن حجر العسقلاني ١٢٤/٥ .

(٣) الجهاد والقتال ــ محمد هيكل ١٦٧/١ وما بعدها .

(٤) صحيح البخاري ٤٦ ــ كتاب المظالم ٣٣ ــ باب من قاتل دون ماله .. رقم ٢٤٨٠ .

(٥) مجمع الزوائد ــ الهيثمي ٢٤٧/٦ .

(٦) الجهاد والقتال ١٨٨/١ .

(٧) نفس المرجع ٩٠/١ .

بالنسبة للمسلمين أرض حرب أو قتال ، كما في فلسطين هنا (١) .

ودليل مشروعية ذلك هو سرية حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه إلى سيف البحر في ثلاثين رجلا من المهاجرين من أجل التعرض لعير قريش القادمة من الشام على رأس سبعة أشهر من الهجرة ، ولكن ما أن استعد الطرفان للقتال حتى توسط (مجدي بن عمرو الجهنى) ، وكان حليفاً للفريقين ، فحجــز بينهما، فلم يكن قتال (٢)

٧ـــ القتال لإقامة الدولة الإسلامية وحمايتها:

ومن أدلة مشروعية ذلك :

أ ـــ الردة بالحكم بغير ما أنزل الله حيث يقول تعالى : **{ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}** (٣) .

إن المقصود من هذه الآيات إما أن يكون كفر الشرك والجحود ، وإما كفر النعمة من غير جحود، فإن كان المراد جحود حكم الله ، أو الحكم بغيره مع الإخبار بأنه حكم الله ، فهذا كفر يُخْرِج عــن الملة، وفاعله مرتد إن كان قبل ذلك مسلماً، وعلى هذا تأوله من قال عنها نزلت في بني إسرائيل وجرت فينا؛ يعنون أن من جحد منا حكم الله أو حكم بغير حكم الله ، ثم قال : إن هذا حكم الله فهو كافر، كما كفرت بنو إسرائيل حين فعلوا ذلك ، فيقاتل قتال الكفرة الفجرة .

وإن كان المراد به كفر النعمة فإن كفران النعمة قد يكون بترك الشكر عليها من غير جحود فــلا يكون فاعله خارجاً عن الملة (٤) .

ب ـــ كذلك قول عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : **"بايعنا رسول الله صــلى الله عليــه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا وعلى ألا ننازع الأمر أهله ، وعلى أن نقول الحق أينما كنا ، لانخاف في الله لومة لائم "** (٥) .

وجه الدلالة : إن السمع والطاعة لله ورسوله في العسر واليسر ، والمنشط والمكره .. بما في ذلــك الأمر بالجهاد ، والحث عليه ، يؤدى إلى إقامة شرع الله في الأرض .

---

(١) الجهاد والقتال .د. محمد خير هيكل ٢٣٣/١ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٥٩٥/١ ، زاد المعاد لابن القيم ١٦٣/٣ .

(٣) سورة المائدة الآية ٤٤ .

(٤)أحكام القران ـــ للجصاص ٤٣٩/٢ .

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلانى ٥/١٣ .

جـــ القاعدة الشرعية : **" مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب"** (١)

وجه الدلالة من هذه القاعدة :إن إقامة الدولة الإسلامية وحمايتها واجب ، وإذا كان هذا الواجب لايتم إلا بالجهاد والمقاومة لأعداء الله ؛ ففي هذه الأثناء يكون الجهاد واجباً .

المطلب الثاني

أنواع الحرب

هناك ثلاثة أنواع من الحروب ، هي :

أ ـــ **حرب دولية** : وهى التي تنشر بين دولتين أو أكثر ، تتمتعان بمستوى مدني واحد ، كالتقدم الحضاري والمستوى الفكري والتكوين الطبقي للمجتمع أو بعبارة أخرى (نوعية الحياة) ، مثال ذلك : الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) ، والثانية (١٩٣٩- ١٩٤٥) ، وحرب الخليج الأولى بين العراق وإيران ..

ب ـــ **حرب استعمارية**: وهى التي تشنها قوى كبيرة متفوقة تقنياً وعسكرياً ومتقدمة صناعياً على دولة صغيرة ، أو مجموعة دول [٢]؛ للسيطرة عليها، والإفادة من مواقعها الاستراتيجية الهامة، وإمكاناتها الاقتصادية ، وغناها بالمواد الأولية.

وقد تميز القرن التاسع عشر بصورة خاصة بكثرة الحروب الاستعمارية ، وتظهر أهمية تلك الحرب من كونها تجمع بالضرورة عدة نماذج حربية ، وتشكل المجال الأمثل لاندلاع الحرب الثورية، وتأتى بالتركيبات المتعددة الممكنة من أشكال الحروب ذات الصفات المتباينة كل التباين[٣].

ومن أمثلة هذه الحرب : الغزو البريطاني والفرنسي والإيطالي في احتلال الوطن العربي ، وتطبيق اتفاقية سايكس بيكو (٤) ، وكذلك الاحتلال الصهيونى والحرب العربية الإسرائيلية منذ عام ١٩٤٨م .

ج ـــ **حرب أهلية** : وهى الصراع المسلح الذي يقع في أراضى دولة واحدة بين فريقين داخل دولةٍ أو أمة ما ، بين مجموعة ثائرة أو متمردة وحكومة رسمية ، تسعى إحداهما إلى استلام السلطة في الدولة ،

---

(١)الوجيز في أصول الفقه عبد الكريم زيدان ص٢٩٩ .

(٢) الموسوعة العسكرية ٥١٣/١ .

(٣) نفس المرجع ٥١٤/١ .

(٤) تمت اتفاقية سايكس بيكو سنة ١٩١٦م بين بريطانيا وفرنسا على تقسيم ثروة الرجل المريض (الدولة العثمانية) وقبلت روسيا القيصرية هذه الاتفاقية إذ مُنِحَت من ثروة الرجل المريض ما أرادت ، وقسموا المنطقة العربية موضع النزاع .. موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ـــ د. أحمد شلبي ٦٧٣/٥ .

أو في قسم من إقليمها ، بينما تعمل الأخرى على الحفاظ على مكتسباتها السابقة .

وليست الحرب الأهلية حرباً بالمعنى التقليدي المعروف في القانون الدولي ، فهي انتفاضة مسلحة ، أدت إلى قيام صراع بين الثوار الذين أصبحوا جيشا ، وبين القوات النظامية للدولة ، إلا أن تطور المعارك أدى إلى سيطرة ظروف تشبه ظروف الحرب العادية ، وفى الواقع يمكن أن تتسم الحرب الأهليةبصفة الحرب العادية بمعناها التقليدي عندما يتم الاعتراف للثوار بصفة المحاربين ، ومن أمثلة هذه الحرب : الحرب الأهلية في لبنان (١) ..

(١) الحرب الأهلية اللبنانية : نشبت في ١٣ نيسان ١٩٧٥م على إثر مجزرة ارتكبها حزب الكتائب اللبنانية ضد مدنيين فلسطينيين كانوا في حافلة مارة من الضاحية الشرقية من بيروت (عين الرمانة) قتل كل ركابها . نشبت بين الأحزاب الوطنية واليسارية اللبنانية والمتحالفة مع المقاومة الفلسطينية من جهة ، وبين اليمين المسيحي اللبناني بزعامة الموارنة بيار الجميل وكميل شمعون وسليمان فرنجية ، وفى ١٩٧٦م انتصب الياس سركيس رئيسا للجمهورية خلفا لسليمان فرنجية وعقد مؤتمراً في الرياض بالمملكة العربية السعودية وانتهى بإقرار إرسال قوات ردع عربية أُوكل إلى سامي الخطيب بقيادة هذه القوات نيابة عنه ، واستمرت هذه القوات حتى الاجتياح الإسرائيلي للبنان ١٩٨٢م .. موسوعة السياسة عبد الوهاب الكيالى ٥/٤١٨ .

المبحث الرابع

وسائل الحرب والجهاد

تكون وسائل الحرب والجهاد على حسب الطاقة والوسع ، والقدرة والإمكان ،كمافي قوله تبارك وتعالى: {**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَــدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ**} (١).

إن هذه الوسائل تختلف باختلاف الزمان والمكان ، فلقد كانت في السابق هي السيوفَ والرماحَ والسهامَ والخيل ، بينما تتمثل في الوقت الحاضر في البندقيـــة والمـــدفع والدبابـــة والغواصة والطائرة والصاروخ ، والحرب الكيماوية والجرثومية والنووية ، وغير ذلك .

وكل ما يغيظ الأعداء فهو من وسائل الحرب ، حتى ولو كان حجراً يرمى ، أو كلمـــة تلقى.. كما في قوله تعالى:{ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**}(٢) ؛ حيث جعل أيَّ موقف يغيظ الأعـــداء ، وأيَّ نيـــلٍ ينقص من قوتهم عملاً صالحاً ، لا يضيع أجره عند الله ؛ لأنه من مقاصد القتال .

وكما ورد في حديث تغيير المنكر فيما رواه أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **من رأى منكم منكراً فلـــيغيره بيـــده ، فـــإن لم يـــستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان** " (٣) .

فاليد وما تستخدمه من صناعات تَتَقَوَّى بها ، واللسان وما ينبغُ فيه من فصاحةٍ وبيـــان وإقناع ، وسيلتان أساسيتان في القتال ، وقمع المنكر ، وإنْ لم توجد هاتـــان الوســـيلتان ، فيكون الإنكار بالقلب ، وهو مهم جداً ؛ لأنه أساس التغيير؛ فإن الله لا يغير ما بقوم حـــتى يغيروا ما بأنفسهم ؛ حيث يسعى بقلبه ، ويعد العدة لأن يمتلك أقوى الوسائل .

---

(١) سورة الأنفال الآية ٦٠ .

(٢) سورة التوبة جزء الآية ١٢٠ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان (٢٠) باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان [٧٨](٤٩) .

لذلك قال سبحانه وتعالى : { **مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** }(١).

حيث جعل مَنْ تظاهر بمجاراة الأعداء على ما أكره عليه لا إثم عليه ما دام قلبه مطمئناً بالإيمان ، وذلك لأنه سرعان ما يفيء إلى الرحمن بالاستغفار أولاً ، ثم بالإقلاع عن الكفر باللسان متى زالت أسباب الابتلاء والامتحان ثانياً .

كما أن هناك وسيلةً أخرى من وسائل الحرب ، وربما تستخدم الوسائل السابقة (اليد واللسان والقلب) مجتمعة أو متفرقة ، ألا وهى الخدعة ، كما ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **الحرب خدعة** " (٢) .

ذلك أن الخدعة لها فوائد كثيرة ، منها :

١ـ إنها جزء من العلم العسكري ، وهي ضرورية في المعارك ، على المستوى التكتيكي والاستراتيجي (٣) .

٢ـ إنها وسيلة لكسب النصر ، والإسراع في إنهاء القتال ، والاقتصاد في إهدار الدماء، والمعدات ، في صفوف الجند (٤) ، وهو مقصد شرعي عظيم .

٣ ـ إن استعمال الخداع مع الأعداء يغني عن الكثير من السلاح والعتاد والمساعدات من الآخرين ، وقد قيل قديما : " **رب حيلة أنفع من قبيلة** " (٥) ، و " **الاهتداء لوجه الحيلة غنيمة جليلة** " (٦) .

و الحديث عن الخدعة سنتناوله إن شاء الله تعالى بالدراسة والبحث في الفصول الأربعة التالية .

---

(١) سورة النحل الآية ١٠٦ .

(٢) سبق تخريجه ص (هـ) في المقدمة حاشية (٤) .

(٣) الجهاد والقتال ١٢٩٢/٢ .

(٤) نفس المرجع ١٢٩٤/٢ .

(٥) موسوعة أمثال العرب ـ إعداد د. إميل بديع يعقوب ٧٨/٤ .

(٦) قاموس الحكم والأمثال والأقوال المأثورة ـ سمير شيخاني ص٢٥٥ .

الفصل الأول

مفهوم الخدعة وحكمها

ورد في السنة المطهرة أن "**الحرب خدعة**" (١) ، ويؤكد هذه الحقيقة أن كلاً مـــن الفـــريقين المتحاربين يضع في حسابه عدم الثقة بأقوال خصمه ، ويضع في حسابه أن عدوه لايترك سبيلاً لمخادعته إلا سلكها ، وسلاح الخداع بالأقوال أو الأفعال أحد أسلحة الحرب الفتاكة .

فالخدعة هي المراوغة والاحتيال ، وهى جزء من العلم العسكري ، وضرورة في المعارك ، **وهى** فن التمويه والاستتار عن الحقيقة ، والقيام بأعمال تضليلية؛ لصرف العدو عن الاتجاهـــات ، والأمكنـــة ، والأعمال الأساسية (٢).

وإن الشرع الحنيف قد حرَّم الكذب والخداع ، وأجازهما في مواطن ، أصلها الحرب أذن الله فيها وفي أمثالها رفقاً بالعباد لضعفهم ، وقال الطبري : إنما يجوز في المعاريض دون حقيقة الكـــذب ؛ فإنـــه لا يحل (٣) .

وقال النووي : الظاهر إباحة حقيقة الكذب لكن الاقتصار على التعريض أفضل (٤) .

فمن الغباوة والبلاهة أن يَصْدُقَ المسلم مع الأعداء في كشف خططه العسكرية ، وأن يدلهم علـــى نقاط الضعف فيها .

وقد استدعى الحديث في هذا الفصل ثلاثة مباحث : تحدثت في الأول منها عن تعريف الخدعـــة، وفى الثاني عن الألفاظ ذات الصلة بمفهوم الخدعة ، والمبحث الثالث عن أدلة مـــشروعيتها ، وقـــد جاءت على النحو التالي :

---

(١)سبق تخريجه ص (هـــ) في المقدمة .

(٢) الجهاد والقتال ٢/ ١٢٩٢ .

(٣)عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٧/ ٢٧٥.

(٤) شرح صحيح مسلم ٣٩٨/١٢ باب جواز الخداع في الحرب .

المبحث الأول

تعريف الخدعة

أولا : في اللغة :

وردت الخدعة في اللغة لعدة معانٍ ؛ أبرزها خمسة :

١ــ الكساد والبوار : تقول : خدعتِ السوقُ : أي كسدتْ وفسدت .

٢ــ المراوغة : تقول : خدع الثعلب ؛ إذا أخذ في الروغان ، وخدع الضب ؛ إذا دخل في جحره .

٣ــ الإخفاء : تقول طريق خدوع : إذا كان يَبين مرة ، ويَخفى أخرى ، قال البيضاوي : الخدع أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتزِلّه عما هو فيه أو عما هو بصدده ، من قولهم خدع الضب إذا توارى في جحره ، وضب خادع وخدع إذا وهم الحارش إقباله ثم خرج من باب آخر ، وأصله الإخفاء ، والخديعة : المكر والحيلة ، قيل المراد بالمخادعة : إظهار غير ما في النفس وإبطان الكفر وإظهار الإيمان (١) .

٤ــ النقصان : تقول خدع خيرُ الرجل : أيْ قَلَّ . والخَدوع من النُوق التي تُدِرُّ مرة ، وترفع لبنها مرة ، أي ترده في العروق أعلى الضرع .

٥ــ التقدير والظن : ومنه قوله تعالى :{ **يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ** } (٢) ومعناه : أنهم يقدرون في أنفسهم أنهم يخدعون الله ، والله هو الخادع لهم ، أي : مجازٍ لهم جزاء خداعهم (٣) .

روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

" سيأتي على الناس سنوات خدَّاعات يُصَدَّقُ فيها الكاذب ، ويُكَذَّبُ فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويُخَوَّنُ فيها الأمين ، وينطق فيها الرُّوَيْبِضَة ، قيل : ما الرويبضة ؟ قال : الرجل التافه يحكم في أمر العامة " (٤) ، أي :تكثر فيها الأمطار ، ويقل الريع ، فذلك خداعها ؛ لأنها تطمعهم في الخصب بالمطر ، ثم تخلف (٥) .

أهل اللغة يقولون : الحرب ِخَــُدعة بالفتح : أي ينتهي أمرها بخدعة واحدة ، والضم : على

---

(١)محيط المحيط ــ بطرس البستاني ص ٢١٩ .

(٢) سورة النساء جزء الآية ١٤٢ .

(٣) تهذيب اللغة للأزهري ١/١٥٧ .

(٤) سنن ابن ماجة كتاب الفتن (٢٤) باب شدة الزمان .. رقم (٤٠٣٦) .

(٥) لسان العرب ــ لابن منظور ٨/٦٣ .

أنها أي الحرب آلة الخداع ، وبالكسر : على أنها تخدع أصحابها بكثرة وقوع الخداع فيها ، وهي أجود معنى ؛ لأنها تشغر بكونها قِطْعة من الخداع لدخولها في مفهومه كالشربة من الشراب ، والفتح أفصح؛ لأنها لغة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقال : إن معنى كون الحرب خدعة ؛ أن الظفر بها يكون بحسن التدبير والحزم ، لا بمجرد الشجاعة والإقدام (١) .

و هذه المعاني قد تستخدم في الحرب ؛ فالقائد عندما يُقَدِّرُ قوة أعدائه ، ويظن أنها أكثر من قوة جنده ، وأن الإمكانات في تناقص ، وأن الأمر سيؤول إلى الهزيمة إن لم يحسن التصرف ، فإنه يلجأ إلى الخداع والمراوغة للأعداء ، وإخفاء أمر جنده عليهم .

وقد يلجأ إلى الخدعة من البداية ، فيحسم الأمر بانتصاره وهزيمة أعدائه ، وتقليل الخسائر في صفوف جنده .

ثانيا : الخدعة في الاصطلاح :

الخداع :إنزال الغير عما هو بصدده بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه (٢) .

وبمعنى آخر يمكن تعريف الخدعة في الحرب بأنها الاحتيال والمراوغة ، بما يظهر حيناً من الوسائل ، ويخفى حيناً آخر ؛ لتقليل الخسائر ، وانتزاع الانتصار بغالب التقدير والظن ، وهو ما يجعل أهداف العدو تكسد وتفسد .

وبذلك يتبدَّى وجه الارتباط بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي على أتم وجه .

---

(١)محيط المحيط ــ بطرس البستاني ص٢١٩ .

(٢) مفردات ألفاظ القران ــ الراغب الأصفهاني ص ٢٧٦ .

المبحث الثاني
الألفاظ ذات الصلة بمفهوم الخدعة

إن هناك بعض الألفاظ الوثيقة الصلة بموضوع الخداع ، أحببت الإشارة إليها زيادة في تجلية الموضوع وقد يكون فيها غُنْية عن استخدام الكذب إذا لم تَدْعُ إليه ضرورة ، سواء في الحرب ، أو في غيره . . وقد استدعى الحديث عن هذه الألفاظ في هذا المبحث سبعة مطالب : تحدثت في الأول منها عن التمويه ، وفى الثاني عن التورية ، والثالث للمداراة ، والرابع للمعاريض ، والخامس في الحيلة ، والسادس التبييت ، والسابع والأخير عن الكذب ، من حيث مفهومه وحكمه .

المطلب الأول
التمويه

أولا: في اللغة : التمويه : المَوَه ، أصل بناء لفظ الماء ، وتصغيره مُوَيْه ، قالوا : وهذا دليل على أن الهمزة في الماء بدل من هاء ؛ لأن التصغير يرد الحروف إلى أصلها ، ويقال : (مَوَّه) الشيء (تمويهاً) ؛ أي طلاه بفضة أو ذهب ، وتحت ذلك نحاس أو حديد ، ومنه (التمويه) ، وهو التلبيس ، أي الخلط والإفساد. (١) .

ويؤخذ من مفهوم التمويه من هذه الكلمة : أن طَلْىَ الإناء بفضة ، أو ذهب ، أو غيره، يخدع الناظر إليه ، حيث يظن أن أصله كذلك ، والحقيقة غير ذلك .

ثانياً : في الاصطلاح:

التمويه في الحرب هو بمعنى الخدعة ، وهى الاستتار عن الحقيقة ، والقيام بأعمال تضليلية ، لصرف العدو عن الاتجاهات والأمكنة والأعمال الأساسية (٢) .

ومن هنا نجد أن الجيوش في الحرب تستر بعضاً من معداتها العسكرية للخداع والمفاجأة .

ثالثاً : حكم التمويه :

التمويه أمر جائز في الحرب ؛ يتضح ذلك من فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج لغزو بنى لحيان ؛ حيث اتجه نحو الشمال من المدينة في الطريق إلى الشام ، بينما العدو في الجنوب قريباً من مكة، وبعد أن قطع مسافة تحوَّل بسرعة نحو الجنوب قاصداً بلاد العدو ؛ ليفاجئهم في عقر دارهم ، بعد أن يكونوا قد اطمأنوا أنه مشغول شمال المدينة .(١)

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢٨٦/٥ ، مختار الصحاح عبد القادر الرازى ص٥٦٣ .

(٢) الجهاد والقتال ١٢٩٢/٢ .

المطلب الثاني

التورية

أولاً :في اللغة :

التورية عن الشيء : هو الكناية عنه .ووَرَّيْتُ الخبر : جعلته ورائي وسترته (٢).

وفي الحديث : الذي رواه كعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم **كان إذا أراد سفراً وَرَّى بغيره** " (٣) ؛ أي ستره وكَنَّى عنه ، وأوهم أنه يريد غيره ، وأصله من الوراء ؛ أي ألقى البيـــان وراء ظهره .ويقال : واريته وَوَرَّيْتُه : بمعنى واحد ، وفي التنـــزيل العزيز في قصة إغراء إبليس لآدم وحواء : **{ مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا }**(٤) أي سُتِر ،

ثانياً : في الاصطلاح :

التورية في الحرب أي أخذ العدو على غِرَّة (٥) .

ثالثاً :حكم التورية :

التورية في الحرب جائزة ؛ يتضح ذلك من إجابة النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الأعرابي الـــذي سأله قبيل غزوة بدر ممن أنتما ؟ وقد كان معه أبو بكر رضى الله عنه ، فأجاب النبي صـــلى الله عليـــه وسلم بقوله :"**نحن من ماء** "(٦) فالرسول صلى الله عليه وسلم يقصد الماء الذي خلق الله منه بنى آدم، والأعرابي يظن أنه اسم قبيلة ، وبالتالي لم يستفد أيَّ معلومات ، أو أسرار عن الجيش الإسلامي .

المطلب الثالث

المداراة

أولاً : في اللغة :

المداراة - مداورة الشئون :معالجتها (٧) ، وهي طلب وجوه مأتاها ، والمداراة في حسن الخلق تهمز وتُلَيَّن ؛ يقال (داراه)و(دارأه) أي لاينه واتقاه (١) .

---

(١)البداية والنهاية ـــ لابن كثير ٨٣/٤ .

(٢)لسان العرب لابن منظور ٤٥٤/١٥ ، تاج العروس من جواهر القاموس ـــ للزبيدي ٢٣٤/١١ .

(٣)صحيح البخاري كتاب الجهاد (١٠٣)باب من أراد غزوة فورَّى ..رقم(٢٩٤٨) .

(٤) سورة الأعراف جزء الآية ٢٠ .

(٥)فتح الباري ـــ لابن حجر العسقلاني ١١٣/٦ .

(٦)تاريخ الطبري ٢٧/٢ ، السيرة النبوية لاين هشام ٦١٦/٢ ، كتاب الثقات ـــ ابن حبان البستي ١٥٩/١ .

(٧) كتاب العين ـــ الخليل بن أحمد الفراهيدي ٥٨/٨ ، لسان العرب ـــ لابن منظور ٣٤٢/٤ـــ ٣٤٣ .

ثانياً : معنى المداراة:

هي المخالفة والمدافعة ، كما في قوله تعالى عن قتيل بني إسرائيل :{ **فَـادَّارَأْتُمْ فِيهَـا**}(٢) ، أي : فتدافعتم وتخاصمتم فيها (٣).

ثالثاً : حكم المداراة : أنها جائزة بالكتاب والسنة :

أ ــ **أما من الكتاب** ، فقوله تعالى : {**وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**}(٤) .

حيث أظهر إيمانه بطريق المداراة عندما قال: {**وقد جاءكم بالبينات من ربكم** } ، ثم قال {**وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ**} ؛أي : كأنه غير مصدقه ، ثم قال :{ **وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ** } ، أي : كأنه يريد مصلحة قومه ويسوؤه مايسوؤهم.

ب ــ وأما من السنة ، فما رواه البخاري عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "**إنا لَنَكْشِرُ في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم** "(٥) ؛ والكشر هو البغض وظهور الأسنان ، وأكثر ما يطلق عند الضحك ، وورد في بعض روايات الحديث : "**ونضحك إليهم** " أي :نداري بغضهم بالضحك لهم .

المطلب الرابع

المعاريض

أولاً : **في اللغة :**

التعريض كلام له وجهان من صدق وكذبٍ ، أو ظاهر وباطن (٦) ، وهو خلاف التصريح ، يقال عرَّضْتَ بفلان ولفلان : إذا قُلْتَ قولاً وأنت تعنيه (٧) ، وكان عمر يَحُدُّ في التعريض بالفاحشة ، وقد حَدَّ رجلاً قال لرجل : ما أبي بزانٍ ، ولا أمي بزانية.

والتعريض قد يكون بضرب الأمثال ، وذكر الألغاز في جملة المقال .

---

(١)تاج العروس ــ للزبيدي ١١/٢٣٤ .

(٢) سورة البقرة جزء الآية ٧٢ .

(٣)كلمات القرآن تفسير وبيان ـــ حسنين محمد مخلوف ص١١ .

(٤)سورة غافر الآية ٢٨ .

(٥)صحيح البخاري (٧٨)كتاب الأدب (٨٢) باب المداراة مع الناس (٦١٣١).

(٦) مفردات ألفاظ القران ــ للأصفهاني ص٥٦٠ . (٧)مختار الصحاح ــ عبد القادر الرازي ص٤٢٥ .

والمعراض من الكلام : فحواه .. والجمع معاريض ومعارض ، وهو كلام يشبه بعضه بعضاً في المعاني، كالرجل : تسأله : هل رأيت فلاناً ؟ فيكره أن يكذب وقد رآه ، فيقول : إن فلاناً لَيُرى ، ولهذا المعنى قال ابن عباس : ما أحبُّ بمعاريض الكلام حُمْرَ النَّعَم ، وفيه حديث مرفوع مروي عن عمران بن حصين: "**إن في المعاريضِ لمندوحةً عن الكذب**"(١) أي سعة ، وهي جمع مِعْرَاضٍ ،من التعريض (٢).

ثانياً : المعاريض في الاصطلاح :

هي أن يتكلم الرجل بكلام جائز ، يقصد به معنى صحيحاً ، يوهم غيره أنه يقصد به معنى آخر، وأيضاً تكون بالفعل كاستطراد المبارز بين يدي خصمه ليظن هزيمته ثم يعطف عليه (٣) **.**

ثالثاً : حكم المعاريض :

إذا كان المقصود بالمعاريض رفعَ ضررٍ غيرِ مستحق فهو جائز ، كقول الخليل عليه السلام : " **هذه أختي** " (٤) عن زوجته سارة لطاغية مصر حتى لا يقتله ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : " **نحن من ماء** " (٥) لذلك الرجل من قريش ؛ ليعمِّيَ عليه الخبر .

والتعريض المباح ليس من المخادعة لله في شيء ، وغايته أنه مخادعة لمخلوق أباح الشارع مخادعته ؛ لظلمه ، ولايلزم من جواز مخادعة الظالم المبطل جوازُ مخادعة المُحِقِّ .

فما كان من التعريض مخالفاً لظاهر اللفظ كان قبيحاً ؛ إلا عند الحاجة ، وما لم يكن منهما مخالفاً لظاهر اللفظ كان جائزاً ؛ إلا عند تضمن مفسدة .

المطلب الخامس

الحيلة

أولاً : في اللغة :

الحِيلة بالكسر : الاسم من الاحتيال ، يقال : هو أحْيَل منك : أي أكثر حِيلة ، وما له حِيلَة ولا محالة ولا احتيال ولا محال ، بمعنى واحد ، والحيلة مشتقة من التحول (٦) .

---

(١) صحيح البخاري (٧٨) كتاب الأدب (١١٦) باب المعاريض مندوحة عن الكذب .

(٢) تاج العروس ــ للزبيدي ٤١٢/١٨ ،٤١٥ .

(٣)أعلام الموقعين ــ ابن قيم الجوزية ١٨٠/٢، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ .

(٤) صحيح مسلم (٤٣) كتاب الفضائل (٤١) باب فضائل إبراهيم الخليل [٥٤](٢٣٧١) .

(٥)سبق تخريجه ص ٢٤ حاشية ٦

(٦) تاج اللغة وصحاح العربية ــ للجوهري ١٦٨١/٤ ، القاموس المحيط ــ للفيروز ابادي ص١٢٧٨ .

ثانياً : في الاصطلاح :

هي : **تقديم عمل ظاهر الجواز ؛ لإبطال حكم شرعي ، وتحويله في الظاهر إلى حكم آخر** (١) .

فالحيلة هي نوع مخصوص من التصرف، والعمل الذي يتحول به فاعله من حال إلى حال ، ثم غلب عليها بالعرف استعمالها في سلوك الطرق الخفية التي يتوصل بها الرجل إلى حصول غرضه؛ بحيث لا يتفطن له إلا بنوع من الذكاء والفطنة، فهذا أخص من موضوعها في أصل اللغة ، وسواء كان المقصود أمراً جائزاً أو محرماً ، وأخص من هذا استعمالها في التوصل إلى الغرض الممنوع منه شرعا أو عقلا أو عادة ، فهذا هو الغالب عليها في عرف الناس (٢).

ثالثاً : حكم الحيلة في الحرب :

الحيلة في الحرب إذا كان فيها مصلحة دنيوية ، ولامفسدة فيها بإطلاق ، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يترتب عليها إبطال حكمٍ شرعيٍّ ؛ فإنها لاخلاف في جوازها ، وذلك كالنطق بكلمة الكفر إكراها عليها (٣) ، كما في قوله تعالى : **{إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ}** (٤) .

المطلب السادس

التبييت

أولاً : التبييت لغة :

يقال : بَيَّتَ العدو: أي أوقع بهم ليلاً ، والاسم البيات ، وبَيَّتَ أمراً ، أي دَبَّره ليلاً (٥) ، وفى التنزيل العزيز:**{ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ }** (٦)، أي يدبرون ويقدرون من السوء ليلاً . وفيه : **{ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ }** (٧) .

قال الزجاج (٨) :كل ما فُكِّر فيه أو خِيضَ فيه بليلٍ ، فقد بُيِّت . يقال : هذا أمر دُبِّر بليل ، وبُتَّ بليل، بمعنى واحد ، وبُيِّت الشيء أي قُدِّر . وبيت القوم والعدو : أوقع بهم ليلا .

وفى الحديث : عن الصعب بن جثامة رضي الله عنه قال : مر بي النبي صلى الله عليه وسلم بالأبواء ــ أو بودَّان ــ فسئل عن أهل الدار يبيتون من المشركين فيصاب من نسائهم وذراريهم قال : **"هم**

(١)القاموس القويم في اصطلاحات الأصوليين ــ محمد حامد عثمان ص١٨٩ .

(٢)أعلام الموقعين لابن القيم ١٨٥/٢ .

(٣) الموافقات للشاطبي ٢٨٧/٢ .

(٤)سورة النحل جزء الآية ١٠٦ .

(٥) الصحاح ــ للجوهري ٢٤٥/١ .

(٦)سورة النساء جزء الآية ٨١ .

(٧)سورة النساء جزء الآية ١٠٨ .

(٨) التفسير الكبير ــ فخر الدين الرازي ١٥٥/١٠ .

منهم " ، وسمعته يقول : **"لا حمى إلا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم "**(١) .

ثانياً : التبييت اصطلاحاً :

تبييت العدو :هو أن يقصد في الليل من غير أن يعلم ، فيؤخذ بغتة ، وهو البيات (٢) .

وقال الراغب الأصفهاني : التبييت والبيات أن يأتي العدو ليلاً ، ويقال لكل فعل دبر بليل بُيِّتَ (٣).

ثالثاً : حكم التبييت :

اختلف في حكم التبييت : فكرهه مالك ، وأجازه محمد ؛ لقضية مقتل كعب بن الأشرف ، وهو ثلاثة أقسام : من وجبت دعوته لا يجوز تبييته ، ومن تستحب دعوته يكره تبييته ، ومن أبيحت أبيح ، إلا أنه يخشى اختلاط المسلمين بالليل .

وتعتمد هذه الأقوال على اختلاف الآثار ، وظاهر القرآن ، ففي مسلم عن أبي عون أنه كتب إلى نافع يسأله عن الدعاء قبل القتال ، فكتب إليه ، إنما كان ذلك في أول الإسلام ، وقد أغار النبي عليه السلام على بني المصطلق ، وهم غارُّون ، وأنعامهم تسعى على الماء ، فقتل مقاتليهم ، وسبى سبيهم(٤).

فثبت من فعله عليه الصلاة والسلام أنه كان يبيت العدو ، ويغير عليهم مع الغدوات ، فمن الناس ، وهم الجمهور ، من ذهب إلى أن فعله ناسخ لقوله ، وأن ذلك إنما كان في أول الإسلام قبل أن تنتشر الدعوة بدليل دعوتهم فيه إلى الهجرة ، ومن الناس من رجح القول على الفعل ، وذلك بأن حمل الفعل على الخصوص ، ومن استحسن الدعاء فهو وجه من الجمع (٥) .

الرأي الراجح :

في ضوء المعطيات المعاصرة في الوضع الراهن ، والتقدم التكنولوجي الذي حدث ؛ فإني أرجح قول الإمام محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله " أي كنا ندعو تارة ، وندع تارة ، ونغير عليهم ، فدل أن كل ذلك حسن ، يدعون مرة بعد مرة إذا كان يطمع في إيمانهم ، فأما إذا كان لا يطمع في ذلك فلا بأس أن يغيروا عليهم بغير دعوة " (٦) ؛ وذلك للأسباب الآتية :

١ـ إن التبييت ، أو المفاجأة ، أو الضربة الأولى ، قد تحسم المعركة من البداية لصالح المبتدئ .

٢ـ إنه قد لا يكون هناك امتصاص للضربة الأولى ؛لأن عامل المفاجأة له خطره ، وبخاصة أن

---

(١)صحيح البخاري ٥٦ ـ كتاب الجهاد ١٤٦ ـ باب أهل الدار يبيتون .. رقم ٣٠١٢ .

(٢) الجامع لأحكام القران ـ للقرطبي ٢٨٩/٥ .

(٣)مفردات ألفاظ القران ـ الراغب الأصفهاني ص١٥٢ .

(٤)الذخيرة ـ للقرافي ٤٠٣/٣ .

(٥)بداية المجتهد ونهاية المقتصد ـ لابن رشد ٢٨٣/١ .

(٦)شرح السير الكبير ـ السرخسي ٧٩/١ .

الضربة الأولى قد تتبعها ضربة ثانية وثالثة ، مما لا يترك مجالاً للخصم في التقاط أنفاسه ، وذلك لما يوجد من صواريخ وقاذفات وغيرها موجهة بسرعة فائقة ، وبدون أي عناء .

المطلب السابع

الكذب

أولاً : في اللغة :

الكذب نقيض الصدق ، يقال : كَذَبَ يكْذِبُ كَذِبَاً وكِذْباً وكِذْبةً وكَذِبَةً وكِـذاباً وكِـذَّاباً . والكِذَابُ لغةٌ في الكذب ، والكِذَّابُ بالتشديد لغةٌ ، تقول كَذِبَك كَـذِبَاً : أي لم يَـصْدُقْكَ ، فهـو كاذب، وكذوب : أي كثير الكذب (١) .

وفي قوله تعالى : { **وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ** } (٢) أي مكذوب ؛ حيث ذبح إخوة يوسف شاة ، ولطخوا قميصه بدمها ، وغفلوا عن تمزيق القميص ، فظهر كذبهم .

وقيل الكذب : معاريض الكلام الذي هو كذب من حيث يظنه السامع ، وصدق من حيث يقوله القائل (٣) .

وقد يستعمل الكذب في غير الإنسان ، قالوا : كذب البرق ، والحلم والظن ، والرجاء ، والطمع ؛ لمعانٍ تخصها ، وكذبت العين : خانها حسها ، وكذب الرأي : توهم الأمر بخلاف ما هو به ، وكذبته نفسه :مَنَّتْهُ بغير الحق .

ثانياً : في الاصطلاح :

هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه (٤) ، أي بعكس الصدق الذي هو الإخبار عن الشيء على ما هو عليه، ولكل واحد منهما دواعٍ ، فدواعي الصدق لازمة ، ودواعي الكذب عارضة ؛ لأن الصدق يدعو إليه عقل موجب ، وشرع مؤكد ، بينما الكذب يمنع منه العقل ، ويصد عنه الشرع .

وقيل : هو عدمُ مطابقة القولِ الضميَر والمخبر عنه معاً (٥) .

---

(١)كتاب العين ــ الفراهيدي ٣٤٧/٥ .

(٢)سورة يوسف جزء الآية ١٨ .

(٣)لسان العرب ــ ابن منظور ٨٢٧/١ ، ٨٣٣ .

(٤)محيط المحيط ــ بطرس البستاني ص٧٧٤ .

(٥)مفردات ألفاظ القران ــ الأصفهاني ص٤٧٨ .

ثالثاً : حكم الكذب في الحرب :

جاءت النصوص بالكذب المباح في ثلاثة أمور (١) ؛ أهمها الكذب على العدو في حالة حربه للمسلمين ، لتضليله ، ولإيقاعه في فخ من فخاخ الخداع الحربي .

ولكن لا يدخل في هذا جواز الكذب عليه بتأمينه أو معاهدته ثم الغدر به ، فهذا غير جائز قطعاً ؛ لأن التأمين أو المعاهدة يُنهي حالة الحرب القائمة ، فيلقي كل من الفريقين حذره الحربي ، ويستسلم كل منهما إلى صدق الكلمة ، وعندئذٍ يرجع الكذب إلى أصل حكمه ، ويكون استخدامه في الكلام محرماً ، ولو كان مع العدو (٢) .

ومن أمثلة الكذب الجائز على العدو ، ما لو وقع مسلم في أسره ،فسأله عن مواقع المسلمين الحربية، أو عن عدد المسلمين ، أو عن أسلحتهم وأعتدتهم ، فمن واجب المسلم والحالة هذه أن لا يعطى العدو فرصة معرفة ما يمكنه من النكاية بالمسلمين وكيدهم ، بل يكتم عنه الحقيقة ، ويعطيه أكاذيب تضلله، وتُمَكِّن المسلمين منه ، والحرج من الكذب في مثل هذه المواقف سذاجة وغفلة ، وعدم فهم في الدين.

ولكن إن استطاع أن يتخلص من الموقف المحرج عن طريق التورية والمواربة في القول ، دون اللجوء إلى الكذب الصريح ، كان خيراً له ، إلا أن تكون المصلحة الحربية للمسلمين لا تتحقق إلا بالكذب الصريح ، فهو الذي ينبغي اللجوء إليه ، نظراً إلى المصلحة التي تترتب عليه ، وعدم وجود وسيلة أخرى تقوم مقامه من الوسائل التي هي في الأصل مباحة .

ومعلوم أن الحرب خدعة ، وكما جاز القتال في الحرب - وهو في الأصل محرم - ؛ لأن الضرورة دعت إليه ؛ جاز الكذب على العدو في حالة الحرب وهو في أكثر أحواله أخف من القتال .

ويؤكد هذه الحقيقة أن كلاً من الفريقين المتحاربين يضع في حسابه عدم الثقة بأقوال خصمه ، ويضع في حسابه أن عدوه لايترك سبيلا لمخادعته إلا سلكها ، وسلاح الخداع بالأقوال ، أو بالأفعال ، أحد أسلحة الحرب الفتاكة ، يعلمها الخبراء بفنون الحرب (٣)

---

(١)مثال ذلك حديث أم كلثوم بنت عقبة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :"**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فَيَنْمِي خيراً أو يقول خيراً** " . صحيح البخاري (٥٣)كتاب الصلح (٢) باب ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس .. رقم (٢٦٩٢) .

(٢)الأخلاق الإسلامية وأسسها ــ عبد الرحمن الميداني ١/٥٤٤ .

(٣)نفس المرجع والصفحة .

المبحث الثالث

أدلة مشروعية الخدعة

ثبتت مشروعية الخدعة بالقرآن ، والسنة ، وبأفعال الصحابة ، والمعقول :

أولاً : من القرآن :

دلَّ العديد من الآيات على مشروعية انتهاج الخدعة مع العدو ، وهذه ستٌّ منها :

١ـ قوله تعالى : { **إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَـكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ** } (١)

وجه الدلالة : إنه في بداية المعركة أرى الله كلاً من الفريقين الآخر قليلاً ؛ ليُغري بعضهم ببعض ، فلما بدأت المعركة بقي المؤمنون يرون المشركين قليلاً ، فأقدموا على القتال غير خائفين ، بينما صار المشركون يرون المسلمين كثيراً ، فدبَّ الرعب في قلوبهم ، وفشلوا (٢) ، وبذلك خدع الله الكفار الذين يخادعونه ، فدل على مشروعية استعمال الخدعة مع العدو ؛ لإلقاء الرعب في قلوبهم ، وحملهم على الهروب أو الاستسلام .

٢ـ قوله تعالى : { **فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ**} (٣) .

وجه الدلالة : إن وضع سيدنا يوسف عليه السلام المكيال في رحل أخيه كان خدعة وحيلة لاستبقائه عنده (٤) ، فدل ذلك على مشروعية الحيل في الجملة ، ويدخل فيها حيل الحرب دخولاً أوَّلِيّاً.

٣ـ قوله تعالى : {**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**} (٥) .

وجه الدلالة : إن خرق العبد الصالح للسفينة كان فيه خدعة للملك الظالم ؛ حتى يظن أنها غير

---

(١) الأنفال الآيات ٤٣- ٤٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/ ٢٢ – ٢٣ .

(٣) سورة يوسف الآية ٧٠ .

(٤) فتح القدير للشوكاني ٣/ ٥٢ .

(٥) سورة الكهف الآية ٧٩ .

صالحة ، فيتركها لأصحابها ، وفى هذا جواز إصلاح المال بإفساد بعضه ، (١) وجواز الخدعة في الجملة، ومنها خدعة العدو في الحرب .

٤ ــ قوله تعالى : { **فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُجُومِ . فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ**} (٢) .

وجه الدلالة: إن إبراهيم عليه السلام تظاهر أمام قومه بالمرض والسقم ؛ حتى لا يذهب معهم خارج المدينة في يوم عيدٍ لهم ، فانفرد بالأصنام ، وجعلها جذاذاً (٣)، وقد كان تَوَعَّدَ تلك الأصنام منتظراً يوم خروجهم ، وفى ذلك يقول سبحانه على لسانه:{ **وَتاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ**}(٤) .

فدل ذلك على جواز خداع الأعداء للتمكن من إغاظتهم وهزيمتهم .

٥ــ قوله تعالى : { **قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ**} (٥) .

وجه الدلالة : إن إبراهيم عليه السلام نسب تكسير الأصنام التي كسرها بيمينه إلى الصنم الأكبر ، وطلب منهم أن يسألوا الأصنام ، حتى إذا قالوا له : إنهم لا ينطقون يقيم الحجة عليهم ، ويقول لهم : فكيف تعبدون من لا ينطقون ولا ينفعونكم ولا يضرون ؟ ! ؛ فدل ذلك على مشروعية خداع الأعداء، للوصول إلى مبتغانا منهم ، ومنه الانتصار عليهم .

٦ ــ قوله تعالى : { **قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ..** } (٦) .

وجه الدلالة : إنه قد كان الصرح صحناً من زجاج ، تحته ماء ، وفيه الأسماك ، عمله ليريها مُلْكاً أعظم من ملكها (٧) ، فيكون بهذا قد احتال للوصول بها إلى التسليم بتفوقه التكنولوجي عليها ، فتعدل عن خيار القتال ، وتميل إلى الموادعة والدخول في الإسلام ، وهذا ما قد كان ؛ بدليل قوله تعالى :

{ **قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** } (٨) .

وهذا دليل على إباحة مخادعة الأعداء لحملهم على الانهزام و التسليم .

---

(١)الجامع لأحكام القران ــ للقرطبي ٣٦/١١ .

(٢)سورة الصافات الآيتان ٨٨،٨٩ .

(٣)جذاذاً :قطعاً وكِسَرَاً .. كلمات القران تفسير وبيان ــ حسنين محمد مخلوف ص٣٢٧ .

(٤)سورة الأنبياء الآية ٥٧ .

(٥)سورة الأنبياء الآية ٦٣ .

(٦)سورة النمل جزء الآية ٤٤ .

(٧)الجامع لأحكام القران ــ للقرطبي ٢٠٨/١٣ .

(٨)سورة النمل جزء الآية ٤٤ .

ثانياً : من السنة المطهرة :

تضافرت الأحاديث كذلك على إثبات مشروعية الخدعة ؛ بل على استحبابها أو وجوبها ، وأكتفي بسبعة منها :

١ــ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " **الحرب خدعة**" (١) .

وجه الدلالة : معناه التحريض على أخذ الحذر في الحرب ، والندب إلى خداع الكفار ، وأن من لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه .

٢ــ حديث الغلام والراهب والساحر ؛ الذي جاء فيه :" **كان فيمن كان قبلكم ملك ، وكان له ساحر ، فلما كَبُرَ قال للملك : إني قد كَبِرْتُ ، فابعث إلي غلاماً أُعَلِّمْهُ السحر ، فبعث إليه غلاماً يعلمه، وكان في طريقه إذا سلك راهب ، فقعد إليه ، وسمع كلامه ، فأعجبه ، وكان إذا أتى الساحر مَرَّ بالراهب ، وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلى الراهب ، فقال : إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي ، وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر ..** " (٢) .

وجه الدلالة : إن الراهب قد احتال للغلام ليتحاشى ضرب الساحر ، وضرب أهله ؛ بأن يكذب على الساحر مرة ، وعلى أهله مرة .

كذلك الطريقة التي دَلَّ الغلامُ المَلِكَ عليها ليقتله ؛ كما جاء في آخر القصة ؛ كان فيها حيلة لإيمان الناس بالله رب الغلام ، فدلَّ ذلك على جواز اللجوء إلى الحيل في الجملة للوصول إلى الأهداف ؛ من دفع المغارم ، وجلب المغانم ، و منها حيلة الحرب للظفر بالعدو بأدنى الجهود .

٣ــ كذلك حديث الأبرص والأقرع والأعمى الذين أراد الله أن يبتليهم ، فبعث إليهم مَلَكاً، وأمره أن يعطي كل واحد منهم ما يتمناه من الصحة والمال ..ولما كانت فترة الابتلاء ، بعث إليهم المَلَكَ في صورة رجل مسكين مسافر قد انقطعت به الحبال والسبل ، فلا بلاغ له؛ ليختبرهم : هل يؤدون زكاة أموالهم التي أنعم الله بها عليهم أم لا ؟ فظنوا أن المَلَكَ مجرَّد رجلٍ مسكين مسافرمحتاج، فَخُدِعوا بذلك (٣).

فدلَّ هذا على جواز الخدعة في الجملة ، ومنها خِدَعُ الحرب التي تقذف الرعب في قلوب الأعداء وتحملهم على الفرار ، أو رفع الراية البيضاء .

---

(١)سبق تخريجه ص هـ في المقدمة حاشية ٤ .

(٢)صحيح مسلم (٥٣) كتاب الزهد (١٧) باب قصة أصحاب الأخدود .. رقم (٧٣)[٣٠٠٥] .

(٣)صحيح مسلم (٥٣) كتاب الزهد باب كتاب الزهد رقم (١٠)[٢٦٦٤] .

٤ــ دروس من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم :

وذلك من خمسة وجوه على النحو التالي :

أــ ترك علياً رضى الله عنه في فراشه ، وذلك للتمويه وتضليل الأعداء ، حتى يتمكن من الإبعاد وهم يظنونه نائماً .

ب ــ بَدَلَ أن يصعد إلى الشمال ؛ حيث سيوجِّه القومُ اهتمامهم ، هبط قليلاً إلى الجنوب ، حيث سيقلٌّ البحث عنه في هذا الاتجاه .

ج ــ لا يأخذ طريقه مباشرة إلى المدينة ، وإنما يلجأ للغار بضع ليال ؛ حتى يتعب الباحثون ، ويعودوا دون أملٍ في العثور عليه .

د ــ لا يسير في إحدى الطريقين العاديين بين مكة والمدينة ، وإنما يتخذ طريقا ثالثاً يقل أو ينعدم فيه السير ؛ حتى لاتصل أخباره إلى قريش (١) .

هــ إخفاء موعد الهجرة ؛ كما ورد في الحديث الذي رواه الطبراني عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم :**" استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان "** (٢) .

٥ ــ سِرِّيَّة التنظيم ، واتخاذ دار الأرقم بن أبي الأرقم :

كان لابد للمحافظة على سرية التنظيم من اختيار مركز سريٍّ بعيد عن الأعين ، يتم فيه اللقاء بين الجنود مع بعضهم ، وبين القيادة وجنودها ، بحيث لاتعرفه استخبارات العدو ، وكان اتخاذ دار الأرقم ابن أبي الأرقم فيه من المبالغة في السرية والتعمية وتمويه الأمر على قريش ؛ لصغر سنه ، وعدم اشتهار إسلامه ، وغير ذلك .

وقد كان اختيار هذا البيت في غاية الحكمة من الناحية الأمنية ، و لم نسمع أبداً أن قريشاً داهمت ذات يوم هذا المركز ، أوكشفت مكان اللقاء ؛ إنما كان أقصى ما وصلت إليه هو شكها أن يكون اللقاء في دار عند الصفا (٣) .

وقد دلَّ هذا الاختيار على جواز مخادعة العدو ؛ بل على وجوبه ؛ حتى لا يتمكن من الإثخان فينا، لا سيما في فترة الاستضعاف .

٦ ــ عند فتح مكة قال صلى الله عليه وسلم :**" اللهم خُذْ على أسماعهم وأبصارهم ؛ فلا يرونا**

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي أحمد شلبي ٢٦٢/١ .

(٢)كشف الخفاء ومزيل الإلباس ــ للعجلوني ١٢٣/١ رقم (٣٤٢) رواه الطبراني وأبو نعيم بسند ضعيف عن معاذ بن جبل ويستأنس له بما أخرجه الطبراني عن ابن عباس مرفوعا (إنَّ لأهل النعم حُسَّاداً فاحذروهم) .

(٣)المنهج الحركي لسيرة النبوية ــ منير الغضبان ٤٨/١ .

إلا بغتة ، ولا يسمعوا بنا إلا فجأة '' (١)، ثم أمر الجند بإيقاد نيران عظيمة ؛ ليوهم الأعـداء بكثـرة العدد .

فدلَّ إيقاد النار على جواز خديعة الأعداء بإيهام الكثرة التي لا قبل لهم بها ، فيحملهم ذلك علـى تولي الأدبار أو الإقرار لنا بالانتصار .

٧ ــ كذلك وقف الرسول صلى الله عليه وسلم قبيل غزوة بدر على شيخ من قريش ، فسأله عن قريش ، وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، وكان معه صاحبه أبو بكـر ، فقـال الـشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : **إذا أخبرتنا أخبرناك** ، فقال أو ذاك بذاك ؟ قال : نعم ، قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فـإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي به رسول الله صـلى الله عليـه وسلم، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به قريش ، فلما فرغ من خبره قال : ممن أنتما ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:**''نحن من ماء ''** (٢) ، ثم انصرف عنه ، فقال الشيخ : ما من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟ .

فدلَّ هذا على جواز مخادعة العدو بالمعاريض لمعرفة أسراره ، وتمزيق صفوفه .

ثالثاً : من أفعال الصحابة :

هناك الكثير من مواقف الصحابة التي اتخذوا فيها الخدعة مطية لانتزاع النصر ، وهذه نماذج منها :

١ ــ في سرية مؤتة بعد أن استشهد القادة الثلاثة الذين عيَّنهم رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، وهم : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة ، وأخذ الراية خالد بن الوليد سيفُ الله المسلول ، غَيَّرَ نظام الجيش ، فجعل المقدمة مؤخرة ، والميمنة ميسرة ، فخدع بذلك الأعداء؛لأنهم ظنوا أنْ قد جاء للمسلمين مددٌ آخر ، فدبَّ الرعب في قلوبهم ، وانكشفوا مهزومين ، وقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة (٣) .

٢ ــ في معركة(أجنادين) أقام عمرو بن العاص رضى الله عنه لايقدر من الأرطبون على سقطة ، ولا تشفيهِ الرسل ؛ لأنه كان أدهى الروم ، فَوَلِيَهُ بنفسه ، فدخل عليه كأنه رسول ، فأبلغه ما يريـد ، وسمع كلامه ، وتأمل حضرته ؛ حتى عرف ما أراد ، وقال الأرطبون في نفسه : والله إن هذا لعمرو ، أو أنه الذي يأخذ عمرو برأيه ، وما كنت لأصيب القوم بأمر هو أعظم من قتله ، فدعا حرساً فـسارَّه ،

---

(١)الطبقات الكبرى ــ لابن سعد ١٠٢/٢ .

(٢)عيون الأخبار ــ للدينوري ١٩٤/٢ ، تاريخ الطبري ٢٧/٢.

(٣)البداية والنهاية ــ لابن كثير ٢٤٧/٤ .

فأمره بقتله ، فقال : اذهب فقم في مكان كذا وكذا ، فإذا مَرَّ بك فاقتله ، ففطن عمرو بن العـــاص ، فقال للأرطبون : أيها الأمير : إني قد سمعت كلامك ، وسمعت كلامي ، وإني واحد من عشرة بعثنـــا عمر بن الخطاب ؛ لنكون مع هذا الوالي ؛ لنشهد أموره ، وقد أحببت أن آتيـــك بهـــم ؛ ليـــسمعوا كلامك، ويروا ما رأيت ، فقال الأرطبون : نعم ! فاذهب فأتني بهم ، ودعا رجلاً فـــساره ، فقـــال : اذهب إلى فلان فَرُدَّهُ ، وقام عمرو فذهب إلى جيشه ، ثم تحقق الأرطبون أنه عمرو بن العاص ، فقال : خدعني الرجل ، هذا والله أدهى العرب (١) .

٣ ـــ في غزوة الخندق جاء نعيم بن مسعود رضى الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقـــال يارسول الله : إني قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فَمُرْنِي بما شئت ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **إنما أنت فينا رجل واحد ، فَخَذِّلْ عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة** " (٢)،

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة ، وكان لهم نديماً في الجاهلية ، فقال :يا بني قريظة قـــد عرفتم وُدِّي إياكم ، وخاصةَ ما بيني وبينكم ، قالوا : صدقت ؛ لست عندنا بمتهم ، فقـــال لهـــم : إن قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم ونساؤهم وأموالهم بغيره ، فليسوا كأنتم ؛ فإن رأوا نهزة (٣) أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، وخَلُّوا بيـــنكم وبين الرجل ببلدكم ، ولاطاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُنَاً من أشرافهم ، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه ، قالوا : لقد أشـــرت بالرأي ، ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لهم : إن اليهود قد ندمتْ على نقض عهدها ، واتفقتْ مع محمد على أن تأتيه بعشرة من أشرافكم يضرب أعناقهم ، ويغفر لليهود ، وقال لغطفان مثل ذلك .

فلم يلبث أن جاء وفد اليهود يطلب الرهائن ، فقالوا : صدق والله نعيم ، والله لانعطيكم أشرافنا لتدفعوهم إلى محمد يضرب أعناقهم .. الخ ، فكان ذلك سبباً في اختلاف الكفار ، وتفرقهم عن حرب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ورجوعهم لم ينالوا خيرا (٤) .

٤ ـــ يُرْوَى أنه لما بارز عمرو بن وُدٍّ عليَّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، استعمل عليٌّ معه الحيلـــة والخدعة ، فلما برز له عليٌّ قال له : ما برزت لأقاتل اثنين !!

فالتفت عمرو بن ود ؛ لِيرى الشخص الثاني ، فوثب عليه علي فضربه !

(١)العقد الفريد ـــ عبد ربه الأندلسي ١/١٢٤.

(٢)سبق تخريجه ص (هـــ) في المقدمة حاشية (٣) .

(٣)نهزة : فرصة أو غنيمة .. مختار الصحاح ـــ عبد القادر الرازي ص٦٠٠ .

(٤)البداية والنهاية ـــ لابن كثير ٤/١١٣ .

فقال له عمرو : لقد خدعتني ! قال علي : إن الحرب خدعة !!

٥ ــ كذلك في صلح الحديبية كان من شروط الصلح : إن من جاء مسلماً من قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم رَدَّه إليهم ، فجاء أبو بصير ، فأرسلت قريش في طلبه ، فدفعه إلى الرجلين الذين جاءا في طلبه ، فخرجا به ، حتى إذا بلغا ذا الحليفة نزلوا يأكلون من تمرٍ لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين ، والله إني لأرى سيفك هذا يافلان جيداً ، فاستله الآخر ، فقال : أجَلْ قد جَرَّبْتُ به ، فقال أبو بصير : أرني أنظرْ إليه ، فأمكنه منه ، فضربه حتى بَرَدَ (١)، وفرَّ الآخر (٢) .

فكانت خدعة استطاع أبو بصير رضى الله عنه أن ينجو بها ممن أسره .

رابعا : الأدلة العقلية على مشروعية الخداع

١ ــ إن من مقاصد الشريعة المحافظة على المجتمع المسلم ، فإذا كانت مصلحة المجتمع المسلم تتوقف على استخدام الخدعة فالأوْلى استخدامها ؛لأن الحرب يباح فيها ما لا يباح في غيرها (٣) ،حيث يباح القتل ، فمن باب أولى أن يباح الخداع والكذب على الأعداء ، ويؤكد ذلك أيضا حديث نعيم بن مسعود مرفوعاً "**الحرب خدعة** "(٤) .

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله : معناه : أن الخصم قد يدرك من خصمه بالمكر والخديعة في الحرب مالا يدركه بالقوة والعدد، وذلك مجرب معروف ، وقد وقع في يوم الأحزاب من الخديعة للمشركين واليهود، والكيد لهم ، على يدي نعيم بن مسعود - رضى الله عنه - بإذن النبي صلى الله عليه وسلم ، ما كان من أسباب خذلان الكافرين ، وتفريق شملهم ، واختلاف كلمتهم ، وإعزاز المسلمين ، ونصرهم عليهم ، وذلك من فضل الله ، ونصره لأوليائه ، ومكره لهم (٥)، كما قال عز وجل : { **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**}(٦) .

٢ ــ إن كشف الخطط العسكرية غباء يؤدى إلى الهزيمة والهلاك .

٣ ــ وقديما قيل :" **رُبَّ حيلةٍ أنفعُ من قبيلة** "(٧)، و"**الاهتداء لوجه الحيلة غنيمة جليلة**"(٨) .

---

(١)برد : ثبت ومات .. مختار الصحاح ــ عبد القادر الرازي ص٤٠ .

(٢)تهذيب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ــ صلاح الخالدي ص٣٨٨ ، الجهاد والفدائية في الإسلام ــ حسن أيوب ص١٧٣ وما بعدها .

(٣) الجهاد والقتال .د. محمد خير هيكل ١٢٩٣/٢ .

(٤)سبق تخريجه ص (هـ) في المقدمة حاشية (٤)

(٥) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مج٣ ع٤ ص٦ (كلمة لسماحة الشيخ بن باز بعنوان : المقصود من الجهاد) .

(٦) سورة الأنفال جزء الآية ٣٠ .

(٧) موسوعة أمثال العرب ــ إميل بديع يعقوب ٧٨/٤ .

(٨) قاموس الحكم والأمثال والأقوال المأثورة . سمير شيخاني ص٢٥٥ .

٤ ــ إن الأصل في الكائن الحي أن يدافع عن نفسه بما أتيح له من وسائل ، سواء في ذلك الانسان والحيوان والطير ، حتى الزواحف والحشرات ، وقد يصل إلى حد التمويه والخداع :

فالدفاع عن النفس ، أو الفتك بالأعداء ، غريزة في الكائن الحي .

٥ ــ إن الكفار لو ظهروا و أديلوا (١) علينا فإنهم لن يُبْـــقُوا ولن يَذَروا ، ولن يراعـــوا فينا قرابة ولاعهداً (٢)، كما في قوله تعالى :{ **كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً** }(٣) ، كما هو واضح من أفعالهم في فلسطين ، والعراق ، وغيرها .. وبالتالي فإن استخدام الخدعة معهم يفـــوِّت عليهم فرصة استئصالنا وإهلاكنا .

٦ ــ أوصت أم الذيال العبسية ابنها-وكان من أشداء العرب - فقالت : ''يـــا بـــني لا تنـــشب الحرب - وإن وثقت بشدتك - حتى تعرف وجه المهرب منها ، فإن النفس أقوى شـــيء إذا وجـــدت سبيل الحيلة، وهى أضعف شيء إذا يئست من الحيلة ، وأحمدُ الشدة ما كانت الحيلـــة مـــدبرة لهـــا ، واجلس مع من تحارب جلسة الذئب ، وطِرْ منه طيران الغراب ، فإن الحذر زمام الشجاعة ، والتـــهور عدو الشدة''(٤) . ففي هذه الوصية التأكيد على عظيم خطر الحيلة في الحروب .

٧ ــ ومن هذا القبيل ما حُكِيَ عن عنترة العبسي (٥) أنه قيل : له أنت أشجع العرب وأشـــدهم بطشاً، فقال : لا ، فقيل له : كيف شاع لك هذا الاسم بين الناس ؟! قال : إني أقدم إذا رأيت الإقدام عزماً ، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزماً ، ولا أدخل مدخلا إلا إذا رأيت لي منه مخرجـــا ، وأعتمـــد الضعيف الساقط فأضربه ضربة يطير منها قلب الشجاع ، فأنثني عليه فآخذه (٦) .

٨ ــ وقد قرر ابن خلدون (٧) أن أكثر ما تقع به الهزائم في جبهة، ويحقق النصر الحربي في الجبهـــة الأخرى ، هو استعمال وسائل خفية ، وأسباب نفسية من الحيل ، أو أمور سماوية من الرعب والخذلان الإلهي، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر بن عبد الله''**نصرت بالرعب ..**''(٨) .

---

(١)أديلوا : من الإدالة وهي الغلبة .. مختار الصحاح ــ عبد القادر الرازي ص ٢١٦ .

(٢) تفسير وبيان كلمات القران الكريم ــ حسنين مخلوف ص١٨٨ ، تفسير الجلالين بهامش القران الكريم ص١٨٨ .

(٣)سورة التوبة جزء الآية ٨ .

(٤)تهذيب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ــ صلاح الخالدي ص٣٩٣ .

(٥)عنترة بن شداد العبسي : ولد في نحو سنة ٥٢٥م من أَمَةٍ حبشية ، وقد استطاع أن يتحرر بشجاعته وفروسيته ، أحب عبلة ابنة عمه، واستمات في سبيل استمالتها ، قتل نحو سنة ٦١٥م . . الجامع في تاريخ الأدب العربي ــ حنا الفاخوري ٩/٦٧ .

(٦)محيط المحيط ــ بطرس البستاني ص٢١٩ .   (٧)مقدمة ابن خلدون ص٢٧٧ .

(٨)) صحيح البخاري ٧- كتاب التيمم ١- باب التيمم رقم (٣٣٥). نص الحديث : '' **أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : نـــصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ؛ فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل ، و أحلت لي المغانم ولم تحـــلَّ لأحـــد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة** '' .

الفصل الثاني

شروط الخدعة

إن الإسلام هو دين الفطرة ،والهداية للبشرية كافة ؛ فهو يقوم على الصراحة والوضوح، والنظام ، والانضباط ، فهو رسالة عالمية ، ولايحابي قوماً على حساب آخرين ، ولايعـــرف نظام الكيل بمكيالين، كما هو مشاهد في عصر الديمقراطيات المزعومة ،والحضارات الزائفـــة ،فلا فضل في الإسلام لعربي على عجمي ، ولا لأحمرَ على أسودَ إلا بالتقوى .

ومن هنا كان لاستخدام الخدعة في الحرب عدةُ شروط ؛ حتى لا تكون منفلتـــة عـــن الأخلاق الإسلامية العامة ، وهى تستخدم في الحرب للضرورة ، رحمة من الله تعالى بعبـــاده الضعفاء ، والضرورة إنما تقدر بقدرها .

أتناول هذه الشروط في أربعة مباحث :

الأول منها : وجود حالة الحرب .

والثاني : أن تكون الخدعة لها فائدة مرجوة .

والثالث : أن لا تتضمن الخدعة تأمين العدو .

والرابع: أن لا تؤدى الخدعة إلى ارتكاب محظور.

المبحث الأول

الشرط الأول: وجود حالة الحرب

يطلق اسم حالة الحرب على الوضع الذي يسود بين دول مشتبكة في صراع مسلح .

وإذا كانت الحروب الماضية تهتم بتحديد بداية حالة الحرب ، فإن العديد من الحروب المعاصرة بدأت دون التقيد بهذا التحديد بغية تحقيق المفاجأة الاستراتيجية .

ولا تنتهي حالة الحرب عند عقد اتفاقية هدنة مؤقتة ، أو اتفاقية لوقف إطلاق النار ، ولكنها تنتهي عندما تعقد اتفاقية صلح ، أو معاهدة إنهاء حالة العداء بين الأطراف المتنازعة ، أو عندما يستسلم أحد الأطراف دون قيد أو شرط (١).

تكون حالة الحرب قائمة باعتداء من الكفار على المسلمين ؛ بظلمهم ، أو اغتصاب أرضهم ، أو قتلهم ، أو نقض هدنة أو عهد أو ذمة ، أو وقوفهم في طريق نشر الدعوة الإسلامية ، سواء كان بمنع الدعاة أو محاربتهم ، أو بتعذيب الذين يتبعون الدعوة ، وفتنتهم عن دينهم ، أو رفضهم الانصياع لحكم الإسلام بعد إبلاغهم الدعوة ، وتخييرهم بين الإسلام ، أو الجزية ، أو الحرب ، وهو ما يسمى بجهاد الزحوف ، كما في قوله تعالى من سورة التوبة : **{وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ }**(٢) .

أي:كما يجتمعون لحربكم إذا حاربوكم فاجتمعوا أنتم أيضا لهم إذا حاربتموهم بنظير ما يفعلون(٣)، وفيه دليل على وجوب قتال المشركين ، و أنه فرض على الأعيان إن لم يقم به البعض (٤) ، ومن كان الله معه فلن يغلبه شيء (٥) .

وتكون حالة الحرب قائمة أيضا مادام العداء موجوداً ، وليس هناك معاهدة أو اتفاق ، أو هناك اتفاق منقوض من قِبَل الأعداء بكثير من الخروقات ؛ كما هو الحال في قضية فلسطين ، منذ الإطاحة بالخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤ م ، وحتى الآن بين العرب والاحتلال الصهيونى (٦).

لذلك فقد انقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب ، يتناول الأول منها صوراً من حالات الاعتداء علينا التي تمثل قيام حالة الحرب ، ويخصص الثاني للوقوف في وجه الدعوة ، ويدور الثالث حول مدى لزوم إبلاغهم الدعوة أو تجديدها قبل أن نأخذهم على حين غرة وهم غافلون ، وهذا تفصيل القول في هذه المطالب الثلاثة :-

---

(١) الموسوعة العسكرية ٥٠٣/١ .   (٢) سورة التوبة جزء الآية ٣٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ٣٤٠/٢ .   (٤)فتح القدير ــ الشوكاني ٤٤٦/٢ .   (٥)جامع البيان ــ الطبري ١٢٩/٦ .

(٦) كما حدث من خروقات كثيرة بلغت أكثر من مائتي خرق من قبل قوات الاحتلال الصهيوني لاتفاقية الهدنة التي حصلت بينها من جهة وبين حركة حماس والمقاومة من جهة أخرى بتاريخ ٦/ ٢٠٠٣ م وأبرمتها السلطة الفلسطينية بالنيابة ، ولم تصمد أكثر من سبعة أسابيع .

المطلب الأول

حالات الحرب والاعتداء على المسلمين

إن الاعتداء علينا له صور عديدة يمكن إيجازها في ست حالات :-

١- احتلال جزء من بلاد المسلمين : فقد اتفقت كلمة المسلمين ، على اختلاف مذاهبهم ، على وجوب القتال لدفع العدوان الواقع على بلاد المسلمين ، وإن هذا الوجوب فرض عين على أهل البلاد التي احتلت ، أو على وشك الاحتلال ؛ فإن لم يحصل بهم الكفاية لرد العدوان وجب القتال على من يليهم ، ثم على مَنْ وراءهم ، وهكذا حتى تحصل الكفاية ، ويطرد العدو من بلادنا (١).

٢- العدوان على أشخاص المسلمين ، ويدخل فيه شتى صنوف الاضطهاد والعذاب والتنكيل والإيذاء ؛ من ضرب ، وحبس ، وقتل ، وتحريق ، وتغريق ، وتسخير .. وما شابه ذلك .

وقد ورد في السيرة النبوية أن أبا سفيان ورهطاً من قريش ، بعد أن حضروا قتل زيد بن الدثنة ، وخبيب بن عدى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اللذيْنِ أُسِرَا ، وسِيقا إلى مكة ، وهي لاتزال على الشرك ، بعدما قتل أصحابهما (٢) يوم الرجيع بسبب غدر الكفار بهم ، بعث صلى الله عليه وسلم (عمرو بن أمية الضمرى) لقتل أبي سفيان في داره بمكة إن قدر عليه (٣) ، وبعث معه جبار ابن صخر الأنصاري لإنجاز هذه المهمة (٤) .

٣- العدوان على أعراض المسلمين ، وذلك واضح من إجلاء النبي صلى الله عليه وسلم لبنى قينقاع الذين تعرضوا لكشف سوأة امرأة مسلمة أو حجابها (٥).

وكذلك عندما تشبب كعب بن الاشرف اليهودي بنساء المؤمنين، بعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة ، فقتله (٦).

---

(١) الجهاد والقتال محمد خير هيكل ٦٣٦/١ .

(٢) من أصحابهما : مرثد بن أبي مرثد ، وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت ، وعبد الله بن طارق.. فقه السيرة للبوطي ص١٩٧ .

(٣) كتاب الأم للشافعي ٢٩٠/٤ .

(٤) الروض الأنف — ابن هشام السهيلي ٢٤٣/٤، ٢٢٤/٣ . جبار بن صخر الأنصاري :شهد العقبة مع السبعين من الأنصار وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين المقداد بن عمرو وشهد جبار بدراً وأُحُداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يبعثه خارصاً إلى خيبر وغيرها ، وشهد جبار بدراً وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة ، وتوفى في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه بالمدينة سنة ثلاثين وله عقب . الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٤٣٣ .

(٥) المرجع السابق ١٣٧/٣ ، فقه السيرة للبوطي ص٢٠٣ .

(٦) المنهج الحركي للسيرة النبوية منير الغضبان ص٣٤٧ .

٤- العدوان على أموال المسلمين : فقد ورد في السيرة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث جيشاً بقيادة زيد بن حارثة ؛ لتأديب أولئك الذين اعتدوا على أموال دحية الكلبي ،ومع أن المال رجع إلى صاحبه؛إلا أن الجيش مضى في سريته ليثبت هيبة المسلمين،ويردع من يفكر في الاعتداء على أموالهم(١) .

٥- الاعتداء الواقع على المسلمين من غير أهل دار الإسلام ، بشرط ألا يكون هناك عهد أو ميثاق بين الدولة الإسلامية والدولة المعتدية عليهم ، كما في قوله تعالى :{**وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا**}(٢)

أي : لاعذر لكم في ترك نصرة هؤلاء ، و المقاتَلَةِ من أجلهم .

وكذلك قوله عز وجل :

{**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ، وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**}(٣) .

أي : فإذا تقاعس المسلمون عن نصرة إخوانهم في تلك البلاد تحل فتن ومصائب ومحن تحيط بنا ، وفساد كبير يسود في الأرض بنص الآية .

٦- الاعتداء على حلفاء المسلمين ، أو أهل الذمة الذين يؤدون الجزية للدولة الإسلامية ، ومن في حكمهم ؛ كالمستأمنين ، والموادعين ، وهو عدوان علينا ، وذلك واضح من نصرة النبي صلى الله عليه وسلم لحلفائه من خزاعة ، عندما عدا عليهم حلفاء قريش من بنى بكر ، فغدروا بهم برضا قريش ، فاستباح النبي صلى الله عليه وسلم غزوهم من غير نبذ عهدهم إليهم ؛ لأنهم صاروا محاربين (٤).

المطلب الثاني

حالة الحرب والوقوف في وجه الدعوة

لم تتفق كلمة الفقهاء في تحديد المراد بالوقوف في وجه الدعوة ، وقد ذكر الدكتور محمد خير هيكل رأيين في ذلك :-

---

(١) الروض الأنف لابن هشام ٢٣٥/٤ ، والسيرة الحلبية ٢٠٢/٣ .

(٢) سورة النساء الآية ٧٥ .

(٣) سورة الأنفال الآيتان ٧٢ ، ٧٣ .

(٤) زاد المعاد لابن القيم ٩٣/٥ .

الرأي الأول :إن الوقوف في وجه الدعوة يتحقق فقط في منع حملة الدعوة من تبليغ الإسلام (١) .

الرأي الثاني : إن الوقوف في وجه الدعوة إنما يتحقق في رفض تسليم السلطة للمسلمين ، ورفض الخضوع للنظام الذي تحمله الدعوة الإسلامية ، وإن سمح بتبليغ الدعوة .

ثم ذكر أدلة كل من الفريقين ، وناقش أدلة الفريق الأول ، ورجح رأي الفريق الثاني :

أدلة الفريق الأول :

١ـ قوله تعالى**{وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}**(٢) .

وجه الدلالة : إن الكفار الذين لا يعتدون على المسلمين ، ولا يقاتلونهم لا يجوز لنا إعلان الحرب عليهم بحجة إخضاعهم للحكم الإسلامي .

ونوقش هذا الاستدلال بما يلي : إن تحريم قتال الكفار غير المعتدين هو الحكم الأول في تشريع الجهاد ، ثم صدر حكم آخر بعده ؛ وهو مشروعية قتال الكفار مطلقاً ، معتدين كانوا أو غير معتدين ، وإن قوله تعالى : (**إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ**) على ضوء الحكم الأخير في تشريع الجهاد ، إنما يعني : المُثلة ، والغلول ، أو قتل النساء ، والصبيان ، والشيوخ الذين لارأي لهم ، ولاقتال فيهم ، والرهبان ، وأصحاب الصوامع ، وتحريق الأشجار ، وقتل الحيوان لغير مصلحة (٣) ، أي : لا تقتلوا وليداً و لا امرأة ولا من أعطاكم الجزية من أهل الكتابين والمجوس (٤) .

٢- قوله تعالى : **{ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ..}**(٥)

وجه الدلالة : إن الآية تفيد وجوب إجابة الكفار إلى معاهدة السلام إذا طلبوا ذلك ، وهذا يعني عدم مشروعية قتالهم لإخضاعهم لحكم الإسلام في هذه الحال .

ونوقش هذا الاستدلال بما يلي :إن الأمر في الآية الكريمة ليس على سبيل الوجوب ، وإنما على سبيل الإباحة ، على حسب ما تمليه مصلحة الدعوة الإسلامية ؛ كما في حالة ضعف المسلمين ، أو رجاء إسلام الكفار ، أو احتمال خضوعهم لحكم الإسلام بلا قتال .. وما إلى ذلك ؛ جمعاً بين هذه الآية الكريمة ، وآية سورة براءة : **{قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ ..إلى قوله ..حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}**(٦) ، وآية سورة محمد ، وهي : **{ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ**

---

(١) الجهاد والقتال محمد خير هيكل ٧٤٣/١ . (٢) سورة البقرة الآية ١٩٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ٢١٥/١ ، فتح القدير ــ الشوكاني ٢٤١/١ .

(٤)جامع البيان ــ الطبري ١٩٠/٢ .

(٥) سورة الأنفال جزء الآية ٦١ .

(٦) سورة التوبة الآية ٢٩ .

وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ ..}(١) .

أي لا تضعفوا أيها المؤمنون عن جهاد المشركين وتجبنوا عن قتالهم (٢) ، وتَدْعُوا إلى المهادنة والمسالمة ، ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم ، فأما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جمع المسلمين ، ورأى الإمام المهادنة والمعاهدة مصلحة ، فله أن يفعل ذلك ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صده كفار قريش عن مكة ، ودعوه إلى الصلح ، ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين ، فأجابهم صلى الله عليه وسلم إلى ذلك (٣) . فالله سبحانه نهى المسلمين عن الدعاء إلى السلم ابتداء و لم ينه عن قبول السلم إذا جنح إليه المشركون ، فالآيتان محكمتان (٤) .

٣- إن حروب النبي صلى الله عليه وسلم للكفار كانت كلها دفاعاً ليس فيها شئ من العدوان(٣).

ونوقش هذا الاستدلال بما يلي :-

أولاً : لايجوز تسمية قتال الكفار غير المعتدين من أجل حكمهم بالإسلام أنه اعتداء ؛ لأن الشرع قد أمر به ، والاعتداء هو ما تعدَّى حدود الشرع .

ثانياً : إن مشروعية الأعمال في الإسلام لاينحصر الدليل عليها بما فعله النبي صلى الله عليه وسلم ؛ بل أيضا بنصوص القرآن والسنة القولية ؛ وقد جاء في القرآن قوله تعالى : **{قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ ..الى قوله .. حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}**(٥).

كما جاء في السنة القولية من حديث سليمان بن بريدة مرفوعاً "**قاتلوا من كفر بالله ..**"(٦)

وكلا النصين جاء مطلقاً غير مقيد بكون الكفار معتدين ؛ حتى تنحصر مشروعية قتالهم بحالة الدفاع ضد العدوان .

ثالثاً : وأرى أن هناك وجهاً آخر في نقض هذا الدليل يتلخص في الآتي :-

قولهم : " إن حروب النبي صلى الله عليه وسلم كلها كانت دفاعاً ليس فيها شيء من العدوان " بعضه مقبول ، وبعضه مرفوض :

- أما المقبول :فهو قولهم : ليس فيها شيء من العدوان .
- وأما المرفوض : فهو الادعاء بأنها كانت دفاعاً .

والصحيح أن مرحلة الزحوف بدأت من صلح الحديبية ؛ حيث زحف على خيبر ، ثم كانت مؤتة،

---

(١)سورة محمد جزء الآية ٣٥ .

(٢) جامع البيان ــ الطبري ٦٣/١٣ ، تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ١٨٤/٤ ، (٣)فتح القدير ــ الشوكاني ٥٢/٥ .

(٤) الجهاد والقتال محمد خير هيكل ٧٥٢/١ .

(٥) سورة التوبة الآية ٢٩ .

(٦) صحيح مسلم ٣٢- كتاب الجهاد والسير (٢-٣) باب تامير الإمام .. [٣](١٧٣١) .

ثم فتح مكة ، وزحف إلى حنين والطائف ، وذهب إلى تبوك ، وجهز جيش أسـامة إلى أعمـاق الشام وفلسطين ، وهي إلى جانب الهدف الدفاعي كانت لها رسالة ؛ وهى كسر شوكة العدو لفـتح الطريق أمام الدعوة ، كما فتحها صلح الحديبية من قبل ، فدخل في عامين اثنين بين الحديبية وفتح مكة أضعاف أضعاف الذين دخلوا الإسلام من قبل .

ولهم أدلة أخرى ركيكة لا أرى حاجة لاستقصائها .

أدلة الفريق الثاني :

١ـ النصوص الشرعية المطلقة التي تقضي بقتال الكفار دون تقييد بكونهم معتدين ، ومنها (١):

أ- قوله تعالى : **{ قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ ..إلى قولـه .. حَتَّـى يُعْطُـواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}**(٢)

ب- قوله تعالى : **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ..}**(٣)

ج- قوله تعالى : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ ..}**(٤)

د- قول ابن عمر رضى الله عنه : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **أمرت أن أقاتل النـاس حتى يشهدوا أن لا إله الا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله** " (٥).

٢ - حديث سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعاً ، والذي جاء فيه : " **.. وإذا لقيت عدوك مـن المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال) ، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنـهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم .. فإن أَبَوْا فسلهم الجزية ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن هم أَبَوْا فاستعن بالله وقاتلهم ..** "(٦) .

فقد وردت في الحديث الخيارات الثلاثة ، وهى : إما الإسلام وإما الجزية – والتي تعنى خـضوعهم لحكم الإسلام – وإما الحرب .

وجه الدلالة من تلك النصوص كلها :هو أن المشرِّع قد كلَّف المسلمين فيها بقتال الكفار مطلقاً أي:

---

(١) الجهاد والقتال محمد خير هيكل ٧٥٣/١ .

(٢) سورة التوبة الآية ٢٩ .

(٣) سورة التوبة الآية ٧٣ .

(٤) سورة التوبة الآية ١٢٣ .

(٥) صحيح البخاري ٢- كتاب الإيمان ١٧- باب فان تابوا وأقاموا الصلاة .. (٢٥) .

(٦) صحيح مسلم ٣٢ـ كتاب الجهاد والسير (٢ـ٣) باب تأمير الأمراء .. رقم [٣](١٧٣١) .

ولو لم يكونوا معتدين ، وكلفهم بالاستمرار في هذا القتال ؛ حتى يتحقق أحد أمرين :-

أ ـــ إما دخولهم في الإسلام .

ب ـــ وإما خضوعهم للحكم الإسلامي ؛ بما يعني جعلهم من أهل الذمة ، وإلحاق بلادهم بدار الإسلام .

٤ - كذلك الاستدلال بأعمال الخلفاء الراشدين ؛ فإنهم فتحوا البلاد المجاورة ، وأبطلوا أنظمتها ، ونفَّذوا فيها القانون الإسلامي ، وأدخلوها في سلطان الدولة الإسلامية ، وصارت جزءاً منها ، ولم ينكر عليهم أحد مطلقاً ، فيكون هذا النهج مجمعاً عليه من قِبل الجميع .

من خلال عرض أدلة كل فريق ، ومناقشة أدلة الفريق الأول ، وقوة أدلة الفريق الثاني ، **فإني أوافق الدكتور محمد خير هيكل في رأيه ترجيح الرأي الثاني** القائل بمشروعية إعلان الجهاد على الكفار ولو كانوا غير معتدين ، ولامعترضين لمسيرة الدعوة الإسلامية في بلادهم من أجل تطبيق الحكم الإسلامي عليهم ، وإلحاق بلادهم بدار الإسلام ، وجعل أهلها جزءاً من رعايا الدولة الإسلامية ، ولو ظلوا محتفظين بدياناتهم ، وذلك حسب ما تمليه مصلحة الإسلام والمسلمين (١) ، ولأن هذا الدين رحمة للعالمين ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وليعلمن نبأه بعد حين .

المطلب الثالث

حالة الحرب ، والبلاغ المبين

هنا قد يثور تساؤل : وهو أن الإسلام العظيم يقوم على الصدق والوضوح والصراحة ، وإبلاغ الكفار والمشركين مبادئ هذا الدين ؛ لتقوم الحجة به عليهم ، كما في قوله تعالى : { **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً** }(٢). وإبلاغ الدعوة للكفار يجب أن يسبق حالة الحرب .

بينما الخدعة تقوم على السرية والكتمان ، وأحياناً على الكذب والمخاتلة ، وعندما نخير الكفار بين الإسلام ، أو الجزية ، أو الحرب ؛ فربما أخذوا حذرهم ، فتفشل الخدعة ، مما قد يؤدى إلى إلحاق الضرر بجيشنا .

وللإجابة على هذا التساؤل أقول :

إنه لابد من التفريق بين أربع حالات ، اثنتان لايلزم معهما تجديد الدعوة ؛ لاحتمال لحوق الضرر بنا، والثنتان الأخريان لابد فيهما من وجوب الدعوة أو تجديدها ، وتفصيل ذلك على النحو التالي :

---

(١) الجهاد والقتال محمد خير هيكل ٧٦٩/١ .

(٢) سورة الإسراء جزء الآية ١٥ .

١ - في حالة الحرب الدفاعية : إذا هجم العدو على بلادنا فلا مجال للدعوة هنا ؛ لأن الاشتغال بالدعوة في هذه الحال يعرضنا للخطر (١).

٢ - كذلك في غير حالة هجوم العدو على المسلمين إذا كانت دعوهم يترتب عليها إلحاق ضرر بنا فهناك حالتان :

الأولى : ما إذا سبق أن بُلِّغَتْ تلك الدولة الكافرة ، فهنا لامجال لدعوها ؛ لأن إلحاق الضرر بنا حرام ، حيث القاعدة الفقهية "**لاضرر ولا ضرار**" (٢) ، فيقدم دفع الحرام المنهي عنه على فعل المستحب المندوب إليه ، ويصدق على هذه الحالة أيضا قاعدة :"**درء المفاسد أولى من جلب المصالح**"(٣).

الثانية :إذا لم يسبق لتلك الدولة الكافرة أن بُلِّغت قبل إعلان الحرب عليها ، ويترتب على دعوها ضرر بالمسلمين : ففي هذه الحالة نحن أمام واجب تبليغ الدعوة ، وأمام ضرر يلحق بالمسلمين جرَّاء القيام بهذا الواجب ، فسلم الأولويات في هذه الحالة المتناقضة في الشريعة يقتضي دفع الضرر ، على القيام بالواجب ، كما في قول القرافى في خصوص التعارض بين القيام بالواجب ودفع الضرر :"**المعهود في الشريعة دفع الضرر بترك الواجب إذا تعين طريقاً لدفع الضرر**" (٤).

٣ - أما إذا كانت هناك دولة غير إسلامية لم تبلغها الدعوة ، ولا يترتب على المسلمين ضرر من الاشتغال بدعوها ، وتأخير قتالها ، فالذي نرجحه هنا هو وجوب دعوة تلك الدولة للإسلام ، أو الخضوع لحكم المسلمين ، وتحريم القتال قبل تلك الدعوة .

٤ - أما إذا كانت هذه الدولة غير الإسلامية قد بلغتها الدعوة ، وليس في تجديد الدعوة إليها ضرر يلحق بنا ؛ فهناك رأيان :

الأول للجمهور : وهو يقضى باستحباب تجديد الدعوة .

والثاني لابن جزى المالكي :وهو عدم تجديد الدعوة والْتماس غِرَّةِ القوم .

والسبب في الاختلاف في تكرار الدعوة عند تكرار الحرب : هو معارضة القول للفعل :

أما القول :فقد روى سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعاً : أن النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا بعث سرية قال لأميرها :

---

(١) شرح السير الكبير للسرخسي ٥/٢٢٣٣-٢٢٣٤ .

(٢) علم أصول الفقه الشيخ عبد الوهاب خلاف ص٢١٦ .

(٣) الأشباه والنظائر للسيوطى ص٨٧ .

(٤) الفروق للإمام القرافى ٢/١٢٣ .

".. و إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو (خلال) ، فأيتهن ما أجابوك إليها فاقبل منهم وكُفَّ عنهم ، ادعهم إلى الإسلام ؛ فإن أجابوك فاقبل منهم ، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأعلمهم أنهم إن فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين ؛ فإن أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجرى عليهم حكم الله الذي يجرى على المؤمنين ، ولا يكون لهم في الفيء والغنيمة نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ؛ فإن هم أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية ، فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم ؛ فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم"(١).

وأما الفعل : فقد ثبت من فعله عليه الصلاة والسلام أنه كان يُبَيِّتُ العدو ، ويغير عليهم عند الغدوات .

فمن الناس ، وهم جمهور الفقهاء ، من ذهب إلى أن فعله ناسخ لقوله ، وأن ذلك إنما كان في أول الإسلام قبل أن تنتشر الدعوة ؛ بدليل دعوهم فيه إلى الهجرة ، ومن الناس من رجح القول على الفعل ، وذلك بأن حمل الفعل على الخصوص ، ومن استحسن الدعاء فهو وجه من الجمع (٢).

وقد علق على ذلك الدكتور محمد خير هيكل بقوله : إن كلاً من الرأيين يحسن في موضع دون الآخر :-

أ- فإذا كان هناك توقع إسلام القوم ، أو خضوعهم للدولة الإسلامية ، أو تحقيق أي مصلحة من المصالح جراء تجديد الدعوة إليهم ، فيستحب تجديدها في هذه الحال .

ب- وأما إن كان لايتوقع من جراء تجديد الدعوة إسلام القوم ، ولاخضوعهم للدولة الإسلامية ، ولا تحقيق أي مصلحة من المصالح المشروعة ؛ فتجديد الدعوة في هذه الحال المفترضة لاجدوى منه ، وربما كان الاشتغال بتجديد الدعوة تنبيهاً للقوم ، فيأخذون حذرهم ،مما يطيل أمد الحرب التي نشنها ، من أجل تطبيق الإسلام عليهم ، وفتح الطريق أمام الدعوة الإسلامية .

هذا ؛ ومن الأمور المستحبة في الحرب سرعة الحسم فيها ؛ تقليلاً للخسائر على اختلافها ، ومن أجل هذا يستحب في هذه الصورة المفترضة عدم تجديد الدعوة (٣) ، و الْتماس غِرَّة الكفار وتبييتهم كما في الإغارة على بني المصطلق (٤).

---

(١) صحيح مسلم ٣٢ــ كتاب الجهاد والسير (٢ــ٣) باب تأمير الأمراء .. رقم [٣](١٧٣١) .

(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد ٢٨٢/١ .

(٣) الجهاد والقتال محمد خير هيكل ٧٨٧/١ .

(٤) صحيح البخاري ٤٩-كتاب العتق ١٣-باب من ملك من العرب رقيقا .. رقم ٢٥٤١ .

الترجيح : وعلى هذا يكون رأى الجمهور هو الذي أميل إليه في هذه المسألة على التفصيل الــذي أورده الدكتور هيكل ؛ لأنه به يتحقق الجمع بين النصوص التي ظاهرها التعارض ، وقد تقرر في (أصول الفقه) أن إعمال النصوص كلها بالجمع بينها أولى من إعمال بعضها ، وإهمال البعض الآخر (١).

كما أن هناك قضية أخرى تثيرها تلك المسالة أتناولها في الفرع التالي :

فرع

هل مجرد استفاضة خبر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها عند جواز تبليغ الدعوة على التفصيل الذي ورد ذكره (ص ٤٦ وما بعدها) يكفى لأن يكون حجة على الشعوب ؟ ؛ بأن تكون مجــرد دعوة الإسلام قد بلغتهم ؛ أم لابد من التبليغ الرسمي من السلطة الإسلامية للشعوب ، أو لمــن يمثــل الشعوب ؛ حتى يصدق عليهم أنهم قد بلغتهم الدعوة ؟

والذي أراه أنه لابد من التبليغ الرسمي من الدولة الإسلامية ، وذلك للاعتبارات التالية :-

١- مع أن الإسلام كان قد استفاض في جميع أنحاء الجزيرة العربية ، إلا أن النبي صــلى الله عليــه وسلم لم يكتفِ بهذه الاستفاضة ؛ بل كان يكلف أمير كل سرية بأن يدعو الجهة التي يندبه إليهــا إلى الإسلام ، أو الجزية ، وإلا فالحرب ، كما في حديث بريدة الأسلمي الذي جاء فيه : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ، ومن معــه مــن المسلمين خيرا ، ثم قال : **"اغزوا باسم الله ، في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغــزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ، ولاتمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم .."** (٢).

٢- إن الناس اليوم في شتى بقاع الأرض يسمعون عن الإسلام بصورة مستفيضة ، ولكنها صورة مشوَّهة بعيدة عن الحقيقة ، تُنَفِّر الناس ولاترغبهم فيه ، لذلك كان لابد من البلاغ المبين ؛ وهو الخطاب الرسمي من السلطة الإسلامية التي تبين الإسلام الذي هو دين الفطرة بصورته الحقيقية البعيدة عن تشويه الزنادقة والخونة والمحرفين .

٣- انتشر في الناس اليوم أن الجهاد في الإسلام إنما هو حرب دفاعية فقط ، لذلك يجب أن يبين لهم أن الجهاد في الإسلام مشروع أيضا لإخضاع الدول الأخرى لحكم الإسلام إذا رفضت الدخول فيه ، ولو لم يصدر منها أي عدوان ، فتكون تلك الدول أمام خيارات ثلاثة : إما الإسلام ، أو الجزيــة ، أو الحرب ، حتى لا تُتهم الدولة الإسلامية بالعدوان ، ويكون ذلك بمثابة إنذار مستمر ومتعارف عليه بين الدول الأخرى .

---

(١) أصول الفقه أبو النور زهير ٤/ ٢٠٠ .

(٢) سبق تخريجه ص ٤٨ حاشية ١

المبحث الثاني

الشرط الثاني : أن تكون الخدعة لها فائدة مرجوة

إذا لم تكن للخدعة فائدة مرجوة ؛ بأن تكون عبثاً لامسوغ لاستخدامها ؛ بحيث لا تؤدي إلى تحقيق النصر أو تقليل الخسائر ، والشرع الحنيف منزه عن العبث ، وبخاصة عندما تشتمل الخدعة على استخدام الكذب ، حينئذ يحرم استخدامها ؛ لأن الأصل في سلوك المسلمين أنه يقوم على الوضوح والصراحة ، والصدق.

أما أن يضيع الجهد والوقت والمال سدى فهذا مرفوض ، ومنهي عنه في الشرع ؛ تماماً كالنفقة ؛ فلو أنفق الإنسان ألف دينار في أعمال الخير والبر لكان حسناً ومندوباً إليه ، بينما لو أنفق ديناراً واحداً في وجوه الشر والمنكر ، لكان من المبذرين إخوان الشياطين .

ثم إنه قد ورد في الحديث الشريف الذي رواه أبو برزة الأسلمي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : **" لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه ؟ وعن علمه فيم فعل ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟وعن جسمه فيم أبلاه "** (١) .

ولتوضيح الصورة أكثر نقول : إن قتل امرأة مثل عصماء بنت مروان (٢) التي كانت تحت يزيد بن زيد الخطمى ، وكانت تؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتعيب الإسلام ، وتحرِّض على النبي صلى الله عليه وسلم ، لا تحتاج إلى خدعة كبيرة في قتلها ، مثل التي كانت في مقتل كعب بن الأشرف، فقد قتلها عمير بن عدى بن الخطمى رضى الله عنه بسهولة ويسر (٣) ، بينما كعب بن الأشرف لعنه الله ، ذلك اليهودي الذي آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ،وحرَّض الأحزاب على مقاتلته ، وتشبَّب بنساء المسلمين ، كان من الخطورة بمكان ، بحيث لابد في قتله من استخدام حيلة كبيرة (٤)، حيث قتله محمد بن مسلمة بمشاورة سعد بن معاذ ، ومساعدة نفر من الأوس ، منهم : عبَّاد بن بشر ، وأبو نائلة سلكان بن سلامة ، والحارث بن أوس ، وأبو عبس بن جبر ، فأتاه أبو نائلة وهو في نادى قومه – وكان هو ومحمد بن مسلمة أخويه من الرضاعة – فتحدثا وتناشدا الأشعار حتى قام

---

(١) سنن الترمذى ٣٤- كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ١- باب ماجاء في شان الحساب والقصاص رقم ٢٤١٧ .

(٢) عصماء بنت مروان : كانت تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحرض عليه ، و هي التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم :"لاينتطح فيها عنزان"فهى أول ما سُمِعَتْ منه هذه الكلمة.. مسند الشهاب – أبو عبد الله القضاعى ٢/٤٨ .

(٣)السير الكبير ـــ السرخسي ١/٢٧١ـــ٢٧٥ .

(٤) سيرة ابن هشام ٣/٥٤ .

القوم، فقال له : كان قدوم هذا الرجل - يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم - علينا مـــن الـــبلاء، حاربتنا العرب، وجهدت الأنفس ، وضاع العيال .. ثم أخبره أنه يريد خذلان محمد والتخلي عنـــه ، وأمره أن يكتم الخبر، فَسُرَّ كعب بذلك .. ثم أتاه أبو نائلة وأصحابه بعد أن صلوا العشاء ، وناداه أبـــو نائلة ، فوثب ونزل من حصنه إليهم ، فجعلوا يتحادثون ساعة ، ثم أدخل أبو نائلـــة (١) يـــده في رأس كعب، وقال : ما أطيب عطرك هذا ! ثم مشى ساعة ، وعاد لمثلها ، وأخذ بقرون رأســـه ، فـــضربه الجماعة بأسيافهم ، وقتلوه (٢) .

---

(١)أبو نائلة : هو سلكان بن وقش بن زغبة ين زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي ، ويقال سلكان لقب له واسمه ســـعد شـــهد أحدا وكان ممن قتل كعب بن الأشرف اليهودي وكان أخاه من الرضاعة ، وكان من الرماة المذكورين من الصحابة وكـــان شـــاعرا .. الاستيعاب ــ لابن عبد البر ١٧٦٥/٤ ، الطبقات الكبرى ــ لابن سعد ٢٥٤/٥ ، الإصابة في تمييز الصحابة ــ لابن حجر ٤٠٩/٧ .

(٢) السير الكبير ــ السرخسي ٢٧١/١ــ٢٧٥ .

المبحث الثالث

الشرط الثالث : ألا تتضمن الخدعة تأمين العدو

إن نقض العهد أو الأمان يتضمن الغدر والخيانة والكذب ، وإخلاف الوعد ، وهى جميعاً من صفات المنافقين ،التي وردت في الحديث الشريف في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم : **" ثلاث من كن فيه فهو منافق : وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم ؛ من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان "** (١).

و في الحديث الآخر عن عبد الله بن عمرو قال صلى الله عليه وسلم : **" أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن ، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر "** (٢).

فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في هذين الحديثين الشريفين أن إخلاف الوعد ، وخيانة الأمانة، وكذب الحديث ، والغدر ، من صفات المنافقين .

ومن هنا كان التأكيد على الالتزام والوفاء بالوعود والمواثيق ، لأن النقض إثم كبير ، وعقد الأمان مع الكفار ، أحد العقود التي تفيدهم الأمن ، وهى ثلاثة : أمان ، وجزية ، وهدنة؛ لأن العقد إن تعلق بعدد محصور من شخص واحد إلى عشرة أو أكثر فهو الأمان ، وإن كان إلى مدة محددة من أربعة أشهر إلى عشر سنوات على الأكثر فهو الهدنة ، وإلا : أي : إن لم يكن محدداً بمدة معينة ؛ بل كان مؤبداً؛فهو الجزية ؛ أي : عقد الذمة (٣) .

من شروط الخدعة : أن لا تتضمن تأمين العدو ؛ لأن نقض العهد أو الأمان إثم كبير يستوجب الغضب والمقت من الله تعالى ، كما في قوله سبحانه :{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**} (٤) .

فالله سبحانه وتعالى أمر بالوفاء بجميع العهود والالتزامات ، سواء أكانت مع الله ، أم مع الناس، بقوله تعالى : {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ ..**}(٥) .

---

(١) صحيح البخاري ٢- كتاب الإيمان ٢٤- باب علامة المنافق .. رقم ٣٣ .

(٢) نفس المرجع رقم ٣٤ .

(٣) حاشية قليوبي من كتاب قليوبي وعميرة ٤/٢٢٥ .

(٤) سورة الصف الآيتان ٢، ٣ .

(٥) سورة المائدة جزء الآية ١ .

وكل ما يقطعه الإنسان على نفسه من عهد ، فهو مسؤول عنه ، ومحاسب عليه ، كما في قولـــه سبحانه : **{ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً}**(١) .

وحق العهد مقدم على حق الدِّين (٢) ، كما في قوله تعالى :**{ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْـنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}** (٣) .

حيث بلغ من اهتمام الإسلام ورعايته للعهود أن يترك نصرة المؤمنين الذين يرتبطون مع إخـــوانهم المؤمنين بانتماء العقيدة ورابطة الأخوَّة ، إن هم لم يهاجروا إلى دولة الإسلام ، ووقع عليهم اعتداء من دولة بينها وبين الدولة الإسلامية عهد وميثاق ، فإن الوفاء بالعهود والمواثيق ، والالتزام بها ، أولى مـــن مساندة المسلمين الذين لم يهاجروا .

وقد ذم الله تعالى بعض المنافقين بقوله : **{فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ}** (٤) .

والآية تفيد أن نفاقهم كان بسبب إخلافهم وعدهم مع الله سبحانه ، ومثل ذلك إخلاف الوعد مع الناس ؛ إذ لافرق في أصل الحرمة بين الأمرين ، كما أن نكث العهد محرم ، سواء كان مع الله أم مـــع الناس (٥) .

وقد عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة اليهود عهداً ، أقرهم فيه على دينـــهم ، و أمنهم على أموالهم ، بشرط ألا يعينوا عليه المشركين ، فنقضوا العهد ، ثم اعتذروا ، ثم رجعوا فنقضوه مرة أخرى (٦) ، فأنزل الله عز وجل : **{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُـــمْ لاَ يُؤْمِنُـــونَ ، الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ }** (٧) .

وفى صحيح البخاري من الحديث القدسي عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليـــه وسلم قال : **" قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل بـــا ع**

---

(١) سورة الإسراء جزء الآية ٣٤ .

(٢) فقه السنة سيد سابق ٩٩/٣ ، العلاقات الخارجية للمهيرى ص١٤٩ ، فتح القدير للشوكانى ٣٢٩/٢ .

(٣) سورة الأنفال جزء الآية ٧٢ .

(٤) سورة التوبة الآية ٧٧ .

(٥) بيع المرابحة للآمر بالشراء .د. يوسف القرضاوى ص٦٥ .

(٦)فقه السنة سيد سابق ٣/ ١٠٠ .

(٧)سورة الأنفال الآيتان ٥٥ ، ٥٦ .

حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره '' (١) .

وجه الدلالة من الحديث : إن الله تعالى جعل نفسه خصماً لمن يغدر أو يخون ؛ تشديداً وتغليظاً لهذا الذنب ، والله غالب على أمره .

وروى البخاري ومسلم وأحمد عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **'' لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة ''** (٢) .

وجه الدلالة :

إن الغادر يكون عقابه في الآخرة بالإضافة إلى نار جهنم هو الافتضاح بين الخلائق .

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنه بلغه أن بعض المجاهدين قال لمحارب من الفُرْس لاتخف ، ثم قتله . فكتب رضى الله عنه إلى قائد الجيش : **'' إنه بلغني أن رجالاً منكم يطلبون العلج**(٣) ، **حتى إذا اشتد في الجبل وامتنع ، يقول له (لاتخف) ، فإذا أدركه قتله ، وإني والذي نفسي بيده ، لايبلغني أن أحداً فعل ذلك إلا قطعت عنقه''** (٤) .

فقول عمر رضى الله عنه هذا يبين مدى عظم أمر خيانة الأمان ، وأنه فهم ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ، وإلا لما قال ما قال ؛ لأن مثل ذلك لا يقال بالرأي .

---

(١) ابن ماجة ١٦- كتاب الرهون ٤- باب اجر الأجراء رقم ٢٤٤٢ .

(٢) صحيح البخاري ٥٨- كتاب الموادعة والجزية ٢٢- باب إثم الغادر للبر والفاجر رقم ٣١٨٨ ، مسند الإمام أحمد ١١٦/٢ رقم ٥٩٦٨ .

(٣)العلج : الواحد من الكفار العجم والجمع علوج وأعلاج .. مختار الصحاح عبد القادر الرازي ص٤٤٩ .

(٤) موطأ الإمام مالك ٤٤٩/٢ - كتاب الجهاد –باب ما جاء في الوفاء بالأمان رقم ٩٦٧ .

المبحث الرابع

الشرط الرابع : ألا تؤدي الخدعة إلى ارتكاب محظور

إن الله تبارك وتعالى كما تعبدنا بالغايات تعبدنا بالوسائل ، فالغاية في الإسلام لا تبرر الوسيلة ، فالغاية المشروعة يجب أن تكون الطريق المؤدية إليها مشروعة أيضا ، بل إن هناك حدوداً لله لا يجوز تجاوزها .

مثال ذلك : الفقير لا يجوز له أن يسرق حتى يستغني ، بل يطلب حقه من الزكاة ، كذلك الذي لا يملك المال ليتزوج لا يجوز له أن يزنى ليكسر شهوته ؛ بل يكثر من الصوم والاعتكاف ، ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأسوةَ الحسنةَ عندما عرض عليه قومه المال ، والجاه ، والسلطان ، والنساء ، في سبيل أن يصرفوه عن هذا الدين ، فقال مقولته الخالدة : "**والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله ، أو أهلك دونه**"(١)

وكان بإمكانه أن يوافقهم في بداية الأمر على رأيهم ريثما يتمكن منهم ، ثم يفرض ما يريد ، ولكن الإسلام دين الوضوح والصراحة والصدق ، وما كان الرسول صلى الله عليه وسلم ليترك الكذب على الناس ، ثم يكذب على الله - وهو الملقب قبل البعثة بالصادق الأمين .

ولما كانت "**الحرب خدعة** "(٢) فإنه يباح فيها ما لا يباح في غيرها ، إلا أن الخدعة إذا كانت تؤدي إلى محظور في الشرع ؛ فإنها حينئذٍ قد لا تجوز ، أو يكون فيها نظر ، أو موازنة بين الضرر والمنفعة إذا كانت ضرورة ، أو في جهاد الدفع .

ومن أمثلة المحظورات التي قد يلجأ إليها المجاهد الذي يستخدم الخدعة خشية أن يُكشف أمره :

ترك الصلاة ، وترك الصيام في المأمورات ، وشرب الخمر ، واقتراف الزنى في المنهيات ، .. و أتحدث عن كل واحد منها في مطلب مستقل كما يلي :

المطلب الأول

ترك الصلاة

إن الصلاة هي عمود الدين ، ومفتاح الجنة ، ودليل الإيمان ، والفيصل بين الإسلام والكفر ، وهكذا جعلها النبي صلى الله عليه وسلم في العديد من الأحاديث الشريفة ؛ ومنها :-

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٤٦/٣ .

(٢) سبق تخريجه ص (هـ) في المقدمة حاشية ٤ .

١ــ الحديث الذي رواه جابر بن عبد الله رضى الله عنه مرفوعا :**"بين الرجــل والكفــر تــرك الصلاة "**(١) ؛ أي أن من ترك الصلاة جاحدا وجوبها يكفر ؛ لإنكاره ما هو معلــوم مــن الــدين بالضرورة فيجري عليه حكم المرتد (٢) .

٢ــ كذلك حديث بريدة عن أبيه رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وســلم **"العهد الذي بيننا وبينهم ترك الصلاة ، فمن تركها فقد كفر "**(٣).

فهذا الحديث يبين أن لاعذر لأحد في ترك الصلاة ؛ حيث لم يذكر تركها لعذر أو لغير عذر ؛ بل هو على إطلاقه ، أي أن من ترك الصلاة جحوداً بها فقد كفر ، أما من تركها كسلا ففيه تفــصيل لا أرى حاجة لسرده خشية التطويل ..

فلا عذر لأحد في ترك الصلاة على أي حال ، سواء في المرض أو الصحة ، في السفر أو الحضر، في البر أو البحر ، حتى في الحرب ، وفى أشد الأوقات حرجاً ، هناك صلاة خاصــة تــسمى (صــلاة الحرب) أو (صلاة الخوف) ، إلا في حال شغل العدو المسلمين عن الصلاة ، أو التحام الصفوف ، ولا تسقط الصلاة إلا عمن فقد العقل ، أو الوعي والإدراك .

يقول سبحانه وتعالى :**{ حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَــانِتِينَ ، فَــإنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ }** (٤).

فالأمر في هاتين الآيتين للوجوب ؛ حيث أمر سبحانه وتعالى بالمحافظة على الصلوات ، وبخاصــة صلاة العصر ، وأن نقوم لله خاشعين ذليلين مستكينين بين يديه .

لكن قد تطرأ ظروف في ساحة القتال ، كحال القتال والتحام الحرب ، لا تترك للمسلم أي فرصة لأداء الصلاة ، حيث العدو يتربص بنا أي لحظة لينقضَّ علينا ، كما حدث في غزوة الأحزاب ؛ إذ قال صلى الله عليه وسلم **"شغلونا عن الصلاةِ الوُسطى صلاةِ العصر مَلأَ الله بيوتهم عليهم ناراً "**(٥) .

فحينئذ يجوز لهم أن يصنعوا ما يمكنهم ويدخل تحت طوقهم من المحافظة على الصلاة بفعلها حــال الترجل والركوب ، لأن هذه العبادة لازمة في كل الأحوال بحسب الإمكان (٦) ؛ كما في قوله تعالى : **{فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً }** (٧) .

---

(١) صحيح مسلم ١- كتاب الإيمان ٣٥- باب بيان إطلاق اسم الكفر على .. رقم [١٣٤](٨٢) .

(٢)قليوبي وعميرة ٣١٩/١ في الهامش .

(٣) سنن ابن ماجة ٥- كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ٧٧-باب ما جاء فيمن ترك الصلاة رقم ١٠٧٩ .

(٤) سورة البقرة الآيتان ٢٣٨،٢٣٩ .

(٥)صحيح البخاري ٥٦ــ كتاب الجهاد ٩٨ــ باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة رقم ٢٩٣١ .

(٦) فتح القدير ــ الشوكاني ٣٢٧/١ . (٧) سورة البقرة جزء الآية ١٣٩ .

جاء في السير الكبير : '' صلاة الخوف إنما تكون إذا كانوا مواقفين للعدو ، فأما في حال المسايفة والمطاعنة والرمي فلا تستقيم الصلاة لأن هذا عمل ، ولا تستقيم الصلاة مع الاشتغال بعمل ليس منها ولكنهم يؤخرون الصلاة إلى أن يفرغوا من ذلك ، لأن ما يفوقم من الصلاة يمكنهم تداركه بعد هـذا وما يفوتهم بالاشتغال بالصلاة والكف عن القتال في هذه الحالة لا يمكنهم تداركه فيجوز تأخير الصلاة لشغل القتال '' (١) .

فمن غير المعقول أن نترك الأعداء يقتلوننا بحجة أننا متشاغلون بالصلاة .

أما بخصوص المجاهد الذي يستخدم الخدعة التي قد تؤدي إلى ترك الصلاة ، فإنه أولى به أن يغيِّـر الخدعة بخدعة أخرى تتلائم مع الصلاة ؛ أيْ يأخذ في الحسبان أمرَ الصلاة .

أما إذا لم يمكن تغيير الخدعة التي قد تؤدى إلى ترك الصلاة ، أو تأخيرها عـن وقتـها للـضرورة الملحة، فلا حرج في ذلك ، ثم يقضيها بعد ذلك ؛ لأنه يكون وهو يستخدم الخدعة كأنه في حالة قتال والتحام الصف ، و استناداً إلى فعل النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق ، حيث لم يكن مُفَرِّطاً أو مقصراً أو متهاوناً في أدائها (٢) ، إنما كان عند التحام الصف ، والله اعلم .

المطلب الثاني

ترك الصيام

إن الصيام ركن من أركان الإسلام العظيم ، وهو مفروض علينا بالكتاب والسنة :

أ ــ **أما الكتاب** فقوله تعالى :

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}(٣).وما كتبه الله فلن يستطيع أحد أن يمحوه أو يبدله .

ب ــ وأما السنة ،فقد دلت على وجوب الصيام أحاديثُ كثيرة ، أذكر منها اثنين اختصاراً:-

١ــ ثبت في الصحيحين فيما رواه ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسـلم أنـه قال: **''بنى الإسلام على خمسٍ :شهادةِ أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الـصلاة ، وإيتاءِ الزكاة ، وحجِّ البيت ، وصومِ رمضان ''**(٤) .

فهذا الحديث يبين أن الصيام ركن من أركان الإسلام ، فمن ترك هذا الركن منكراً إياه أو جاحداً

---

(١)السير الكبير ــ السرخسي ١/٢٢٧ــ ٢٢٨ .

(٢)فإن أمكن أن يصلي قاعداً أو على جنب بدون أن يلفت نظر الأعداء فهو أفضل ؛ لحديث عمران بن الحصين رضي الله عنه أن الـنبي صلى الله عليه وسلم قال له : '' صل قائماً ، فإن لم تستطع فجالساً ، فإن لم تستطع فعلى جنب '' صحيح البخاري ١٨ــ كتاب تقصير الصلاة ١٩ــ باب إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب .. رقم ١١١٧ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٨٣ .

(٤) صحيح البخاري ٢- كتاب الإيمان ٢- باب دعاؤكم إيمانكم ..رقم ٨ .

له ، فكأنما هدم جانباً من صرح الإسلام .

٢ــ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال صلى الله عليه وسلم :**''عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاث : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والصلاة ، وصوم رمضان ، فمن ترك واحدة منهن فهو كافر ''**(١) . فهذا الحديث صريح في أن تارك الصيام جحوداً ونكراناً كافر بإجماع المسلمين .

يقول الإمام النووي رحمه الله : '' وكذلك الأمر في كل من أنكر شيئا مما أجمعت الأمة عليه من أمور الدين إذا كان علمه منتشراً كالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان والاغتسال من الجنابة وتحريم الزنا والخمر ونكاح ذوات المحارم ونحوها من الأحكام إلا أن يكون رجلاً حديث عهد بالإسلام ولا يعرف حدوده فإنه إن أنكر شيئاً منها جهلاً به لم يكفر ..'' (٢) .

أما من أفطر عمداً وهو غير جاحد لفريضة الصيام ، فإن مالكاً وأصحابه وأبا حنيفة وأصحابه والثوري وجماعة : ذهبوا إلى أن من أفطر متعمداً بأكل أو شرب أن عليه القضاء والكفارة ، وذهب الشافعي وأحمد وأهل الظاهر إلى أن الكفارة إنما تلزم في الإفطار من الجماع فقط .

والسبب في اختلافهم اختلافهم في جواز قياس المفطر بالأكل والشرب على المفطر بالجماع ، فمن رأى أن شبههما فيه واحد وهو انتهاك حرمة الصوم جعل حكمهما واحد . ومن رأى أنه وإن كانت الكفارة عقاباً لانتهاك الحرمة فإنها أشد مناسبة للجماع منها لغيره (٣) .

وإنني أرجح القول بأن الكفارة إنما تلزم في الإفطار من الجماع فقط لأن هذا الظاهر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : '' جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : هلكت يا رسول الله . قال : **''وما أهلكك ''** ؟ قال : وقعت على امرأتي في رمضان ، قال **هل تجد ما تعتق به رقبة** ؟ قال : لا ، قال **فهل تستطيع أن تصوم الشهرين متتابعين** ؟ قال : لا ، قال : **فهل تجد ما تطعم به ستين مسكينا** ؟ قال : لا ، ثم جلس فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيه تمر فقال : **تصدق بهذا** . فقال: أعلى أفقر مني ؟ فما بين لابتيها أهل بيت أحوج إليه منا ، قال : فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه ، ثم قال : **اذهب فأطعمه اهلك ''** (٤) .

ولأن النبي عليه الصلاة السلام ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً .

وبناء على ذلك فإن المجاهد الذي يستخدم الخدعة عليه أن يأخذ في الحسبان شهر رمضان ؛ فإما أن

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمى ٥٢/١ باب فيما بنى عليه الإسلام ...

(٢)شرح النووي على صحيح مسلم ١٦٦/١ .

(٣)بداية المجتهد ونهاية المقتصد ــ ابن رشد ٢٢١/١ .

(٤)صحيح مسلم ١٣ــ كتاب الصيام ١٤ــ باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان .. رقم [٨١] (١١١١) .

يستخدم خدعة لا تمس بالصيام إذا أمكن ، وإلا أجل الخدعة بعد رمضان إن كانت تحتمل التأجيل ، أو يتظاهر بالشبع ، أو عدم الرغبة في الطعام المقدم ، أو أن معدته لاتقبله .

أما إذا كانت الخدعة لا تحتمل التبديل ولا التأجيل ، وإلا كُشِف أمره ، ووقع بــه و بالمــسلمين ضرر، أو حرج ومشقة ، فحينئذٍ لابــأس باستخــدام الــخدعة ؛ وإن كــانت تــؤدى إلى تــرك الصيام ، ثم يقضي بعد ذلك ؛ فقد ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سافرنا مع رســول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ونحن صيام ، قال : فنــزلنا منــزلاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :'' **إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم** ، فكانت رخصة فمنا من صام ومنــا مــن أفطر، ثم نزلنا منــزلاً آخر فقال : **إنكم مُصبِّحوا عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطِروا** وكانت عزمةً فأفطرنا ، ثم قال : لقد رأيتنا نصوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك في السفر '' (١) .

فهذا الحديث يبين أن الفطر في الجهاد مستحب بل هو مندوب إليه لأن المجاهد يتقوى بــالفطر .

ــ بالإضافة إلى القاعدة الشرعية :''**الضرورات تبيح المحظورات**''(٢) ، فإن فيها متــسعاً للفطــر والقضاء .

المطلب الثالث

شرب الخمر

الخمر محرمة بالكتاب والسنة :

(أ) **أما الكتاب** فقوله تعالى :

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّــنْ عَمَــلِ الــشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ }(٣) .

أكد تحريم الخمر والميسر وجوهاً من التأكيد ، منها : تصدير الجملة بإنما ، ومنها : أنه قرنهما بعبادة الأصنام ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم '' **شارب الخمر كعابد وثن** '' (٤) ، ومنها : أنه جعلهما رجساً ،كما قال تعالى :{ **فاجتنبوا الرجس من الأوثان** } (٥) ، ومنها : أنه جعلهما من عمل الشيطان

---

(١)صحيح مسلم ١٣ــ كتاب الصيام ١٥ــ ١٦ــ ١٧ــ باب جــواز الــصوم و الفطــر في شــهر رمــضان للمــسافر .. رقــم [١٠٢](١١٢٠).

(٢) الوجيز في أصول الفقه عبد الكريم زيدان ص ٣٨٤ .

(٣) سورة المائدة الآية ٩٠ .

(٤)سنن ابن ماجة ٣٠ــ كتاب الأشربة (٣) باب مدمن الخمر رقم ٣٣٧٥ .

(٥)سورة الحج جزء الآية ٣٠ .

والشيطان لا يأتي منه إلا الشر البحت ، ومنها : أنه أمر بالاجتناب ، ومنها : أنه جعل الاجتناب من الفلاح، وإذا كان الاجتناب فلاحاً كان الارتكاب خيبة ومحقة ، ومنها : أنه ذكر ما ينتج منهما من الوبال ، وهو وقوع التعادي والتباغض من أصحاب الخمر والميسر ، وما يؤديان إليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلاة ، وقوله : " **فهل أنتم منتهون** " من أبلغ ما ينهى به كأنه قيل : قد تُلِي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون ؟، أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا و لم تزجروا ؟! (١) .

(ب) **وأما السنة** فالأحاديث فيها كثيرة ، أذكر ثلاثة منها كما يلي :

١ــ روى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**إن على الله عهداً لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال .قيل : وما طينة الخبال ؟ قال: عَـرَقُ أهل النار، أو عصارة أهل النار**"(٢) .

وهذه صورة بشعة مفزعة تؤدى إلى الترهيب والتنفير من شرب الخمر .

٢ــ حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" **لُعِنت الخمر على عشرة أوجه : بعينها وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها** "(٣) .

واللعنة معناها الطرد والإبعاد من الخير ، فالملعون هو المطرود من رحمة الله تعالى ، فيكون بمثابة المقتول الهالك ، والحديث يبين أن من فظاعة الخمر أن كل من اشترك في شيء منها فهو ملعون .

٣ــ وقال الزهري عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : "**اجتنبوا الخمر ؛ فإنها أم الخبائث ، إنه كان رجل فيمن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس ، فعلقته امرأة غوية ، فأرسلت إليه جاريتها تدعوه لشهادة ، فدخل معها ، فطفقت كلما دخل باباً أغلقته دونه ، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام ، وإناء خمر ، فقالت : إني والله ما دعوتك لشهادة ،ولكنْ دعوتك لتقع عليَّ ، أو تقتل هذا الغلام ، أو تشرب هذا الخمر ، فسقته كأساً ، فقال : زيدوني ، فلم يرم حتى وقع عليها ، وقتل النفس ، فاجتنبوا الخمر ، فإنها لا تجتمع هي والإيمانُ أبداً إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه**"(٤) .

---

(١)الكشاف ــ الزمخشري ٥٩/٢ .

(٢) صحيح مسلم ٣٦- كتاب الأشربة ٧- باب بيان أن كل مسكر خمرٌ .. [٧٢](٢٠٠٢) .

(٣) سنن ابن ماجة ٣٠- كتاب الأشربة ٦- باب لعنت الخمر على عشرة أوجه .. (٣٣٨٠) .

(٤)جامع الأصول ــ ابن الأثير ١٠٣/٥ .

مسألة : حكم شرب الخمر لمن أكره عليها

شارب الخمر يحد سواء شرب قليلاً أو كثيراً من عصير العنب أو من غيره ، إلا الصبي والمجنون فلأنهما غير مكلفين ، وكذا الحربي والذمي لأنهما غير ملتزمين ، وكذا الموجر (أي : المصبوب في حلقه قهراً) والمكره على شربه (١) .

أما بالنسبة للإكراه ؛ فإن من أُكره على شرب الخمر بحبس ، أو ضرب ، أو قيد ، لم يحلَّ له ، إلا أن يُكره بما يخاف منه على نفسه ، أو على عضو من أعضائه ، فإذا خاف على ذلك وَسِعَهُ أن يقدم على ما أُكره عليه ؛ لأن تناول المحرمات إنما يباح عند الضرورة ، كما في حال المخمصة ؛ لقيام المحرم فيما وراءها ، ولا ضرورة إلا إذا خاف على النفس ، أو على العضو ، حتى لو خيف على ذلك بالضرب الشديد ، وغلب على ظنه ذلك ؛ يباح له ذلك ، ولا يسعه أن يصبر على ما تُوُعِّدَ به ، فإنْ صَبَرَ حتى أوقعوا به ، ولم يأكل ، فهو آثم ؛ لأنه لما كان بالامتناع عنه معاوناً لغيره من المكرِهِين على هلاك نفسه بتنفيذ وعيدهم ، فيأثم كما في المخمصة .

وقال أبو يوسف رحمه الله : لا يأثم ؛ لأنه رخصة ؛ إذ الحرمة قائمة ، فكان آخذاً بالعزيمة (٢) .

وأرجح هذا الرأي ؛ لأن الأخذ بالعزيمة يدل على قوة الإيمان ، وكذلك كان بلال بن رباح أفضل عند الصحابة من عمار بن ياسر رضى الله عنهم أجمعين (٣) ، إذ إنه أخذ بالعزيمة فلم ينطق بالكفر ، بينما عمار بن ياسر نطق بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان .

وبناء على النهى والتحذير من شرب الخمر الذي ورد في الآية الكريمة ، والأحاديث الشريفة ؛ فإن على المجاهد الذي يستخدم الخدعة أن يبتعد بخدعته عن شرب الخمر ؛ لأن الخمر تجرد شاربها من الإيمان، وتصده عن ذكر الله ، وعن الصلاة ، وتعرضه لغضب الله ، ولعنته ، وعذاب جهنم،والعياذبالله.

فإن قيل : إنما يشربها ليبعد عن نفسه شبهة أنه مسلم أمام الكفار ليخدعهم ، وبخاصة في هذه الأيام التي يأخذون فيها المسلم بأدنى شبهة .

أقول : إن هذه حجة واهية ، لأن هناك من الكفار أنفسهم من لا يشرب الخمر ؛ بل يعافها ويبغضها ، ثم إن شرب الخمر قد يأتي بنتائج عكسية ؛ فقد يفقد العقل ويهذي بأسرار أخرى أخطر من معرفة أنه مسلم ، وقد يُعرف أنه مسلم ، ولا يحدث له شيء .

(١)قليوبي وعميرة ٢٠٢/٤ في الهامش .

(٢) الهداية شرح بداية المبتدي للمرغيناني ٣١٠/٣ .

(٣) أول من أظهر إسلامه ستة : أبو بكر ، وعمار ، وسمية ، وبلال ، وصهيب ، والمقداد ، فأما النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فمنعهما الله بقومهما ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون ، فألبسوهم أدرع الحديد ، وصهروهم في الشمس،فما منهم أحد إلا وآتاهم ما أرادوا ، إلا بلالاً فإنه هانت عليه نفسه فى الله ، وهان على قومه ، فأعطوه الوِلدان ، فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول أحد أحد . . سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٤٧/١ .

المطلب الرابع

اقتراف الزنى

إن الزنى من الكبائر المحرمة بالكتاب والسنة :

(أ) ـــ **أما الكتاب** ، فمن بضع آيات ؛ منها :

١ـــ قوله تعالى : **{وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً }** (١) .

حيث نهى سبحانه وتعالى عباده عن الزنى ، وعن مقاربته ومخالطة أسبابه ودواعيه ؛ لأنـــه ذنـــب عظيم، وبئس هو طريقاً ومسلكاً (٢) ؛ لأنه طريق أهل معصية الله و المخالفين أمره (٣) ، وهـــو قـــبح متبالغ في القبح مجاوز للحد ؛ ولأنه يؤدي إلى النار ، ولا خلاف في كونه من كبائر الذنوب (٤) .

٢ـــ قوله تعالى : **{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ}** (٥) .

إن هذا هو عذاب الزانية والزاني فى الدنيا إذا كانا أعزبين غير متزوجين ؛ فإن كانا متـــزوجين، أو قد تزوجا ولو مرة فى العمر ؛ فإنهما يرجمان بالحجارة إلى أن يموتا ، كذلك ثبت فى السنة عـــن الـــنبي صلى الله عليه وسلم ، فإن لم يُستَوْفَ الحد منهما فى الدنيا ، وستر الله عليهما فأمرهما إلى الله ؛ إن شاء غفر لهما ، وإن شاء عذبهما (٦) .

(ب) ـــ **وأما السنة** فأكتفى منها بثلاثة أحاديث اختصاراً :-

١ـــ عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم :"**لايزني الزاني حين يزنى وهو مؤمن ، ولايسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولايشرب الخمر حين يشربها وهـــو مـــؤمن ، ولاينتهب نُهْبَةً ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن** "(٧) .

أي من يفعل هذه الصفات ينتفي عنه الإيمان لحظة فعلها .

٢ـــ وعن أبي هريرة أيضا رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"**إذا زنى العبد خـــرج منه الإيمان ، فكان كالظلة على رأسه ، ثم إذا أقلع رجع إليه الإيمان** "(٨) .

---

(١) سورة الإسراء الآية ٣٢ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ـــ ابن كثير ٣٨/٣ .

(٣)جامع البيان ـــ الطبري ٨٠/٩ .

(٤)فتح القدير ـــ الشوكاني ٢٧٨/٣ .

(٥) سورة النور الآية ٢ .

(٦)الكبائر ـــ شمس الدين الذهبي ص٥٠ ، صحيح البخاري (٨٦) كتاب الحدود (٨) باب الحدود كفارة رقم (٦٧٨٤) .

(٧)صحيح البخاري ٤٦- كتاب المظالم ٣٠- باب النهى بغير إذن صاحبه .. (٢٤٧٥) .

(٨) سنن الترمذى ٤١- كتاب الإيمان ١١- باب ما جاء لا يزنى الزاني وهو مؤمن ..(٢٦٢٥) .

إن هذا الحديث صريح فى أن الذي يرتكب تلك الفاحشة يخرج منه الإيمان ، وهو خطر فى الدين، فدل على حرمة الزنى ؛بل على كونه من الكبائر .

٣ــ وعن أبي هريرة أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"**ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم ؛ شيخٌ زانٍ ، ومَلِكٌ كذاب ، وعائل مستكبر**"(١).

إن هذا الحديث يصرِّح أن من ضمن الثلاثة الذين يُحْرمون لذة النظر إلى وجه الله الكريم ، وكلامه، وتزكيته ؛ أي مدحه وتطهيره لهم : الشيخ الذي يرتكب تلك الفاحشة الكبرى .

وأما الإكراه على الزنى إن وُجِد سببه : وهو التهديد الواقع بالفعل ؛ أي بالقتل ، أو إتلاف عضو من أعضائه ، فلا حدَّ عليه ؛ لأن انتشار الآلة من الرجل قد لايدل على الطواعية ، بل قد يكون من غير قصد ؛ لأن الانتشار قد يكون طبعاً لاطوعاً ، كما فى النائم ، فأورث شبهة (٢) .

وقد حدث ذلك فى سجن أبي غريب فى العراق من إكراه قوات الاحتلال الأمريكي للسجناء العراقيين ، وتهديدهم بالقتل وغيره .. وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أما المجاهد الذي يستخدم الخدعة فعليه أن يبتعد بخدعته عن تعاطى الزنى ، وذلك للنهى والترهيب الوارد فى الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة ، عن هذه الفاحشة البغيضة إلى أصحاب الفطر السليمة، فهي من الكبائر ، وساءت سبيلاً ، وهى تنفى عن فاعلها الإيمان .

وعقوبتها فى الدنيا الرجم للمحصن ، والجلد لغير المحصن ، وفى الآخرة – إن لم يُستَوْفَ الحدُّ فى الدنيا أو التوبة – العذاب فى النار ، وإن المسلم يلتزم بأحكام الإسلام أينما كان مقامه (٣) .

وليس فى تعاطي الزنى خدعة أصلاً ، بل قد يُلْحِقُ به الزنى ضرراً كبيراً أكثر من خدعته بكثير ، وَيُخْدَعُ بدل أن يَخْدَعَ ؛ ذلك أن الأعداء يعتمدون كثيراً على هذه الطريقة فى تجنيد العملاء ، ولهم خبرة كبيرة فى هذا المجال ، ولهم جنود كثر ؛ بل هو من أشد الموبقات خطراً علينا ، أضفْ إلى ذلك ما قد ينتج عنه من مرض الإيدز وغيره ..

ملاحظة : من الملاحظ أنني رجَّحت الترخيص بترك الصلاة وترك الصيام عند استخدام الخدعة في حال الضرورة و لم أرجح الترخيص بشرب الخمر واقتراف الزنا ؛ وذلك للآتي :

١ ــ التحذير الشديد الوارد في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة بخصوص شرب الخمر والزنا ، بخلاف الصلاة والصيام ؛ حيث وردت الأحاديث الشريفة بمشروعية القضاء ، والله تعالى يقول بخصوص

---

(١) صحيح مسلم ١- كتاب الإيمان ٤٦- باب غلظ تحريم إسبال الإزار .. [١٧٢](١٠٧) .
(٢) الهداية للمرغيناني ٢/٣٩٢ .
(٣) نفس المرجع ٢/٣٩٠ .

الصيام : { **فعدةٌ من أيامٍ أُخر** } (١) ، وفي حديث أبي سعيد الخدري السابق رضى الله عنه ، قول النبي صلى الله عليه وسلم "**إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم ، فكانت رخصة ..**" (٢) .

٢ ـــ إن ترك الصلاة والصيام فيهما متسع من الوقت للقضاء ، بينما شرب الخمر والزنا يتـــدرج فيهما الإنسان من سيئ إلى أسوأ و يصعب الفطام عنهما ، والضرر الناشئ عنهما أكثر من الضرر الناتج عن ترك الصلاة والصيام ؛ كذهاب العقل و اختلاط الأنساب .

---

(١)سورة البقرة جزء الآية ١٨٤ .

(٢)سبق تخريجه ص٥٩ حاشية ١ .

الفصل الثالث

أهداف الخدعة

لكي تُستخدم الخدعة في الحرب لا بد أن يكون لها أهداف ضرورية ومُبرَّرة ، و بخاصـة عنـدما تكون فيها مخالفة شرعية ؛كترك الصلاة ،أو الصيام ..حتى ينطبق عليها قول الله تعالى :**{ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}**(١)،و حتى تنطبق عليها القاعدة الأصولية "**الضرورات تبيح المحظورات**"(٢) ؛ و حتى لا تكون عبثاً ؛ لأن الشرع الحنيف لا يقرُّ العبث ، و عدم الفائدة .

و المخالفة في الخدعة قد تكون حالة نادرة أو مستثناة ، بينما الغالب في الخدعة ألا تكون فيها مخالفة شرعية ، و بخاصة عندما تكون على طريقة المعاريض (٣)، ثم إنها تستخدم من أجل أسباب وجيهة وقيِّمة ، و لا غِنىً عنها ، و من ذلك التغلب على العدو في الحرب ، و تقليل الخسائر في صفوف جندنا، و الوقوف على خطط العدو ، و معرفة أسرارهم ، و تضليلهم ، وإضعاف الروح المعنوية عند جنودهم .

وهذه الأسباب تناولتها بالدراسة والبحث فى المباحث الخمسة التالية :

المبحث الأول : التغلب على العدو فى الحرب .

المبحث الثاني : تقليل الخسائر فى صفوف جندنا .

المبحث الثالث : الوقوف على قوة العدو ومعرفة خططهم وأسرارهم .

المبحث الرابع : تضليل العدو .

المبحث الخامس : إضعاف الروح المعنوية للعدو (الحرب النفسية) .

---

(١) سورة البقرة جزء الآية ١٧٣ .

(٢) الوجيز فى أصول الفقه – عبد الكريم زيدان ص٣٨٤ .

(٣) سبق تعريف المعاريض ص٢٩ .

المبحث الأول

التغلب على العدو فى الحرب

إن الهدف الأول لاستخدام الخدعة فى الحرب هو التغلب على العدو ، وكسر شوكته ، وشَلُّ قوته وتحطيم طاقته المادية والمعنوية ؛ ليكون النصر عليه حاسماً ، يؤدى إلى استسلامه ، وبأقل الخسائر .

وبناءً على ذلك فقد قسمتُ هذا المبحث إلى ثلاثةِ مطالبَ ، تحدثت فى الأول منها عن أن التغلب يجب أن يكون فى كافة المجالات ، والمطلب الثاني عن صفات القائد فى الحرب ، والثالث عن أن التكنولوجيا العسكرية لاغنى لها عن الإنسان.

المطلب الأول

التغلب فى كافة المجالات

يجب أن يكون التغلب في كافة المجالات ، ليس العسكرية فحسب ، وإنما العسكرية منها ، والسياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والتعليمية ، وحتى العقدية (١) .

وذلك لأن الاستراتيجية العليا للدولة تشمل كافة تلك المجالات ، بينما التكتيك يكون عبارة عما يجرى من تدابير ، وترتيبات ، وابتكارات ، أثناء المعركة(٢) .

إن هذا التغلب يجب أن يكون حاسماً وشاملاً وساحقاً ؛ حتى لايفكر العدو فى الانقضاض علينا مرةً أخرى ، وهذا يتطلب ملاحقته أيضا بعد هزيمته عسكرياً ، ولا نترك له فرصةً لالتقاط أنفاسه ؛ بل يجب التغلب عليه سياسياً، واقتصادياً ، واجتماعياً ، ونفسياً .

والحَسْم فى القتال هو : بالإضافة إلى العامل النفسي أو الحالة النفسية للقادة والجند : تدمير قوات العدو وإبادها ، والمعركة الحاسمة : هي التي يتم فيها تدمير تجمع العدو المقاتل ، والمطاردة السريعة .

فالحرب هي الحرب ولا مجال فيها للتهاون أو العبث أو التساهل ، والمقاتل لم يحمل السلاح إلا للقتال وهو إن لم يقتل خصمه فخصمه قاتله لا محالة ، فالعنف في الحرب من طبيعتها (٣) .

ويتضح مبدأ الحسم فى المعركة من القرآن الكريم فى قوله تعالى : **{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ }** (٤)

وجه الدلالة : بينت الآية الكريمة أن ضرب الرؤوس التي تفكر فى حربنا أبلغ من الضرب فى أي

---

(١) الدهاء فى الحرب - العماد حسن تركماني ص٢٢٥ .
(٢) الجهاد والقتال – محمد خير هيكل ٢/ ١٢٩٢ .
(٣)المذهب العسكري الإسلامي ــ بسام العسلي ص٢١٧ .
(٤)سورة الأنفال الآية ١٢ .

مكان آخر من الجسد ؛ لأن أقل ضربة تؤثر فى الدماغ ، وكذلك قطع الأصابع التي تحمل السلاح ضدنا، فكلاهما يؤدى إلى حسم المعركة ؛ حيث لم تعد هناك رؤوس تفكر فى حربنا ، و لم تعد هناك أيدٍ تحمل السلاح ضدنا (١) .

إن الحرب العسكرية فى هذه الأيام بالذات لاتستغني عن أي نوع من أنواع الحروب الأخرى ، بل إنها مرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً ؛ فالجيش المحارب يحتاج دائماً لأن يكون عنده اقتصاد قوى يزوده بالسلاح والعتاد ، والوقود ، وحتى بالطعام ، كما أنه يحتاج أيضا إلى قيادة سياسية بارعة مُحنَّكة ، عندها دراية بأمور الحرب وحسن التصرف ، كما أن الجند أيضا بحاجة ؛ لأنْ تكونَ معنوياتُهم عالية ، عندهم ثقة بأنفسهم ، ومعرفة بالهدف الذي يحاربون من أجله (٢) ، وهم بحاجة لأن يكونوا مترابطين اجتماعيا ، فلا يكونوا شيعاً وأحزاباً وطوائفَ وفِرَقاً ، يتنازعون فيفشلون ، و تذهب ريحهم وقوتهم ، وأن يكونوا على قدرٍ كافٍ من التدريب والثقافة العامة ، والمعلومات الكافية التي لاغنىً عنها فى مواجهة الأعداء ..

إن كل هذه الأمور عندما ترافقها الخدعة أو التمويه ؛ كتضخيم القوة ، وإظهارها بمظهرٍ يُرْهب العدو ، أو إخفاء المُعدات والجنود عن أعين الأعداء بتضليلهم ، أو استخدام الإشاعات .. إلى غير ذلك من الأمور يكون لها أثر طيب على نتيجة المعركة .

المطلب الثاني

مواهب القائد وأثرها على المعركة

إن التغلب على العدو يتعلق بدرجة كبيرة بعقل القائد ، وصفاته الشخصية الأخرى ، فَبِدون مواهب القادة فى الابتكار والإبداع لم نكن لنسمع أو نقرأ عن رجال عظام فى أي مجال من المجالات ، ولاسيما فى مجال فن الحرب ، فالحرب هي سلسلة غير متناهية من المفاجآت والاحتمالات التي تتطلب تدخل القادة بقدراتهم الصائبة ، ويمكن لأحد القرارات غير الصائبة فى إحدى الحالات أن تُودِيَ بالجيش فى موارد الهلاك (٣) .

ومن الضرورة بمكان أخذ دهاء القائد وحنكته بعين الاعتبار ، وتقديرها عند العدو المقابل ؛ لأن هذا العدو يقوم من طرفه بتقدير الموقف ، ووضع عشرات الحالات والاحتمالات لخوض المعركة والحرب ، وكذلك العديد من طرائق الخداع وأساليبه ، كما يدرس كل المفاجآت الممكنة ، وتقدير الصفات الشخصية لقائد القوات المقابلة ؛ كإنسان وقائد عسكري .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي ٣٧٨/٧ ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ــ للكاساني ١٤٧/٧ .

(٢)فن القيادة في الإسلام ــ أحمد بصبوص ص١٩٩ ، النظرية الإسلامية في القيادة الحربية ــ جمال محفوظ ص٨٠ .

(٣) الدهاء فى الحرب ــ العماد حسن توركماني ص٣٥ .

وفى حالة تساوي القوى ، والإعداد القتالي للطرفين ؛ سيكون النصر فى الميدان من نصيب ذلــك القائد الذي يتمتع بمستوىً أعلى من الصفات العقلية فى مجال التنبؤ ، والبداهة ، والمخيلة الإبداعيــة ؛ إضافة إلى الإحساس بأهمية الزمن ، واستثمار معرفته بشروط الأرض ، وغير ذلك من الــصفات الــتي تنجم عن عقل القائد وذكائه (١) .

قال أحد الحكماء العجم : **"أسدٌ يقود ألف ثعلب خيرٌ من ثعلبٍ يقود ألف أسد "**(٢) .

وقال السرماري البطل المجاهد المشهور (٣): ينبغى أن يكون فى قائد المجاهدين عشر خصال :

١ــ أن يكون فى قوة قلب الأسد ، فلا يجبن .

٢ــ وفى كِبْر نفسية النَّمر ، فلا يتواضع أمام الأعداء .

٣ــ وفى شجاعة الدُبِّ ، يقتل بكل جوارحه .

٤ــ وفى حملة الخنـــزير ، لا يولِّي دُبُرَه .

٥ــ وفى إغارة الذئب ، إذا أيس من وجه أغار من وجه آخر .

٦ــ وفى حمل السلاح كالنملة ، تحمل أكثر من وزنها .

٧ــ وفى الثبات كالصخر لايلين .

٨ ــ وفى الصبر كالحمار لا يئن ولا يشتكى .

٩ ــ وفى الوقاحة كالكلب ، لو دخل صيده النار لدخل خلفه .

١٠ ــ وفى الْتماس الفرصة كالديك ، يسرع إلى الْتقاط الحَــبِّ ، قبــل أن تتخطفــه الديكــة الآخرون(٤) .

يجب أن يكون عند القادة سعة اطلاع ، ليس فقط فى مجال عملهم من المعرفة بالسلاح والعتــاد ، والقضايا العامة المتعلقة بالاقتصاد والسياسة ؛ بل أيضا بشكل خاص دراسة العــدو بدقــة ، ومعرفــة إمكانياته ، وأساليب عمله ؛ للتنبؤ بما ينوي عمله فى مجال شن الحرب ، أو أساليب خوضها ، ونقــاط الضعف والقوة لديه .

---

(١) الدهاء فى الحرب ــ العماد حسن توركمانى ص٣٥ .

(٢) تهذيب مشارع الأشواق ــ صلاح الخالدى ص٣٩٠ .

(٣) السرماري : هو أحمد بن إسحاق السرمارى البخاري ، هو الإمام الزاهد المجاهد الفارس المشهور شيخ البخاري أحد شجعان العــالم المضروب بشجاعته المثل ، قال عنه البخاري : ما بلغنا أنه كان فى الجاهلية ولا فى الإسلام مثله . قال عن نفسه : لقد قتلت بسيفي هــذا ألف تركي كافر ، وإن عشت قتلت به ألفا آخرين توفى سنة إحدى وأربعين ومائتين على فراشه رحمه الله ورضى عنه . . كتاب تهــذيب مشارع الأشواق ص٣٦٥ ، كتاب الثقات ــ محمد بن حبان التميمى البستى ١٢/٨ ، المقتنى فى سرد الكنى ــ للذهبي ٣٢٠/١ .

(٤) تهذيب مشارع الاشواق ــ صلاح الخالدي ص٣٩٠ .

إن امتلاك هذه المعلومات ، وإعمال الفكر بها ، هو المقدمة لإنتاج أساليب الدهاء ، والخداع ، والتضليل ، المناسبة والضرورية ؛ لتحقيق المفاجآت فى الحروب ، سواء كانت تلك التدابير فَنِّية ، أو أساليب استخدام جديدة ، أو وسائل خداع ، أو تمويه وتضليل ، أو أعمال تظاهرية (١) .

المطلب الثالث

لا غنى للتكنولوجيا العسكرية عن الإنسان

إن ذكاء القادة و فطنتهم تؤكد أهمية الإنسان بالدرجة الأولى ،مهما تطورت الوسائل ، ومهما تنوعت أو أصبحت أكثر دقة ، وأكثر تدميراً ، أو أكثر قدرة على الكشف والاستطلاع ليلا ونهاراً ؛ بواسطة الأقمار وطائرات التجسس وسفنه ، وغير ذلك ، و سيبقى الإنسان هو القولَ الفصلَ فى القرار؛ لانتخاب أفضل الحلول التي تقدمها الحواسيب المزودة بكل أنواع المعلومات ، وسيبقى للعقل البشرى ونشاطه الدوْرُ الأساس في ابتداع الحلول الخلاقة ، لخداع العدو ، وتضليله ، والمحافظة على سرية الأعمال والتدابير والمعلومات ؛ تمهيداً لمفاجأته ،و التغلب عليه ،وتحقيق النصر (٢).

يقول اللواء الركن محمد جمال محفوظ في كتابه (العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية) :

"إن أهم ما يقرره (العلم العسكري)في العصر الحديث أن (الإنسان) هو العنصر الحاسم فى بناء الكفاءة القتالية للقوات العسكرية ، وفى قدرتها على أداء مهامها فى السلم والحرب .. ويعبر عن هذا قول مشهور يعرفه العسكريون : **"ليست العبرة بالمدفع .. ولكن بالرجال الذين وراء هذا المدفع — لا توجد وحدة رديئة ؛ بل قائد رديء.**

ومن أهم ما يقرره (علم الإدارة) فى هذا العصر أيضا ، أن (الإنسان) هو العنصر الحاسم فى كفاءة أية منظمة إدارية ، وفى قدرتها على تحقيق أهدافها .

ويعبر عن هذا المعنى أيضا قول مشهور يعرفه رجال الإدارة :**"إن أكثر النظم تطوراً وكفاية لا يساوي أكثر مما يتوفر له من الرجال ".**

إن أهم العوامل الاستراتيجية فى حفز التعاون البشرى هو قدرة القائد " (٣).

فالعنصر البشرى يظل هو العنصر المتفرد فى المعادلة العسكرية ، ويبقى الإدراك الحسي الطبيعي عاملاً حاسماً فى سير العمليات الحربية .

(١) الدهاء فى الحرب — العماد حسن توركمانى ص٢٦٦ .

(٢) نفس المرجع ص٢٦٥ .

(٣) العسكرية الاسلامية محمد جمال محفوظ ص٢٩ .

المبحث الثاني

تقليل الخسائر في صفوف الجند

إن الإنسان المؤمن له عند الله قدر عظيم ، وشأن كبير ، لذا فقد جاءت الشريعة الإسلامية بالمحافظة على هذا الإنسان ، ومن النصوص الشاهدة بذلك :

١ـــ روى البراء بن عازب رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :**{لَزَوَال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق }** (١) .

أي أن قتل المؤمن بغير حق شيء عظيم ، يؤدي إلى غضب الله تعالى وسخطه أكثر مما لو زالت الدنيا كلها التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة ، فضلا عن المؤمن المُوحِّد .

٢ـــ وروى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ، ويقول :**"ما أطيبك وأطيب ريحك !. ما أعظمك وأعظم حرمتك !. والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمةً منك ؛ مالِهِ ودمِهِ ، وأن يظن به إلا خيرا "**(٢) .

فقد بَيَّن الحديث الشريف أن حرمة دمِ المؤمن ومالِهِ أعظم عند الله من حرمة الكعبة ؛ بحيث لو هُدِمت الكعبة يكون الذنب أقل مما لو قُتِل مؤمن بغير حق .

٣ـــ وقد بَيَّن القرآن الكريم مدى رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بأمته ،وحُبّه لها ،وحرصه عليها ،وإبعاد الحرج والمشقة عنها ، في قوله تعالى :**{ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }**(٣) .

أي أن من نعمة الله علينا نحن ـــ المسلمين ـــ أن جاء النبي صلى الله عليه وسلم بلسان عربي نفهمه، وشرفنا برسالته ؛ لأنه أشرف الخلق وأفضلهم ، وتَعِزُّ عليه مشقَّتُنا ودخولنا النار ، و هو مُبالِغ في الرأفة و الشفقة علينا ، ولا يهمه إلا شأننا ، و هو حريص علينا أن نؤمن وندخل الجنة ، ثم هو يشفع لنا يوم القيامة .

ومن أجل بيان هذا المقصد ، وهو المحافظة على أرواح الجنود ، وتقليل الخسائر في صفوفهم بقدر المستطاع ، تناولت في هذا المبحث أربعة مطالب ، تحدثت في الأول منها عن حرص القادة المسلمين على أرواح جنودهم ، وفي الثاني عن أهمية الأمن للجنود ، والثالث في إلمام الجنود بهدف القتال ، وفي المطلب الرابع حديث عن دور براعة القائد في تقليل الخسائر .

---

(١) سنن ابن ماجة ٢١ـــ كتاب الديات ١ـــ باب التغليظ فى قتل مسلم ظلما رقم ٢٦١٩ .

(٢) سنن ابن ماجة ٣٦ـــ كتاب الفتن ٢ـــ باب حرمة دم المؤمن وماله رقم ٣٩٣٢ .

(٣) سورة التوبة الآية ١٢٨

المطلب الأول

حرص القادة المسلمين على أرواح جنودهم

كان الخلفاء المسلمون يوصون قادة الجيش بالمحافظة على الجند ، وتَفَقُّد أحوالهم ، واتخـاذ كافـة الاحتياطات التي تؤدى إلى تفوقهم ، وتقليل الخسائر فيهم بقدر المستطاع .

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي أبا عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة - وقد تولى قيادة جيش من جيوش فتح بلاد الشام - ، وكان مما قاله له:"**لا تُقْدم المسلمين إلى هَلَكَةٍ رجاء غنيمة ،ولا تنـزلهم منـزلاً قبل أن تستريده لهم ، وتعلم كيف مأتاه ، ولا تبعث سريةً إلا في كنف** (١) **مـن الناس، وإياك وإلقاء المسلمين في الهلكة** "(٢) .

فقد أوصى عمر رضى الله عنه قائد جيشه أن لايكون هدفه من القتال الحصول على الغنائم إذا كان ذلك يؤدي إلى قتل الكثير من الجند ، وأن لا ينـزلهم في مكان غير مناسب لهم أو يكون التفوق فيـه للعدو ، وأن لا يبعث سرية إلا بناء على معلومات دقيقة وخطط سليمة ..

كذلك علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن عامل البحرين (العلاء بن الحضرمي) قـد ركـب البحر لغزو بلاد فارس من جهته ـــ بدون إذن عمر ـــ ، وأن الفُرْس قد أغرقوا مراكبه وحاصـروه ، فكتب إلى أمير الكوفة (عتبة بن غزوان) : "**إن العلاء بن الحضرمي حمل جنـداً مـن المـسلمين، فأقطعهم** (٣) **أهل فارس ، وعصانـي ، وأظنه لم يرد الله بذلك ، فخشيت عليهم ألا يُنصروا ، وأن يغلبوا وينشبوا** (٤) ، **فاندب إليهم الناس ، وضمهم إليك من قبل أن يُجتاحوا** " (٥).

كذلك قصة ركوب المسلمين للبحر من القصص المعروفة التي تبرز حرص أمراء المـسلمين علـى مجاهديهم ؛ فقد وجد أمير الشام ـــ معاوية بن أبي سفيان ـــ أنه لابد من ركوب البحر ؛ للدفاع عـن بلاد الشام ومصر ، وحمايتها من غدر الروم ، ومن هجماتهم عَبْر البحر ، ولكن كان لابد لـه مـن استئذان أمير المؤمنين عمر ، فكتب إليه يستأذنه ، وأراد أمير المؤمنين معرفة ما يحمله البحر من الأخطار، فكتب إلى عامله فى مصر (عمرو بن العاص)"**صف لي البحر وراكبه ، فإن نفسي تنازعني إليه..**".

وقد رد عمرو بن العاص برسالته الشهيرة : "**إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير ، ليس إلا**

---

(١)كنف : إحاطة وصيانة وستر .. مختار الصحاح ـــ عبد القادر الرازي ص٥٨٠ .

(٢)البداية والنهاية ـــ ابن كثير ١٩/٧ .

(٣) فأقطعهم : أي أعطاهم قطعة أو طائفة من أرض الخراج . مختار الصحاح ـــ للرازي ص٥٤٣ .

(٤) ينشبوا : أي يرموا بالنشاب وهى السهام ـــ مختار الصحاح للرازى ص٦٥٩ .

(٥)تاريخ الطبري ١٧٨/٣ سنة ١٧ هـــ .

السماء والماء ، إنْ سكن خرق القلوب ، وإنْ تحرك أزاغ العقول ، يزداد فيه اليقين قلة ، والشك كثرة ، هم فيه كدودٍ على عود ، إنْ مال غرق ، وإن نجا برق " (١) .

فكتب أمير المؤمنين عمر إلى معاوية : **"..كيف أحمل الجنود فى هذا البحر الكافر(٢)المستصعب، وتالله لمسلم أحب إلَّي مما حوت الروم ، وإياك أن تَعْرض لي ، وقد تقدمتُ إليك ، وقد علمتَ ما لقي العلاء بن الحضرمي منى ، ولم أتقدم إليه فى مثل ذلك" .**

فلما كان عهد أمير المؤمنين عثمان ،عاد معاوية واستأذنه فى ركوب البحر ، فأجابه أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه : **" لا تنتخب الناس ، ولا تُقْرِع بينهم ، خَيِّرهم ، فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه"** (٣).

المطلب الثاني

وجوب الأمن للجنود

إن من أسباب تفوق الجيش ، وتقليل الخسائر فيه ، الحيطة والحذر ، ومن الأدلة على ذلك :

١ــ يقول سبحانه وتعالى : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ..}** (٤) .

وجه الدلالة : أمر الله تعالى المؤمنين المخلصين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بإحياء دينه، وإعلاء دعوته ، وأمرهم ألا يقتحموا على عدوهم على جهالة ؛ حتى يتحسسوا إلى ما عندهم ،ويعلموا كيف يَرِدُون عليهم ؛ لأنه أثبت لهم ، فقال : **{ خُذُواْ حِذْرَكُمْ }**، أي كونوا دائما حذرين متيقظين متحرزين من عدوكم (٥).

٢ــ وكذلك ما ورد فى القرآن الكريم بشأن الصلاة فى الحرب ؛ فقد أمر الله تعالى بأدائها فى وقتها ؛ ولكنْ ركعتين بدلاً من أربعٍ ، وأمر أن تُصلِّيَ طائفةٌ مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، بينما الطائفة الأخرى فى موقف الحراسة ، حتى إذا فرغت الطائفة الأولى اتخذ كل من الفريقين حالة الآخر.

قال تعالى :**{ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً..}**(٦).

---

(١)برق : أي تحير وشخص بصره ، فلم يطرف ، ومنه قوله تعالى : {فإذا برق البصر}القيامة ٧. مختار الصحاح ــ للرازي ص٤٩ .

(٢) الكافر : أي الساتر المغطي الذي يستر ما بداخله ؛ لان (الكَفْر) بالفتح : التغطية . مختار الصحاح ــ للرازي ص٥٧٣ .

(٣) تاريخ الطبري ٤/٢٥٨ ــ٢٦٠ أحداث سنة ٢٨هــ فتح قبرص .

(٤) سورة النساء جزء الآية ٧١ .

(٥)الأساس في التفسير ــ سعيد حوى ٢/١١٢٥-١١٢٦ .

(٦) سورة النساء جزء الآية ١٠٢ .

وهكذا أوجب على المصلين أن تكون معهم أسلحتهم ، وجعل الطائفة الثانية للحراسة حتى لايباغتهم العدو .

٣ــ كذلك الاستعداد التام والمستمر ؛ حيث يقول سبحانه : **{ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ ..}**(١).

وجه الدلالة : إن إعداد القوة ، والتدرب الدائم على الرمي ، ورباط الخيل ، يوحي بالجاهزية القصوى فى أي وقت ، وبمختلف صنوف القوة وألوانها وأسبابها وبأقصى طاقة ، بحيث لا تقعد العصبة المسلمة عن سبب من أسباب القوة يدخل في طاقتها ، و فيه إرعاب الأعداء الظاهرين منهم ومن وراءهم ممن لا تعرفوهم (٢) ؛ حتى لايفاجئنا العدو ، ويأخذنا على حين غِرَّة ، و هذا الاستعداد يؤدى إلى تحقيق الأمن للجنود .

٤ــ وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أبو هريرة رضى الله عنه : **"من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه فى سبيل الله ، يطير على متنه ، كلما سمع هيعة** (٣)**، أو فزعة طار عليه ، يبتغى القتل والموت مظانه ، أو رجل فى غُنَيِّمَة فى رأس شعفة من هذه الشعف ، أو بطن وادٍ من هذه الأودية، يقيم الصلاة ، ويؤتى الزكاة ، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ، ليس من الناس إلا فى خير"**(٤).

فقد بَيَّن صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث أن أفضل الناس ذلك الرجل المجاهد أو المرابط الذي يكون على أتمِّ الاستعداد بمجرد أن يسمع خطراً على حدود دولة الإسلام ، أو هجوماً عليها ، يهبُّ فوراً للقتال والدفاع ، وهو بعمومه يشمل أمن الجيش ، كما يشمل أمن المجتمع كله .

ويقوم مقام ذلك فى العصر الحديث طيارو المقاتلات الاعتراضية الذين ينطلقون لقتال طائرات العدو المغيرة ، وهذا الأسلوب تتبعه كل جيوش العالم اليوم ، حيث تُخَصِّص جانباً من طائراتها المقاتلة الاعتراضية ؛ لتكون فى أقصى درجات الاستعداد القتالي ؛ للانطلاق فور صدور الإنذار ، ذلك فى إطار خطة الدفاع الجوى عن الدولة .

إن مثل هذا نجده فى القواعد البحرية كذلك ، وعلى ظهر الأساطيل التي تجوب البحار والمحيطات ؛ حيث نجد حاملات الطائرات تحمل قوات خاصة ، ورجال مظلات ، يكونون على أهبة الاستعداد ؛ لتنتقل بهم الطائرات إلى الموضع المطلوب (٥).

---

(١) سورة الانفال جزء الآية ٦٠ . (٢) في ظلال القرآن ــ سيد قطب ١٥٤٣/٣-١٥٤٤ .

(٣)هيعة : الصوت الذي تفزع منه وتخافه من عدو ــ النهاية في غريب الحديث ــ ابن الأثير ١١٥/١ .

(٤)صحيح مسلم ٣٣ــ كتاب الإمارة ٣٤ــ باب فضل الجهاد والرباط رقم (١٢٥)[١٨٨٩] .

(٥)العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية ــ محمد جمال محفوظ ص٩٠-٩١ .

كذلك من أسباب تقليل الخسائر فى الجند المحافظةُ على الأسرار ؛ أسرار الدولة والجيش ، وأماكن وجوده ،وأعداده ، ومعداته ..، وحرمان العدو من معرفة هذه المعلومات بقدر المستطاع بالسرية والكتمان ، وفى المقابل بالاطلاع على أحدث المعلومات وأدقها عن العدو .

وقد أثبت التاريخ أن من أسباب انتصار المسلمين على أعدائهم الكثيرين أن أسرار النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسرار المسلمين ، كانت مصونة وبعيدة عن متناول الأعداء ، فى الوقت الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يطَّلع على نيات أعدائه العدوانية ؛ عن طريق عيونه وأرصاده ــ أي رجال مخابراته ــ فى وقت مبكر ، فيعمل من جانبه على إحباط ما يُبَيِّتونه للإسلام من غدر وخيانة ودسائس .

كذلك لم يستطع المشركون ، وأعداء الإسلام ، أن يُباغِتوا قواتِ النبي صلى الله عليه وسلم فى الزمان أو المكان ، أو بأسلوب القتال غالباً ،بينما استطاع هو صلى الله عليه وسلم أن يباغت أعداءه فى معظم غزواته وسراياه .

وذلك أبلغ دليل على ما للأمن ، ومقاومة الجاسوسية ، من تقدير فى نظر الإسلام (١).

المطلب الثالث

اطلاع الجنود على هدف الحرب

إن من أسباب تقليل الخسائر أيضا فى الجنود ، ونجاعة أدائهم ، أن أهداف الحرب تكون واضحة لهم ، مفهومة فى تصوراتهم ، ويجب أيضا مداومة إعلامهم بها (٢) ؛ لأنه كلما زادت المعرفة بها كلما زادت الفرصة للمبادأة ، وحسن التصرف ، فالفرد المُلِمُّ بنوع المهمة ، العارف بأبعادها ونتائجها ،الذي يخرج إلى المعركة صاحب هدف محدد عالماً به كل العلم ، خَيرٌ ألف مرة من فرد آخر يُساقُ إلى مهمةٍ لا يعرف عنها شيئاً .

قال تعالى : **{أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}** (٣).

حيث ضرب الله سبحانه مثلاً للمؤمن و الكافر ، فالكافر يمشي (**مُكِبًّا**) أي منكساً لا ينظر أمامه ولايمينه ولاشماله ، فهو لا يأمن من العثور والانكباب على وجهه ، و هذا ليس كمن يمشى سوياً معتدلاً ناظراً ما بين يديه وعن يمينه وعن شماله وهو المؤمن المهتدي بنور ربه ، والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكَيْن(٤).

---

(١)العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية ــ محمد محفوظ ص ٩٠-٩١ .

(٢) فن القيادة فى الإسلام ــ أحمد بصبوص ص١٩٣ .

(٣) سورة الملك الآية ٢٢ .

(٤)الجامع لأحكام القرآن ــ للقرطبي ٢١٩/١٨ ، محاسن التأويل ــ محمد جمال الدين القاسمي ٥٨٨٨/١٦ .

إن القيادة الحقة هي التي تحرص دائماً على إعلام الأفراد بالمعلومات أولاً بأول ، فيتحركون من ذواهم قبل أن تحركهم ، وينطلقون نحو الهدف قبل أن تقودهم .

إن المجهول دائماً عقبة صعبة ، ليس من السهل تجاوزها أو تخطِّيها ، ويوم أن يعرف الكل أهدافه لايحتاج الأمر إلى قرارات ملزمة ، ولا إلى تعليمات متوالية ، فقد تطرأ ظروف على ساحة المعركة ، ويتفرق الجند على مساحة واسعة من الأرض ، أو ينقطع اتصالهم بالقيادة لسبب ما ، فمعرفة الهدف فى تلك اللحظة يؤدي إلى حسن تصرف الجنود ، وتلافى الكثير من الخسائر والمآزق .

وقد كان السابقون فى الإسلام يتسابقون إلى الميدان ، ويقترع الأب وابنه ؛ أيهما يخرج للمعركة ؛ لأنهم عارفون بالأخطار المحدقة بهم ، مُصِرُّون على إزاحتها أو إزالتها .

لقد كان القرآن الكريم فى آيات القتال يركز تركيزاً بالغاً على وضوح الهدف فى مثل قوله تعالى : **{الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ}**(١) ؛ أي من أجل طاعة الله ، وتنفيذ أوامره ،أي مقيداً بذلك(٢).

ثم أوضح لهم الجزاء إن عاشوا أو استشهدوا ، فقال سبحانه :**{ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ..}** (٣) ؛ حيث جعلتنا فائزين فى كلتا الحالتين ، فالشهداء لهم الجنة ، وذلك الفوز المبين ، والأحياء لهم النصر والتمكين ، وهذه تحبوها كذلك : نصر من الله وفتح قريب .

المطلب الرابع

دور براعة القائد فى تقليل خسائر الجيش

إنَّ من الأسباب الهامة جداً أيضا فى تقليل الخسائر فى صفوف الجند براعةَ القائد وكفاءَته ، ومن الأمثلة الواضحة على ذلك معركة البويب أو الجسر (٤) ، فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ حيث أصيب المسلمون فى تلك المعركة بخسائر جسيمة ، لاتقل عن أربعة آلاف قتيل .

وقد عبثت الفيلة بالناس ، وقتلت قائد الجيش (أبا عبيد) ، ثم أخاه ، ثم مجموعة من أبنائه، ودبَّت الفوضى فى صفوف المسلمين ، ثم انكسر الجسر فتحكم الفرس فيمن وراءه فقتلوا من المسلمين وغرق في الفرات نحواً من أربعة آلاف، فإنا لله وإنا إليه راجعون (٥).

---

(١)سورة النساء جزء الآية ٧٦ .

(٢)الجامع لأحكام القرآن ـــ للقرطبي ٢٨٠/٥ ، تفسير المنار ـــ السيد محمد رشيد رضا ٢١١/٥ .

(٣) سورة التوبة جزء الآية ٥٢ .

(٤)البويب : هو مدخل أهل الحجاز إلى مصر . معجم ما استعجم ـــ البكري الأندلسي أبو عبيد ٢٨٥/١ .
البويب أيضا نهر بالعراق يأخذ من الفرات كانت عنده وقعة أيام الفتوح بين المسلمين والفرس فى أيام أبي بكر الصديق وكان مجراه إلى موضع بالكوفة ومصبه فى الجوف العتيق .. معجم البلدان ـــ ياقوت الحموي ٥١٢/١ .

(٥)البداية والنهاية ـــ لابن كثير ٧/ ٢٨ــ٢٩ .

ثم استلم القيادة عروة بن مسعود ، فالمثنى بن حارثة الشيباني ، فأعاد شَدَّ الجسر ، ونظم فلـــول الجيش، ونظم حامية لرأس الجسر ؛ لتأمين الانسحاب ، ثم قام بسلسلة عمليات خاطفة صدَّت الفرس ، وخففت ضغطهم ، وسمحت بانسحاب الجيش ، وجرح المثنى وهو يدافع ، وكان يصيح بجنوده وهـــو يقاتل :**"أنا دونكم فاعبروا على هيأتكم ولا تدهشوا** (١) ، **ولا تفرقوا أنفسكم "** .

وانسحب المثنى بأربعة آلاف جندي من أصل عشرة آلاف ،وعند بلوغه منطقة الـــسماوة شَـــنَّ هجوماً صاعقاً بالخيَّالة التي قادها بنفسه ، فأنزل بالفرس هزيمة عجيبة ألحقت بهم خسائر كبيرة ؛ بحيث تمكَّن من أسر القائدين (جابان ومردنشاه) ، وأعدمهما (٢) .

وكان لهذا النصر أثر كبير فى تقوية معنويات البقية الباقية من الجيش ، ورفعت معنويات ســـكان المنطقة ، ورفعت من قيمة المثنى فى نظر جنوده والقبائل المجاورة .

لقد كانت معركة الجسر تجربة حية فى حروب المسلمين ؛ لإثبات قيمة كفاءة القيادة ، كان القائد أبو عبيد رحمه الله قائداً بارعاً وشجاعاً ، و لكن الحرب قد تحدث فيها مفاجآت ، ومـــا لم يكـــن في الحسبان ، وقد تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ، فلما استشهد القائد تمزق الجيش وقتل عدد كـــبير ، وتحطمت الروح المعنوية لأعلى الناس وقمَّتهم في المعنوية ، بالرغم من توافر الإيمان والشجاعة ، حتى آل الأمر إلى قيادة أخرى بارعة أيضاً ، ألا وهو المثنى ، وهو قائد على أعلى درجات الكفاءة ، فأنقـــذ ـــ بعون الله ـــ أكثر ما كان يمكن إنقاذه ، أنقذ ستة آلاف على الرغم من صعوبة الموقف وخطورته .

وعندما تنـــزل المحن بالجيوش تظهر الميزات الحقيقية والفوارق بين القادة الـــذين يـــستطيعون أن يخرجوا بجيوشهم من تلك المحن ، أو الذين يسيرون بها إلى مصير مظلم محتوم (٣) .

---

(١)لا تدهشوا : أي لاتتحيروا . مختار الصحاح ـــ عبد القادر الرازي ص٢١٣ .

(٢)الحرب النفسية من منظور إسلامي ـــ أحمد نوفل ص١٧٣/٢ .

(٣)نفس المرجع ١٧٣/٢ـــ ١٧٥ .

المبحث الثالث

الوقوف على قوة العدو ، ومعرفة خططهم وأسرارهم

إن الاستطلاع فى نظر الإسلام (ضرورة حيوية) ، سواء للتخطيط في جميع مستوياته الاستراتيجية والتكتيكية ، أو لإدارة المعركة ..ولا بد أن يسعى القائد إلى معرفة أكبر قدر من المعلومات عن عدوه ، من كفاءته القتالية ،وأسلحته ،وأساليب قتاله ،وعن مصادر قوته من النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ،وعن أهدافه ونواياه ،إلى غير ذلك من المعلومات ، فلم يعد التجسس قاصراً على معرفة المعلومات العسكرية فقط (١) وهذا ما يقرره العلم العسكري فقد نَصَّتْ قوانين خدمة الميدان علىمايلي:

أن يؤسس القائد خطته في الميدان على ما لديه من معلومات ، وكلما كانت المعلومات دقيقة كان الأمل في نجاح الخطة كبيراً ..لذلك فمن الواجبات الضرورية لجميع القادة اتخاذ كل ما من شأنه أن يزودهم بالمعلومات عن العدو ، ونواياه ، وحركاته ..إلى غير ذلك من المعلومات التي لا يمكن أحيانا الحصول عليها إلا عن طريق الخداع و التمويه .

وبناءاً على ذلك فقد قسمْتُ هذا المبحث إلى مطلبين ، تحدثت في الأول منهما عن مدى اهتمام القيادة الإسلامية منذ البداية باستطلاع أحوال العدو ، والثاني عن السبب في هذا الاهتمام البالغ بالاستطلاع ، وإليكم التفصيل بإذنه تعالى :

المطلب الأول

اهتمام القيادة الإسلامية منذ البداية باستطلاع أحوال العدو

كان النبي صلى الله عليه وسلم يهتم باقتفاء أخبار العدو ،واستطلاع خباياهم ،اهتماماً بالغاً ،فكان يبعث العيون ليأتوه بخبرهم ، ومن أمثلة ذلك :-

١ــ أرسل عبد الله بن جحش سنة اثنتين للهجرة فى اثني عشر مهاجراً ، بعد أن دفع إليه كتاباً ، و أمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ، فلما مضى اليومان نظر عبد الله فى كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فإذا فيه : **"إذا نظرت فى كتابي هذا فامضِ حتى تنزل نخلةً بين مكة والطائف، فترصد لنا قريشاً ، وتعلم لنا من أخبارهم** (٢).

إن هذا الحديث يبين مدى حرص النبي صلى الله عليه وسلم على السرية والكتمان ؛ لحرمان العدو من أي معلومات عنَّا ، وفى نفس الوقت معرفة كل شيء عن عدوِّنا ، لِيَسْهُلَ لنا التغلب عليه.

٢ــ إن النبي صلى الله عليه وسلم عندما علم بعير أبي سفيان ، تحمل خيرات قريش كلها إلى

(١)التحليل النفسي للاستخبارات ــ سمير عبده ص٦٠ .   (٢)تاريخ الطبري ١٢٥/٢ ، الطبقات الكبرى ــ ابن سعد ١٠/٢- ١١ .

الشام ؛ أمر نفراً من المسلمين أن يخرجوا إليها ؛ لعل الله يجعلها لهم ، فلما اقتربوا من الصفراء بعثوا **(عدى بن الزغباء وبُسيْس ابن عمرو)** (١) إلى بدر يستطلعان أخبار العير ، وقد ذهب الرجلان إلى بدر يستقيان ويتنطسان (٢) الأخبار، وبينما هما كذلك إذْ بجاريةٍ تطالب أخرى بدين عليها ، فتجيب صاحبتها أن سوف تعطيها الذي لها عندما تأتي العير فى الغد أو بعد الغد ، فتعمل لهم ، وتؤجر منهم ، فيسرع الرجلان إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخبرانه بيوم قدوم العير .

٣ــ كذلك قصة التحقيق مع اللذيْن أسرهما علي والزبير يوم بدر ، وقد سألهما النبي صلى الله عليه وسلم :"**كم ينحرون كل يوم**" ؟ فقالوا يوماً تسعاً ويوماً عشراً، فقال عليه الصلاة والسلام: "**القوم مابين تسعمائة وألف** ، ثم سألهما عمن فيهم من أشراف قريش .. (٣) .

٤ــ وخبر حذيفة الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ليستطلع له نبأ القوم أيضاً؛ حيث قال حذيفة : .. فدخلت في القوم ، فإذا الريح تفعل بهم ما تفعل ؛ ولاتقر لهم قدراً ولاناراً ولابناءً ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش لِينظرْ كل امرئ مَنْ جليسُه ، قال حذيفة فأخذت بيد الرجل الذي كان جنبي فقلت له : من أنت ؟ فلان بن فلان ، ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ؛ إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتْنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، فارتحلوا إني مرتحل ، قال حذيفة : فرأيت أبا سفيان يُصْلِي ظهره بالنار ، فوضعت سهماً في كبد القوس ، فأردت أن أرميه به ، فذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم "**ولا تُذْعِرْهم عليَّ**" ، ولو رميته لأصبته ، فرجعت فأخبرته بخبر القوم (٤) .

نستخلص من هذه الأخبار وغيرها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يَضَعُ قدمه إلاَّ على أرض ثابتة من معلومات يقينيَّة ، وكان يَدَعُ عدوَّه تفتك به الحيرة والتساؤل : ماالذى يدور على الشاطئ الآخر ؟ ، ومتى تكون الضربة القادمة ؟ ، وأين ؟ (٥) .

---

(١)عدى بن الزغباء : ويقال ابن أبي الزغباء ، واسم أبي الزغباء سنان بن سبيع بن ثعلبة بن ربيعة الجهني ، حليف لبني مالك بن النجار من جهينة شهد بدرا واحدا والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفي فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عينا مع بسيس بن عمر الجهني يتجسسان له عير أبي سفيان بن حرب في قصة بدر .. الاستيعاب لابن عبد البر ١٠٥٩/٣ رقم (١٧٨٣) .

بسيس بن عمرو : هو بسيس بن عمرو الجهني بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مع عدي بن الزغباء يتجسسان له عير أبي سفيان بن حرب في قصة بدر .. الاستيعاب لابن عبد البر ١٠٥٩/٣ رقم (١٧٨٣) .

(٢)المتنطس : تَنَطَّسْتُ الأخبار : تَجَسَّسْتُها . . معجم مقاييس اللغة ــ ابن فارس ٤٤٣/٥ .

(٣)الطبقات الكبرى ــ ابن سعد ١٥/٢ ، مسند أحمد ١١٧/١ (٩٤٨) ، مصنف بن أبي شيبة ٣٥٦/٧ (٣٦٦٧٩) .

(٤) تاريخ الطبري ٢٤٤/٢ .

(٥)الحرب النفسية من منظور إسلامي ــ أحمد نوفل ١١٦/٢-١١٧ .

إن الرسول صلى الله عليه وسلم ضرب لنا أروع مثل فى الاستطلاع الشخصي بنفسه ، حتى يرى بعينه ــ لا بعيون غيره ــ ما يهمه رؤيته مما يزيد من وضوح الرؤية عنده ، فيأتي التخطيط أو القـــرار بعد ذلك سليماً إلى أقصى حدٍّ ممكن ؛ فعندما اقترب المسلمون من بدر انطلق عليه الصلاة والـــسلام وبصحبته أبو بكر الصديق رضى الله عنه أمام الجيش للاستطلاع ، حتى وقف على شيخ من العـــرب ، فسأله عن قريش ، وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ؟ فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ؟ فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : **"إذا أخبرتنا أخبرناك"** ، فقـــال : و ذاك بـــذاك ؟ قال:**"نعم"** ، قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا : فإن كان صـــدقني الذي أخبرني فهو اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي حدثني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذي به قريش) ، فلما فرغ من خبره قال : ممن أنتما ؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم **"نحن من ماء "** ، ثم انصرف عنه ، والشيخ يقول : ما من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟! (١) .

كذلك كان الكثير من القادة المسلمين يسيرون بهذه الطريقة(الاستطلاع الشخصي) ، وكان من بينهم عمرو بن العاص رضى الله عنه الذي اهتم بجمع المعلومات عن عدوه بنفسه ، ففي فلسطين سعى بنفسه إلى مواطن العدو ؛ ليحصل على المعلومات التي يريدها ، مُعرِّضاً نفسه لخطر الأسر ، أو القتل : فقد دخل حصن عدوه على أنه جندي عربي يحمل رسالة إلى أرطبون الروم ، ودرس الحصن ، وعرف أسراره وطرقه ، ومواطن الضعف فيه ، ثم وضع خطة احتلال الحصن بناءً على هذه المعلومـــات الـــتي حصل عليها ، حتى إن أرطبون الروم قال : خدعني الرجل ، إنه أدهى الخلق جميعاً (٢) . وكان قـــول الأرطبون هذا أبلغ إجابة على ما قاله الخليفة عمر لأصحابه : قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب ، فانظروا عما تنفرج (٣).

إن استطلاع أحوال العدو له حق الأولوية عند القادة المسلمين منذ البداية ، فها هـــو عمـــر بـــن الخطاب يكتب إلى سعد بن أبي وقاص رضى الله عنهما ، وهو يتجهز لمعركة القادسية ، وصية يقـــول فيها : **"وإذا وطأت أدنى أرض العدو ، فأذْكِ** (٤)**العيون بينك وبينهم ، ولا يخْفَ عليك أمرهـــم ،**

(١)تاريخ الطبري ١٤١/٢ سنة ٢هـــ ، الثقات ـــ ابن حبان التميمي البستي ١٥٩/١ .

(٢)وذلك عندما فطن عمرو أن الأرطبون بعث إلى البواب أن يضرب عنقه ، ويأخذ ما معه ، رجع إلى الأرطبون ، وقال له : نظرت فيما أعطيتني فلم أجد ذلك يسع بني عمِّي فأردت أن آتيك بعشرة منهم لتعطيهم هذه العطية ، فيكون معروفك عند عشرة خيراً من أن يكـــون عند واحد ، فطمع الأرطبون أن يقتل عشرة أمراء بدل أمير واحد ، فقال : صدقت ، أعجلْ بهم ، وبعث إلى البواب أن خلِّ سبيله ، فنجا عمرو رضي الله عنه .. العقد الفريد ـــ لعبد ربه الأندلسي ١٢٤/١ .

(٣)الحرب النفسية من منظور إسلامي ـــ أحمد نوفل ١٨٢/٢ .

(٤)أذكِ : اجعل وزوِّد .. من تذكية النار : أي رفعها واشتعالها .. مختار الصحاح ـــ محمد بن عبد القادر الرازي ص ١٩٦ .

ولْيكنْ عندك من العرب ، أو من أهل الأرض ، من تطمئن إلى نصحه وصدقه : فــإن الكــذوب لاينفعك خبره ، وإن صدق فى بعضه ، والغاشَّ عين عليك ، وليس عيناً لك ، وليكن منــك عنــد دُنُوِّك من أرض العدو ، أن تكثر الطلائع ، وتَبُثَّ السرايا بينك وبينهم ، فتقطع السرايا إمــدادهم ومرافقهم ، وتتبَّع الطلائع عوراتِهم ، وانْتقِ للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك ، تخيَّــر لهــم سوابق الخيل ،فإن لَقُوا عدواً كان أول من تلقاهم القوة من رأيك ، واجعلْ أمر السرايا إلى أهــل الجهاد والصبر على الجلاد ، ولاتبعث سريَّة فى وجهٍ تتخوَّف فيه ضيعة ونكاية "(١) .

المطلب الثاني

سبب الاهتمام البالغ باستطلاع أحوال العدو

إن الاستخبارات لا تقل أهمية عن القوات المسلحة ، وإن عملية الاستخبارات هي الوسائل الــتي تُنفَّذ بها السياسة ، إنها كالحرس اليقظ فى أداء واجبه .

من هذا المنطلق يمكن القول بأن الأجهزة الاستخبارية الواسعة التي تطورت بصفة خاصــة خــلال الحرب العالمية الثانية استمرت قائمة ، وأُدخلت عليها التعديلات والتطورات اللازمة ؛ لتبقى جــاهزة للعمل خلال الحرب الباردة أيضا (٢) .

إن الأجهزة الاستخبارية الحديثة تمثل خط الدفاع الأول فى العصر الذرى ، إنها لازالت تؤكد أنهــا العنصر الأساسي فى المحافظة على السلم والهدوء ؛ لأنها هي التي تمول حكومتها بالمعرفة المسبقة عن نوايا العدو ، وعن استعداداته .

إن التخطيط السليم للمعركة يتوقف إلى حدٍّ كبير على معرفة نوايا العدو وأســراره ، لــذا فــان الجاسوس الجيد قد يغني عن فعل عشرات الطائرات النفَّاثة ، ومئات الصواريخ (٣) .

ومن شدة اهتمام **نابليون بونابرت** بالجاسوسية ، واعترافه بفضلها فى كسب المعارك الحربية ، أنه قال : **(إن جاسوساً واحداً فى المكان المناسب يساوي عشرين ألف مقاتل فى الميدان)** (٤) .

---

(١)بدائع السلك في طبائع الملك ٦٣/١ .

(٢) الحرب الباردة : هي صراع تمتنع خلاله الأطراف المتنازعة من اللجوء إلى السلاح الواحدة ضد الأخرى ؛ بــسبب القــوة التدميريــة المرعبة للأسلحة النووية ، وإلا كانت الحرب انتحارا متبادلا بين الدولتين المتحاربتين ؛ لذلك يلجأ المتنازعون إلى تضخيم مساوئ الخصم؛ باستخدام جميع وسائل التهويل والدعاية والتخريب ، و إيجاد المشاكل المحلية مع التحسب الشديد لعدم التورط فى عمليات حربية مباشــرة .. الموسوعة العسكرية ٥٥٢/١ .

(٣)الاستخبارات العسكرية في الإسلام ــ عبد الله مناصرة ص ٦١ .

(٤)عمالقة الفن الأسود ــ جمال الكاشف ص٤٢ .

وهو الذي اكتشف مواهب **(كارل شولمستر)** (١) الذي كان يعمل مهرباً ، فعيَّنه مسؤولاً عاماً لجيوش الإمبراطورية الفرنسية فى الميدان ، لبراعته فى أعمال المخابرات ، وإسهامه العظـــيم فى نجـــاح العمليات العسكرية ، وأطلق عليه لقب **(إمبراطور الجواسيس)** .

وكان(كارل شولميستر) يتمنَّى أن يمنحه نابليون وسام جوقة الشرف الفرنسية ، وهى أعز أمانيه ، لكن نابليون كان حازماً فى تلك النقطة ، فقد قال فى ذلك : **الذهب هو المكافأة المناســبة الوحيـــدة للجواسيس** (٢) .

كذلك كان **(إلفرد ريدل)** جاسوساً نمساوياً عبقرياً ، إلا أنه كان مُولعــاً بالــشهوات مغرمـــاً بالملذات، مما أغرقه فى الديون ، فلما عرض عليه الروس مالاً مقابل أسرار النمـــسا ، وافـــق ، وظــل يزودهم بمعلومات حيوية لمدة عشر سنوات .

ومن أخطر خيانات **(ريدل)** لبلاده وأشهرها أنه أعطى الروس نسخة من خطة النمسا للهجوم على الصرب ، وكان الروس أصدقاء الصرب وحلفاءهم ، فزودهم بالخطة ، واندلعت نيران الحرب بسرعة ، و لم يكن لدى النمسا وقت لتعديل الخطة ، فهاجموا (صربيا) ، وقرأ العالم كله عـــن النـــصر المـــؤزر للصرب، و لم يعرف أحد آنذاك أن خيانة (ريدل) هي سِرُّ انتصار الصرب ، وقدَّر الخبراء العسكريون أن خيانة (ريدل) كلَّفت النمسا نصف مليون مقاتل بين قتيل وجريح (٣) .

وقد كتب وزير الدفاع الإسرائيلي **(موشيه ديان)** بعد انتهاء الحرب عـــام ١٩٦٧ م : إن الـــدور الذي لعبه الاستطلاع الإسرائيلي لايقل شأناً عن الدور الذي لعبه سلاح الطيران ، وسلاح المدرعات ؛ بمعنى آخر : لقد شاهد الاستطلاع معظم ما كان ينبغى أن يراه ، و لم يكن هناك تـــصدٍّ فعـــال لهـــذا الاستطلاع(٤) .

إنه منذ بداية القرن العشرين صار للأجهزة الاستخبارية شأن هام وكبير ، لاسيما بعد ظهور القطار والسيارة ، والطائرة ، ثم تطورت الوسائل إلى حدِّ استعمال التصوير الجـــوى والآلات الإلكترونيـــة ، فضلاً عن استخدام الأقمار الاصطناعية التي تدور حالياً فى الأجواء ناقلة كل حركة وكل سكون .

---

(١) كارل شولميستر : كان جاسوساً يعمل لحساب نابليون ، حضر إلى فيينا عاصمة النمسا فى أواخر عام ١٨٠٤/ فى صـــورة شـــاب مَجَرِيٍّ نبيل وسيم أنيق اتسم باللباقة والكياسة ، وسرعان ما فاز بتعاطف وحب المجتمع الفيينِّي بسبب قصته الحزينة ؛ حيث تظـــاهر بـــأن نابليون طرده من فرنسا ، وفقد كل شئ؛ لذلك شعر كثيرون بأن الشاب المجرى ربما يكون مفيداً لأزمة النمسا خـــصوصاً ، وأن لديـــه معلومات جيدة عن الدولة الفرنسية وقوالها المسلحة ، فضمُّوه إلى هيئة أركان حربهم ، وجعلوه رئيسا للمخابرات ، وبقي يـــزوِّد القائـــد النمساوي بمعلومات مُزيَّفة ، كانت سبباً فى هزيمة النمسا أمام فرنسا .. عمالقة الفن الأسود ـــ جمال الكاشف ص٤٢ـــ٤٣ .

(٢)عمالقة الفن الأسود ـــ جمال الكاشف ص٤٢ وما بعدها .

(٣)نفس المرجع ص٦٠ .

(٤)الدهاء فى الحرب ـــ العماد حسن توركماني ص٥٧ .

إن الاستخبارات هي التي تكشف عورة الأعداء ، وتكافح التجسس ؛ لذا فقد اهتم بها المـــسلمون من البداية ، حتى لم يخْلُ مكان من صاحب خبر وبريد (١) ؛ حتى تعرَّف المسلمون على أخبار أعدائهم، مما ساعد على تحقيق انتصاراتهم فيما بعد (٢) .

رُوي عن أبي جعفر المنصور أنه قال لأصحابه :''ما أحوجني إلى أن يكون على بابي أربعة نفـــر، لايكون أعفُّ منهم ، وهم أركان الدولة ، ولايصلح الملك إلا بهم ، أما أحدهم فقاضٍ لاتأخذه فى الله لومة لائم، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى ، والثالث صاحب خراج يستقصي ، ولا يظلم الرعية ، ثم عضَّ على إصبعه ثلاث مرات ، وهو يقول فى كل مرة : آه ، آه ، فقيل له : ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : صاحب بريد يكتب خبر هؤلاء على الصحة ''(٣) .

فقد دل عضُّ الأنامل ثلاث مرات على أن المُخْبِرَ الصادق أهمُّ من الثلاثة السابقين .

---

(١)بريد : رسول ، وإبراده : إرساله ، والجمع برد ، وبرد بريداً : أرسله .. لسان العرب ــ ابن منظور ٨٦/٣ .

(٢) الاستخبارات العسكرية فى الإسلام ــ عبد الله مناصرة ص ٦٢ ــ٦٣ .

(٣)نفس المرجع ص٦٧ .

المبحث الرابع

تضليل العدو

إن التضليل والخداع وجهان لعملة واحدة ، وهدفهما جعل العدو يعتقد ما نريده أن يعتقد من خلال جملة واسعة من التدابير الفنية المتعلقة بدسِّ المعلومات المشوَّهة بشكل مدبَّر ، وتمويه الأسلحة والعتاد والأغراض الحقيقية ، وكذلك القيام بأعمال التظاهر في الاتجاهات التي نرغب لفت العدو إليها ، وتقليد الأعتدة ، والأسلحة ، ومنظومات التسلح ، ومحاكاة أعمال القوات .

إن هدف كل هذه التدابير ــ مع الحفاظ على السرية ــ هو تحقيق تصور خادع لدى العدو عن قواتنا وأسلحتنا ، وموضعها ، وتحركها ، واتجاهات عملها المستقبلية ، والأهمُّ من ذلك كله إخفاء نوايانا وخططنا الحقيقية ؛ بحيث يؤدي تنفيذها إلى مفاجأة العدو ، والانتصار عليه.

وقد شُبِّهت أهمية الخداع بأن القائد بدون خداع كالسفينة دون قبطان (أي سائق أو قائد أو مسؤول يوجهها حيث يشاء) ، تصبح مع كامل طاقمها فريسة للخصم ، كذلك الجيش في الحرب ، إذا أمكن خداع قائده ؛ فإن هذا الجيش يمكن أن يصبح بالكامل في أيدي العدو (١) .

و سيبقى التضليل والخداع عنصراً أساسيا مهماً في تحقيق المفاجأة التي تعتمد على عاملين أساسيين هما: المحافظة على سرية الخطط والنوايا ، وتنفيذ تدابير الإخفاء ، والتمويه ، والتقليد ، والأعمال التظاهرية ، والتضليل المدبر سلفاً .

إن التوصل إلى هذه الإجراءات والتدابير يتطلب إعداد القادة وتدريبهم ، بالإضافة إلى توفر الموهبة، ومستوى الذكاء الجيد ، كما يتطلب بشكل خاص الدراسة الدقيقة للخصم من الجوانب كافة ؛ حجم القوات ونوعيتها ، التسليح المتوفر ، درجة الكفاءة التدريبية ، الروح المعنوية ، القائد والقيادات وخصائصها ، أساليب عملها ، نمط التفكير ، وتقويم الأرض والشعب والإمكانات الاقتصادية .

بعد ذلك كله يمكن الاعتماد على التوصل إلى أساليبَ مبتكرة وخلاَّقة في خداع العدو وتضليله ومفاجأته .

إذن يبقى القائد المؤهل والداهية هو الأساس وصاحب القرار القادر من خلال نتاج عمله وفكره إبداع الحلول للمعركة الآتية ، وتحقيق النجاح ، وإحراز النصر ، مهما تطورت وسائط الصراع، وتبقى كذلك مبادئ الحرب أكثر ثباتاً واستقراراً مع مرور الزمن (٢) .

---

(١) الدهاء فى الحرب ــ حسن توركمانى ص٧٤ .

(٢) نفس المرجع ص٢٦٩ .

لذلك كان لابد لنا من دراسة بعض النماذج التضليلية والخداعية التي حدثت على مدار التـــاريخ لعلّنا نستخلص منها العبر والعظات ، ونستفيد منها الدروس التي تنفعنا فى وقتنا الحاضر .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم رائداً فى استخدام التضليل والتمويه على الأعداء ، كما هـــو واضح من خلال هجرته عليه الصلاة والسلام منذ أن نام عليٌّ رضى الله عنه فى فراشه ليلة هـــاجر إلى المدينة (١) .

وقد استخدم الإنسان التمويه منذ القدم لتوفير الأمن لتحركاته وإخفائها عن عيون العـــدو ، وفى الصراعات القديمة كانت الجيوش تستخدم غصون الأشجار للتستر بها ، والتمويـــه والتـــضليل علـــى تحركاتها ؛ بغية إيهام العدو أن ما يَمْثُل أمامهم ليس عدواً يمكن القضاء عليه .

ومن أشهر الأحداث التي سجلت عبر التاريخ :

١ـــ ما كان سنة ٥٤٠ ق.م إبـــَّان اقتحام **(داريوس)** أسوار مدينة بابل ، والتي حصنها **(نبوخذ نصر الثاني)** ، فلم يستطع تحقيق النصر لمناعتها ، فلجأ داريوس الفارسي إلى حيلة دعا فيهـــا قائـــده **(زوبرس)** ، فجدع أنفه ، ثم أرسله ليدخل شاكياً إلى بابل من ظلم سيده ، وحينما اطمأن أهل بابـــل سلّموه فرقة عسكرية ؛ ليتولى قيادتها فى الدفاع عن المدينة ، غير أن هذا القائد الفارسي قام بعد ذلك بفتح الممرات السرية المؤدية إلى المدينة ؛ حيث تمكن داريوس من دخولها واحتلالها ، وعلى الأثر قـــام بإعدام ثلاثة آلاف شاب من شبابها لإرهاب المدينة ، وهكذا أُخمدت ثورة نبوخذنصر الثـــاني بطريـــق الخدعة والتضليل(٢) .

٢ـــ السيد إدوارد ستا فورد :

هو أحد الجواسيس الإنجليز ، عُيِّنَ سفيراً لإنجلترا فى باريس عام ١٥٨٣م ، ولكن علم الإنجليز أنه تقاضى مالاً من الأسبان مقابل العمل جاسوساً لحسابهم ، ولكنهم لا يملكون الدليل على ذلك ، وبعد أن اكتشفوا خيانته ظل حراً طليقاً ؛ لكي تزيد ثقة الأسبان فيه ، فيصدِّقوا كلَّ ما يقول ، وبالتالي يمكن ـــ عن طريقه ـــ دَسُّ معلومات مزيفة ، ظاهرها الصدق ؛ لتضليل الأسبان ، دون أن يفطن هذا العميل إلى ذلك ، وهكذا لم يقدَّم للمحاكمة ، ولم يوجه إليه اتهام (٣) .

٣ـــ عملية الإنزال فى صقلية (تموز ـــ آب ١٩٤٣م) :

فى عام ١٩٤٣م كان الحلفاء قد سيطروا على شمال أفريقيا ، واستعدوا لغزو أوروبا المحتلة ، وقرروا

---

(١)المنهج الحركي للسيرة النبوية ـــ منير الغضبان ص١٨٨ .

(٢)صراع الأدمغة ـــ إسلام ناصر ص٧٩-٨٠ .

(٣)عمالقة الفن الأسود ـــ جمال الكاشف ص٢٥ .

أن (صقلية) أنسب مكان لحشد القوات ، لكنهم وجدوا أن الألمان سوف يستميتون فى الدفاع عـــن صقلية . وفكروا فى خداع المحور (ألمانيا ـــ إيطاليا ـــ اليابان ـــ) ، وإيهامهم بأن أســـاطيل الحلفـــاء سترسو فى مكان آخر ، وقد وجدت المخابرات البريطانية حلاً للمشكلة في مشروع فَذٍّ ،اسمه الرمـــزي (عملية اللحم المفروم) ، وكان بطلها جثة .

حصل رؤساء المخابرات على جثة رجلٍ ، فألبسوها زِيَّ ضابط بالبحرية الملكية،وزودوها بأوراق تشير إلى أنه (**الميجور مارتن**)،وأنه في مهمة سرية إلى قادة الحلفاء في شمال إفريقيا ، يحمل وثائق سِرِّيَّة توحي بأن الغزو الكبير لن يقع في (صقلية)،وإنما في سردينيا ،واليونان ،وقد تَمَّ نقل الجثة بالغوَّاصة سراً إلى شاطيء (هيوليفا) في أسبانيا ، وتركت للأمواج تدفعها؛ لتبدو كأن (الميجور مارتن)قد غرق بعد حادث سقوط طائرته في البحر ،كان في (**هيوليفا**) عدد من الجواسيس الألمان ،وافترضت المخـــابرات البريطانية أنهم سيعرفون أن أمواج البحر ألقت على الشاطئ جثة تحمل وثائق ، ومن ثم يبلغون القيادة الألمانية العليا .

وكما كان متوقعاً ،تَّم اكتشاف الجُثة في (هيوليفا)، وكشفت أوراق الجاسوسية الألمانيـــة بعـــد الحرب، كيف أنها اعتبرت الوثائق السرية ضربة حظٍّ ،وبناءً عليها أرسل الألمان الجيوش والأساطيل إلى اليونان وسردينا ،وحولوا اهتمامهم عن صقلية ،فوقعت فريسة سهلة لغزو الحلفاء (١) .

٤ـــ ريتشارد سورج ، و إيلي كوهين :

إن أفضل الطرق لتضليل العدو هو أن يكون المتخفي تحت عين العدو وسمعه ،وهو لا يعرف أنـــه يمارس نشاطات معادية،وإن كثيراً من أخطر عملاء العالم قد اتخذوا من الأعمال الظـــاهرة للـــسلطات ستاراً لتخفِّيهم ؛مثل العميل الروسي (**ريتشارد سورج**) الذي عمل في اليابان ،وكان يتـــردد علـــى السفارات تحت ستار مهنته كصحفي ، ويجمع المعلومات .

كذلك فإن العميل الصهيوني في سوريا (**إيلي كوهين**)كاد يترقى إلى منـــصب رفيـــع في وزارة الحربية والدفاع ،وكان يمارس أعماله بين أيدي العدو (٢) ..

---

(١)عمالقة الفن الأسود –جمال الكاشف ص٩٦ ، عالم الجواسيس والمخابرات ـــ إعداد قسم التأليف والترجمـــة دار الجديـــد الأردن ـــ الزرقاء ص٧٦ .

(٢)صراع الأدمغة ـــ إسلام ناصر ص٢٥ .

المبحث الخامس

إضعاف الروح المعنوية للعدو (الحرب النفسية)

يهدف استخدام الخدعة في الحرب أيضا إلى إضعاف الروح المعنوية للخصم ،وذلك لأن استخدام العامل النفسي في الصراع مع الأعداء ضرورة حيوية لتحقيق الأهداف الاستراتيجية .

فالمعروف أن إرادة المقاومة ، وإرادة القتال ، هي أصلا (حالة ذهنية) تنشأ في عقل المقاتل ، فتولد لديه الدافع ؛ ليصمد ، ويقاتل بصلابة وعزم إلى حدِّ التضحية بروحه .

إن كل طرف من الأطراف المتحاربة يسعى بكل الوسائل نحو (تغيير) تلك الحالة الذهنية لدى خصمه ؛ لكي يدفعه إلى التخلي عن صموده وعزمه ، وبذلك تنهار إرادته القتالية ..وينهزم .

وبناء على ذلك فقد قسمت هذا المبحث إلى أربعة مطالب : تحدثت في الأول منها عن أهمية الحرب النفسية ، وفي الثاني عن أهدافها ، والثالث عن وسائلها ،والرابع في كيفية التصدي لها .

المطلب الأول

أهمية الحرب النفسية

الحرب النفسية : **"هي استخدام مخطط من جانب الدولة ، أو مجموعة من الدول ، في وقت الحرب، أو في وقت السلم ؛ لإجراءات إعلامية ، بقصد التأثير في آراء جماعات أجنبية معادية أو محايدة أو صديقة ، وعواطفها ، وسلوكها ، بطريقة تساعد على تحقيق سياسة الدولة أو الدول المستخدمة وأهدافها "** (١) .

أي أن المعنى الجديد للحرب النفسية لم يعد مجرد وسيلة يستخدمها القائد العسكري أثناء حربه فقط ، لقد أصبحت الحرب النفسية مستقلة عن الصراع العسكري حتى صار هذا الأخير عنصراً من عناصرها (٢) .

إن الحرب النفسية من أشد الوسائل فاعلية في تدمير الإرادة القتالية ، وقد قدَّر خبراء الحروب أنها تكون غالباً أقوى أثراً من القتال بالسلاح في تحقيق هدف النصر بسرعة ، و بأقلِّ الخسائر ، وذلك لأنها تستهدف في المقاتل عقله وتفكيره وعواطفه ؛ لتجرده من أثمن ما لديه ، وهي (روحه المعنوية)، وهذه

---

(١)المدخل إلى العقيدة و الاستراتيجية الإسلامية ــ جمال محفوظ ص١٤٧ .

(٢)الحرب النفسية ــأحمد نوفل ٣٤/١-٣٥ .

و من المصطلحات الأخرى للحرب النفسية :حرب الأعصاب ــ حرب المعنويات ، أو الحرب المعنوية ــ حرب الأفكار أو حرب القرائح ــ حرب الارادات ــ حرب الدعاية ــ الحرب الباردة ــ حرب الإشاعات .. الحرب النفسية / أحمد نوفل ٣٦/١ .

بعض شهاداهم :-

١ــ **يقول القائد الألماني (رومل)** : إن القائد الناجح هو الذي يسيطر على عقول أعدائه قبــل أبداهم .

٢ــ **ويقول الجنرال الفرنسي (ديجول)**: لكي تنتصر دولة ما ، عليها أن تشن الحرب النفسية قبل أن تتحرك قواهما إلى ميادين القتال ، وتظل هذه الحرب تساند هذه القوات حتى تنتهي من مهمتها .

٣ــ ويقول القائد البريطاني (تشرتشل) : كثيراً ما غيَّرت الحرب النفسية وجه التاريخ (١).

دور الإسلام في استخدام الحرب النفسية

وإن الشريعة الإسلامية هي الرائدة في هذا المجال ،والقرآن الكريم مليء بالآيات ذات القذائف المعبَّأة بهذا النوع من المتفجرات (الحرب النفسية) ، التي تدمِّر أعداء الله ، وتشلُّ تفكيرهم ، وتثبِّط عزائمهم ، وتُرْعِبهم ، وكذلك الأمر في السنة المطهرة ، والسيرة النبوية :

أ ــ من القرآن الكريم :

دلت كثير من نصوص القرآن المجيد على ضرورة شن الحرب النفسية ، ومن هذه الآيات الكريمة ، قوله تبارك وتعالى :{ **فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ . وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ . وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ . وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ**} (٢) فهذه آيات كلها قوة وعظمة واعتزاز ، فهي تبيِّن للمؤمن أن نكايته في العدو ترهب فى نفس الوقت عدواً آخر لا يعلمه هو ، وتأمره ألاَّ يتهاون مع الكافرين الذين يتوقع خيانتهم ، وتحــذِّر الكفار من اغترارهم بقوهم ؛ بأن الدائرة ستدور عليهم لامحالة ، وإن المؤمن مأجور فى جهاده لهم .

ب ــ من السنة :

ومن الأحاديث الشريفة فى هذا المقام ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "**بعثت بجوامع الكلم ، و نصرت بالرعب مسيرة شهر ، فبينما أنا نائم أوتيت مفاتيح خزائن الأرض ، فوُضِعَتْ في يدي**" (٣) ، فهو بذلك يقرر أن تدمير إرادة العدو القتالية يمكن أن تتحقق عن

(١) العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية -- جمال محفوظ ص١٧٨ــ ١٧٩ .

(٢) سورة الانفال الآيات ٥٧ ــ ٦٠ .

(٣) صحيح البخاري ٥٦ــ كتاب الجهاد ١٢٢ــ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب .. (٢٩٧٧) .

طريق إرهابه ، وإيقاع الرعب فى قلبه ، وإخافته من عاقبة عدوانه ، وليس هذا فحسب ، بل يقرر أيضا أن هذا الأسلوب أكثر تأثيراً من غيره من أساليب الصراع ، وهو ما يوحي به معنى الحديث من أنه يعدل **(مسيرة شهر)** .

ج ــ من السيرة العطرة :

وقد طبَّق النبي صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ خير ما يكون التطبيق ، فلو نظرنا إلى الغزوات التي قادها الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتي بلغ عددها نحو ثمانٍ وعشرين غزوة ، فإننا نجد أن القتال نشب فقط فى تسع غزوات منها ، و لم يحدث قتال فى تسعَ عشرةَ غزوةً ؛ بسبب فرار الأعداء أمام قوة الصحابة ، ومعنى ذلك أن إظهار قوة المسلمين قد أرهب الأعداء ،وجعلهم يقدِّرون بحساباتهم أنهم سوف يكونون الخاسرين لو واجهوا ، فتخلَّوْا عن فكرة العدوان أو القتال .. أيْ أن التأثير النفسي للقوة قد حقق للمسلمين أهدافه بلا قتال فى تسع عشرة معركة من نحو ثمانٍ وعشرين (١) .

إن الشجاعة والجبن ، والإقدام والهزيمة ، كل هذا يتعلق بما بالنفس ، فإذا تغيَّر ما بالنفس من الجأش تغيَّر حالاً سلوك الإنسان ، ولايعود يملك سيطرة على قواه ، ويخضع خضوعاً مطلقاً لسلطان ما حل بنفسه ، فمن يملك القدرة على تغيير ما بالنفس يملك أن يغير ما بالقوم ، ودليل ذلك قوله تعالى :

{ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ } (٢) .

إن مفتاح القضية فى الحرب النفسية إذن أن النفس الإنسانية فيها أهواء ، ولها مصالح ومخاوف، ولها حاجات ، وفيها تصورات وخواطر وأفكار ، من عرفها ، وعرف كيف يؤثر فيها ؛ أمكنه أن ينفذ منها ؛ ليؤثِّرَ فى الكيان الإنساني كله ، والسلوك الإنساني برُمَّته (٣) .

إن الروح المعنوية عند الإنسان تكمن فيها قوة جبارة أشبه بالوقود الذرى الذي يُسَيِّر بعض الأجهزة والغواصات، وهى التي تجعل الإنسان يعمل ويعمل حتى نسيان الإحساس بالألم ، فهو الوقود النفسي الذي يجعل الإنسان يقتحم الأهوال ، ويتحدى الأخطار (٤).

وإن الحرب النفسية تهدف إلى قتل الروح فى المقاتل ، حتى يصبح لاوزن له ولاقيمة .

---

(١) العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية ــ محمد محفوظ ص١٧٩ .

الغزوات التي حدث فيها قتال : بدر الكبرى ــ أحد ــ بني النضير ــ بني قريظة ــ ذي قرد ــ بني المصطلق (المريسيع) ــ خيبر ــ حنين ــ الطائف ، و **الغزوات التي لم يحدث فيها قتال :** الأبواء (ودان) ــ بواط ــ العشيرة ــ بدر الأولى ــ بني سليم ــ بني قينقاع ــ السويق ــ غطفان ــ بني سليم الثانية ــ حمراء الأسد ــ ذات الرقاع ــ بدر الصغرى ــ دومة الجندل ــ الخندق (الأحزاب) ــ بني لحيان ــ الحديبية ــ عمرة القضاء ــ فتح مكة ــ تبوك .. تهذيب مشارع الأشواق ص٣٠٠ وما بعدها .

(٢)سورة الرعد جزء الآية ١١ .

(٣)الحرب النفسية ــ أحمد نوفل ١/١٨ .

(٤)نفس المرجع ١/٥٧ .

المطلب الثاني

أهداف الحرب النفسية

تستهدف الحرب النفسية التي تتوجه إلى عقل الإنسان ونفسيته ، تحقيق السيطرة على الإرادة ؛ لتدعيم الصديق ، أو تحطيم الخصم ، والتأثير على الآراء والمواقف فى الاتجاه الذي يخدم سياسة الدولة وأهدافها ، وذلك بشنِّ هجوم عنيف على القوى الروحية والنفسية ، والمعتقدات الثابتة لدى الخصم لزعزعتها ، وفى الوقت ذاته تقوية موقف الصديق ، وتعزيز الاعتقاد بقدرته (١) .

وقد ذكر الدكتور أحمد نوفل في كتابه (الحرب النفسية من منظور إسلامي) بعض الأهداف للحرب النفسية فيمن تُشَنُّ عليهم ، منها :

١ـ تَيْئِيس القوات المعادية من النصر بإضعاف روحها المعنوية ، والتشكيك فى قدرتها على النصر ، وبثِّ الرعب فى قلوب قواهم المسلحة ، والمبالغة فى وصف القوة المقابلة أو المضادة ، وتضخيمها عن طريق حشد عدد من القوات والطائرات والدبابات والصواريخ ، والتلويح بالتفوق العلمي والتكنولوجي.

٢ـ تغيير الفكر والاتجاه والقيم والمعتقدات التي تُحَقق الكَسْب للمهاجِم والخسارة للمهاجَم .

٣ـ تشجيع أفراد القوات المعادية على الاستسلام بتوجيه نداءات ومنشورات تحتوى على حيل وإغراءات .

٤ـ زعزعة إيمان العدو بمبادئه وأهدافه وتشويهها وتضخيم أخطائهم .

٥ـ إضعاف الجبهة الداخلية للعدو ، وإحداث ثغرات بداخلها ، والضغط الاقتصادي على حكومته ، وتشكيك الجماهير فى ثقتها بقيادتها السياسية والعسكرية ، وفى كفاءتها وإخلاصها ، والدس والوقيعة بين طوائف الشعب المختلفة .

٦ـ كسب العدو فكرياً ، ودعم المكاسب فيما احتل من أرض العدو ، وبث روح اليأس من جدوى المقاومة فى صفوف أبناء تلك المناطق (٢) .

وهذا واضح مما يجري فى فلسطين المحتلة ؛ حيث يحاول العدو الصهيوني أن يوجد فى أوساط الشعب الفلسطيني قناعات فكرية بإمكانية التعايش السلمي بين الشعبين العربي والإسرائيلي ، نظراً لانتفاء الجدوى من المقاومة كما يزعمون ، وهذه حيلة بائسة يائسة فإن المقاومة قد كنست الاحتلال

---

(١)الحرب النفسية ـ أحمد نوفل ٧٢/١ .

(٢) نفس المرجع ٧٤/١-٧٥ .

من جنوب لبنان ، ومن جنوب فلسطين فيما عرف بفك الارتباط ، وهي الطريق إلى إعادة القداسة لكل شبر من فلسطين بمشيئة الله عز وجل .

وخلاصة القول : إن دولة العدو اليهودي تريد من وراء حربها أن تجعل سيطرتها على أرضنا المحتلة تتم بأدنى تكلفة من خلال ما تبثُّ من فكر كاذب ، وما تروِّج من دعاية مزوَّرة ، وما تشن من حملات إعلامية ، وحرب نفسية(١) .

أما على صعيد من يشن الحرب النفسية وجبهته الداخلية ، **فتهدف إلى تحقيق البنود الأربعة التالية:**

١ــ تحشيد الحقد والكره على العدو ، وتجميع الأمة ، وتعبئة مشاعرها على عدوها .

ومثال ذلك عندنا فى فلسطين ما نلاقيه من القتل والدمار والهدم للبيوت والمزارع ، وما يعانيه الأسرى من التعذيب والمعاناة ، وما نذوقه يومياً على الحواجز من المضايقات والاستفزاز والانتظار الساعات الطوال ، دون مسوِّغ إلا القهر والإذلال ، كل هذا فيه دافع قوى جداً للجهاد والاستشهاد .

إن الدافع الذاتي هو أقوى الدوافع على الإطلاق ، ولذلك اختار النبي صلى الله عليه وسلم بلالاً لاصطياد أمية بن خلف ، وهو من كبار قريش ، وكان يتفنن فى تعذيبه بسبب اعتناقه الإسلام فى أيام ظهوره ، فكان يأخذه إلى الصحراء فى القيظ ، ويضجعه على ظهره ، ويضع صخرة عظيمة على صدره؛ ليرجع عن إسلامه ، ولكن بلالاً كان يردِّد قولته المشهورة **(أَحَد ــ أَحَد)** (٢)؛ يعني توحيد الله لا شريك له .

٢ــ اكتساب صداقة المحايدين ، وتثبيت فكرة أنهم على حق ، وإن كان ليس هناك محايدون ؛ لأن ملة الكفر واحدة .

٣ــ إقناع الشعب بعدالة قضيته ، وأنهم لاشك منتصرون ، والاحتفاظ بمعنويات عالية .

٤ــ تعزيز الصداقة مع الشعوب الحليفة وتمكينها (٣) .

المطلب الثالث

من وسائل الحرب النفسية

تَستخدِم الحرب النفسية أساليب كثيرة للتأثير فى الأفراد والجماعات ، أهمها خمسة ، وهى :

أولاً :الإشاعة:

الإشاعة هي : قصة نوعية أو موضوعية قابلة للتصديق ، يتم تناقلها على ألسنة الأفراد ، دون

---

(١)الحرب النفسية ــأحمد نوفل ٧٤/١-٧٥ .

(٢)العسكرية الإسلامية ــ محمد محفوظ ص١٤٦ .

(٣)الحرب النفسية ــ أحمد نوفل ٧٦/١ .

وجود أي معايير للتحقق من صدقها (١).

أوهي : الترويج لخبر مختلق ، لا أساس له في الواقع ، أو تعمد التهويل ، أو التشويه في سرد خبر، فيه جانب ضئيل من الحقيقة ، وذلك بهدف التأثير النفسي فى الرأي العام المحلي أو الإقليمي أو الدولي ، تحقيقاً لأهداف سياسية ، أو اقتصادية ، أو عسكرية ، على نطاق دولة ، أو عدة دول ، أو نطاق العالم بأجمعه (٢).

ومن أمثلة الشائعات ما فعله **(شارل مارتل)** ، عندما كان الجيش الإسلامي يتقدم بقيادة **(الغافقى)** (٣) عند نهر اللوار بفرنسا ، فقد أوصى **مارتل** بعض جواسيسه بنشر شائعة مؤداها أن الغنائم التي جمعها القادة المسلمون ، ووضعوها فى خيامهم ، قد سُرِقت ، وسُرعان ما انفضَّ القادة ، وانصرفوا عن المعركة إلى خيام الغنائم ، وحاقت بالجيش الإسلامي وقتها هزيمة نكراء (٤)، وهى نفس السبب فى هزيمة **أُحُد** التي عبر عنها القرآن بقوله تعالى : **{ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا}** (٥) ؛ أي الغنائم والأنفال .

ثانياً : الدعاية :

يمكن القول إن هذا العصر هو عصر الإعلام والدعاية المؤثريْنِ فى الرأي العام ، وإن الناس فى هذا العصر أكثر تعرضاً لمحاولات تغيير الآراء والمواقف ، والتحريض الجماعي فى وقت تقدمت فيه تكنولوجيا الاتصال ، والمعلومات ، والكمبيوتر تقدماً كبيراً ، وتوافرت وسائل اتصال جديدة جعلت شعوب العالم ودوله نهباً ، تتناول عقول أفرادها وجماعاتها المخالبُ الاتصالية للعقائد والأفكار ، بعد أن اضطرت القوى الكبرى ، أو أوشكت أن تضطر ، إلى إغماد سيوف الحرب ؛ ليحل همس الكلمات وضجيجها محل قعقعة السلاح ودمارها (٦) .

فالدعاية بصفة عامة:هي الاستخدام المخطط لأيِّ نوعٍ من وسائل الإعلام بقصد التأثير فى عقول جماعة معادية معينة وعواطفها ،أوجماعة محايدة ، أوجماعة صديقة ؛ لغرض استراتيجي أو تكتيكي معين.

والدعاية لها أثرها على المدنيين والعسكريين على السواء (٧) .

---

(١)علم النفس العسكري ــ عماد الزغول ص١٦٥ .

(٢)الحرب النفسية ــ أحمد نوفل ٩٩/١ .

(٣)الغافقي : هو عبد الرحمن بن عبد الله بن بشر بن الصارم الغافقي أبو سعيد أمير الأندلس ، من كبار القادة الغزاة الشجعان ، تأهب لفتح بلاد الغال : و هي فرنسا الآن واستولى على مدينة بوردو ودحر جيوش (شارل مارتل) وتقدم يريد الإيغال ، فجمع (شارل) جيشاً كبيراً من الغاليين والجرمانيين فنشبت حرب دامية في بواتيه بقرب نهر اللوار ، قتل فيها عبد الرحمن .. الأعلام ــ الزركلي ٣١٢/٣ .

(٤)الحرب النفسية والشائعات ــ معتز سيد عبد الله ص١٥٩ .

(٥)سورة آل عمران جزء الآية ١٥٢ .

(٦)الدعاية السياسية وتطبيقاتها قديماً وحديثاً ــ محمد منير حجاب ص٢٩ .

(٧)الحرب النفسية ــ أحمد نوفل ٨٢/١ .

وهى تنشر التخاذل ، وتثبط المعنويات ، وتعمل على تحطيم الدوافع والبواعث للقتال ، ومن مميزاتها أنها تجد طريقها في الكلمة المطبوعة والصورة ، وتنساب في تيار الحياة اليومية ، وتسرى في النفوس بلا ضجة ، إلى أن تنتهي بتغيير الرأي والعقيدة والاتجاه ، ثم اعتناق الرأي الذي يُرسم (١) .

ومن أمثلة الدعاية في العصر الحالي دعاية أمريكا وبريطانيا في العدوان على العراق : ففــي هــذه الحرب الظالمة المسعورة التي شنتها كل من أمريكا وبريطانيا على العراق قد استخدمتا وسائل الإعــلام لنشر الأكاذيب في حرب نفسية إعلامية خبيثة ، تهدف إلى تحقيق الكثير من الغايات ، ومنها :

١ــ إقناع الرأي العالمي العام بشرعية هذه الحرب ، وكسب تأييده للوقوف إلى جانبهما .

٢ــ إقناع شعبيْ أمريكا وبريطانيا بأهمية هذه الحرب وعدالتها .

٣ــ التأثير فى معنويات الشعوب العربية ، ولاسيما الشعب العراقي ؛ للقبــول بهــذه الحــرب ، والوقوف إلى جانبها ضد النظام العراقي البائد ، وتسعى أيضا إلى زعزعــة ثقــة الــشعوب العربيــة والإسلامية بأنفسهم ، ومعتقداتهم ، وقدراتهم ، وقد أرادتا أن تسخِّرا فى سبيل ذلك جميع المحطــات ، ووسائل الإعلام ، ولعل هذا هو سبب انتقادهما لمحطة الجزيرة ، وإغلاق مكاتبها فى العراق ، وبعــض المناطق الأخرى (٢) ، وقتل بعض موظفيها لاسيما الصحفيون الميدانيون .

ثالثاً : إثارة الرعب والفوضى :

تهدف الحرب النفسية أيضا إلى استغلال دوافع الخوف لدى الأفراد لإرهابهم وإخضاعهم ،وذلــك من خلال استخدام الوسائل التي تصنع حالة من الذعر والفوضى لديهم ، وتقوم مثل هذه الوسائل على استعراض القوة ، والتضخيم فى حجم القوات والإمكانات ، والإسراف فى استخدام القوة ، والهجمات التكتيكية الساحقة أو التعرضية ، وكثافة النيران ، وغيرها من الوسائل الأخرى .

ويذكر التاريخ أن خالداً بن الوليد القائد المسلم الفذ كان يعتمد على مثل هذه الأساليب ، حيث كان يحدد موقع ضرباته فى جانب العدو ، ويقوم بالهجوم الساحق ، أو التعرض لقواهم بهدف خلــق حالة من الهلع والفوضى فى صفوفهم ، وقد استخدم مثل هذا التكتيك فى معركة مؤتة ، واليرمــوك، وغيرها..

وفى بداية الحرب العالمية الثانية ، لجأ الألمان إلى استغلال أساليب تقوم على اســتعراض القــوة ، وتضخيمها ؛ بهدف خلق حالة من التوتر والفوضى فى صفوف القوات المتحالفة .

وفي هذا الصدد يقول هتلر :"إن أسلحتنا هي اضطراب الذهن ، وتناقض المــشاعر ، والحــيرة

---

(١)الحرب النفسية ــ أحمد نوفل ٨٢/١ .

(٢)علم النفس العسكري ــ عماد الزغول ص١٧٧ .

والتردد، والرعب الذي تدخله في قلوب الأعداء ؛ فعندما يتخاذلون في الداخل ، ويقفون على حافة الثورة ، وتهددهم الفوضى الاجتماعية ، عندها تحين الساعة لنفتك بهم في ضربة واحدة '' (١) .

وفي عصرنا الحاضر نجد الكيان الصهيوني يستخدم الأساليب التي تولد الرعب والخوف والفوضى ، في مجتمعنا العربي ، ويُلَوِّحُ دائماً باستخدام القوة والتهديد بالأسلحة الاستراتيجية بهدف إيجاد حالة من اليأس والقنوط في الجمهور الإسلامي ، تدفعه إلى الاستسلام ، وقبول الأمر الواقع .

كذلكَ في محاولاته للقضاء على الانتفاضة يستخدم ضد شعبنا الأعزل طائرات (أف ــ ١٦) ، والأباتشى ، والقنابل العنقودية ، ورصاص الدُمْدُم المتفجر ، وغيرها فى سبيل ترويع الشعب الفلسطيني، وصناعة حالة من التوتر والرُّعب فى صفوفه .

وكذلك أمريكا فى حربها في العراق ، وفى حربها كذلك ضد ما يسمونه بالإرهاب فى أفغانستان، فقد استخدمت مختلف صنوف الأسلحة ، والطائرات ، والقنابل ، والصواريخ ذات القوة التدميرية الهائلة والمحرَّمة دولياً ، وكذلك بهدف إرهاب الشعوب ، وتوليد حالات من الخوف والقنوط واليأس فى صفوفهم ، الأمر الذي يدفعهم إلى الخضوع والاستسلام فى تصورها ..

استخدمت كذلك حاويات ضخمة يؤدى انفجارها إلى إحداث صوت ضخم قوى يهدف إلى إحداث الصدمة ، وحالة من الرعب والهلع لدى العراقيين (٢).

رابعاً : المؤامرات واختلاق الأزمات :

إن مثل هذه الأساليب كثيراً ما استخدمتها إسرائيل ضد الدول العربية ، ومن أمثلة ذلك :

احتلال لبنان في عام ١٩٨٢م ، بحجة وجود الفدائيين الفلسطينيين الذين يقومون بشن هجمات على المستعمرات الصهيونية شمال فلسطين ، واستغلال مسألة استخدام لبنان لمياه نهر الحصباني في عام ٢٠٠٢م .

وكذا استغلال أي عملية استشهادية يقوم بها بعض أفراد المقاومة الإسلامية ذريعة لوقف المفاوضات ، وفرض شروط جديدة ، أو مسوغاً لشنِّ هجوم قوي على الشعب الفلسطيني .

كذلك فإن أمريكا في العصر الحاضر من أكثر الدول استخداماً لمثل هذه الأساليب ، ويكفي مثالاً لذلك افتعال أزمة الإرهاب بعد الهجوم الذي وقع على برجي التجارة العالمية في الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م ؛ للتدخل في شؤون دول العالم ؛ بحجة محاربة الإرهاب (٣).

---

(١)علم النفس العسكري ــ عماد الزغول ص١٨١ .

(٢)نفس المرجع ص١٨٠ ــ ١٨٢ .

(٣)نفس المرجع ص١٨٢ .

خامساً : عمليات غسيل الدماغ

تقوم عمليات غسيل الدماغ على أساس استخدام مختلف أنواع الضغوط على العدو ،ولا سيما أسرى الحرب منهم ؛ من أجل إلزامهم قسراً على الاستسلام والطاعة ، وتتضمن هذه العمليات توليد نوع من الاضطراب الانفعالي ، وعدم الاتزان العقلي ، لدى الأسرى من خلال ممارسة الضغوط الجسمية ، والنفسية ، وأشكال التعذيب المختلفة ؛ مثل التجويع ، الحرمان من الماء ، العزلة ، التضييق على الحواس ، الجَلْد ، التعذيب بالنار ، أو بالماء البارد والساخن معاً ، الشبح ، والصلب ، والاعتداء الجنسي ..إلى غير ذلك من الأساليب الأخرى .

وقد تتم عمليات غسل الدماغ أيضا من خلال أساليب الإغراء والاقناع ، متمثلاً ذلك في تقديم حجج وأفكار تبدو على أنها حقائق ؛ بهدف إقناع الأسرى بتغيير أفكارهم ومعتقداتهم ،أو من خلال تقديم الإغراءات والرشاوى ، وبعض الامتيازات ، لأولئك الأسرى ؛ فى سبيل الحصول منهم على معلومات معينة ، أو تغيير اتجاههم (١) .

المطلب الرابع

التصدي للحرب النفسية

إن للعسكرية الإسلامية مبادئَها القويةَ فى الوقاية من الحرب النفسية ، ومن هذه المبادئ :

١ــ الإيمان وقوة العقيدة ، كما فى قوله سبحانه وتعالى : **{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ .}** (٢) .

أي أن الإيمان وقوة العقيدة أعظم ركيزة لتحصين المسلمين ضد الحرب النفسية ، فالمؤمن إيماناً كاملاً لايخاف الوعيد ، ولا يُرْهِبُهُ التهديد ، بل لا يزيده التهديد والوعيد ، ومختلف أساليب الحرب النفسية ، إلا إيماناً وثباتاً واستعداداً للبذل والتضحية ، وهذا أمر يَفُتُّ فى عَضُدِ العدو (٣).

وذلك لأن أهم أهداف الحرب النفسية هو : التخويف من الموت ، والفقر ، ومن القوة الضاربة للمنتصر ، ومن محاولة جعل النصر حاسماً ؛ بالدعوة إلى الاستسلام ، وبث الإشاعات والأراجيف ، وإشاعة الاستعمار الفكري بالغزو الحضاري ، وإشاعة اليأس والقنوط ، وكل هذه الأشياء لا تؤثر فى المؤمن .

---

(١)علم النفس العسكري ــ عماد الزغول ص١٨٤ .

(٢)سورة آل عمران الآيتان ١٧٣ ــ١٧٤ .

(٣)الحرب النفسية من منظور إسلامي ــ أحمد نوفل ٢/٢١٢ .

إن المؤمن حقاً لا يخشى الموت ، ولا يخاف الفقر ، ولا يخشى قوة الأعداء مهما بلغت ، لأن الغلبة للإيمان والصبر ، و هو لا يقر بالهزيمة ؛ لأن الله معه ، ولا يصدِّق الإشاعات والأراجيف ؛ لأنه يتثبتُ من الأخبار، ويقاوم الاستعمار الفكري بالتحصن بمبادئ دينه العظيم ، ولا يقنط أبداً من نصر الله ورحمته(١) .

وبهذه الطريقة العملية السهلة يتغلب ببساطة على أي حرب نفسية ضده .

٢ــ كشف أهداف العدو وأساليبه فى الحرب النفسية :

وقد عُنِيَ القرآن الكريم أشد العناية بكشف أساليب أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين ؛ لكي يكون المسلمون واعين بها ، ومستعدين استعداداً نفسياً لمواجهتها ، وعدم الاستجابة لها ، أو التأثر بها(٢) ، ومن أمثلة ذلك :

أــ كشف محاولات التفرقة :

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ}(٣).

وجه الدلالة : إن أعداءكم يعملون دائماً على تفريقكم ، ومحاولة إضلالكم ، والإيقاع بكم، وإن تطيعوهم فإنهم لايكتفون منكم بتفريق يوهن قوتكم ، ويزيل أخوتكم ، وإنما يظلُّون يتابعون عملهم ضدكم حتى تكفروا ، وتخضعوا لهم ، وتصيروا مثلهم (٤) .

ويؤيد ذلك سبب النزول ؛ حيث مَرَّ اليهودي شاس بن قيس وهو شيخ عجوز بمجلس جمع الأوس والخزرج ، فغاظه ذلك وقال : إن هذين الحيين إذا اجتمعا فلا بقاء لنا بالمدينة ، فأرسل إليهم شاباً يهودياً ليذكرهم بما كان بينهم في الجاهلية من الحروب ، و أنشدهم شيئاً من الشعر الذي قيل فيها، فحصل التحريش بين الفريقين ، وتواعدوا الحرَّة بظاهر المدينة لإعادة الحرب جذعة ، فأدركهم النبي صلى الله عليه وسلم ، ووعظهم ، وكشف لهم مكر اليهود ، فبكوا حتى أخضلوا لحاهم ، وأقبل بعضهم إلى بعض يتعانقون ، فأنزل الله هذه الآية .

ب ــ كشف محاولات التخذيل وتثبيط العزائم .

مثال ذلك فى قوله تعالى :

{فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ ..} (٥) .

---

(١)الحرب النفسية من منظور إسلامي ــ أحمد نوفل ٢/٢١٣-٢١٥ .

(٢)نفس المرجع ٢/٢١٥ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٠ .

(٤)الاستخبارات العسكرية ــ عبد الله مناصرة ص١٧٨ .

(٥) سورة التوبة جزء الآية ٨١ .

حيث كشف محاولات المنافقين لدفع المسلمين إلى التخلي عن الرسول صلى الله عليـه وسـلم ، وعـدم الخروج معه فى غزوة تبوك ؛ بدعوى اشتداد الحر ، وأن الأفضل الانتظار حتى تنكسر حـدة الصيف والقيظ ، وحذر المسلمين من الاستجابة لهم ، وقرَّر أيضا ضرورة تطهير الجيش من أمثال هؤلاء المنافقين لشدة خطرهم عليه .

ج ــ **كشف محاولات زعزعة الثقة فى النصر** ، كما فى قوله تعالى :

{وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُـرُورًا وَإِذْ قَالَـت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا } (١).

حيث حذر من المنافقين الذين أرادوا تشكيك أهل المدينة فى وعد الله ورسوله بالنصر والفتح المبين فى غزوة الخندق ، وركَّزوا على جانب التَّوْهين ، والتخويف ، وإضعاف العزائم (٢) .

٣ــ كتمان الأسرار ووعي الأمن :

ومن توجيهات الإسلام للوقاية من الحرب النفسية ، وسد منافذها ، ألا يُعْطى غير أهل العلم من القادة والرؤساء حقَّ الحديث عن كل ما يتصل بأسرار الجيش والأمة ؛ لأن هؤلاء أدرى بما يـصلح أن يقال ، وما لا يقال ؛ فليس كل ما يُعلم يُقال ، ولا كل ما يُقال حضر أهله ، ولا كل من حضر أهله حان وقته ..

ولذلك لاَمَ القرآنُ العظيم المنافقين ،كما لام ضعفاء المسلمين ؛ لأهم كانوا يُفْشُونَ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ويذيعونه ، ويتحدثون به ، قبل أن يقفوا على حقيقته ، سواء كان هـذا الأمـر يتصل بحالة الحرب ، أم السلام والأمن ، وذلك في قوله تعالى :

{وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً} (٣).

وقد أصبح قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه معاذ بن جبل مرفوعاً :**"استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان "**(٤) ، شعاراً للمسلمين في كل ما يأتون من أعمال .

وقد نبَّه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى ضرورة اتخاذ السِّرِّيَّة في التجمع والتحرك ؛حتى لا يكون لدى العدو فرصة يجمع فيها معلومات عن الجيش الإسلامي يستخدمها ضدهم (٥).

---

(١)سورة الأحزاب الآيتان ١٢ــ ١٣ .

(٢)الحرب النفسية ــ أحمد نوفل ٢/ ٢١٦ .

(٣)سورة النساء الآية ٨٣ .

(٤)مجمع الزوائد ــ للهيثمى ١٩٥/٨ ، باب كتمان الحوائج .

(٥)الحرب النفسية ــ أحمد نوفل ٢١٧/٢ .

٤ـــ القوة النفسية ، وسرعة البديهة ، والسيطرة على الموقف ، برغم المواقف الحرجة :

مثال ذلك ما حدث مع حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عندما بعثه النبي صلى الله عليـــه وســـلم يستطلع أخبار الأحزاب في غزوة الخندق ؛ فعندما قام أبو سفيان وقال : يا معشر قريش : لِينظرْ كـــل امرئ مَنْ جليسُه ؟

أخذ حذيفة بيد الرجل الذي كان إلى جانبه ، وقال له من أنت ؟ فلان بن فلان .. وذلك ليخفي أمره عليهم .

٥ـــ مواجهة الشائعات بالحقائق الدامغة ، مثال ذلك :

عندما أشيع خبر مقتل النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد ،كان رد الرسول صلى الله عليـــه وسلم على هذه الإشاعة أن صعد فوق الجبل ليطمئن أصحابه ،ويرد إليهم الثقة في أنفسهم ،وكان عليه الصلاة والسلام ينادي : **"إليَّ يا فلان ، إلي يا فلان ، أنا رسول الله"** فأدت هذه الحقيقـــة دورهـــا الإيجابي الفعَّال في تجميع القوى المبعثرة ،وفي رد الثقة في النصر إلى المسلمين (١).

---

(١)العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية ــجمال محفوظ ص١٩٢-١٩٣.

الفصل الرابع

من صور الخداع

إن صور الخداع فى الحروب والمعارك على مدار التاريخ كثيرة جداً ، لا تكاد يحصرها عـــدد ، كما أن لها صوراً وأشكالاً متعددة على اختلاف العقول والأفهام ، ومنها الحلال ، ومنـــها الحـــرام ، وهي تتطور تبعاً لتطور العلوم التكنولوجية .

إن صور الخداع فى الحرب غالباً ما يستخدمها رجال العصابات خاصة ، فهي أساسية وضـــرورية وهامة جداً بالنسبة لهم ـــ وإن كانت تستخدم فى الحروب عامة ـــ وذلك للفارق الكبير بين الطرفين المتنازعين فى حرب العصابات فى القوة ؛ إذْ يجعل من الصعب على رجال العصابات المواجهة المباشـــرة والطويلة ، لذلك نرى أن العصابات تلجأ إلى استخدام الخِدَعِ الحربية الماكرة ، واستغلال نقاط الضعف عند العدو ، وبين تجمعاته ومنشآته ، مما يجعل العمليات العسكرية الموجهة ضد أهداف العـــدو أكثـــر شجاعة ، وأشد إيلاماً .

و قد تحدثتُ فى هذا الفصل عن بعض تلك الصور من الخداع فى ستة مباحث ؛ كالتالي :

المبحث الأول : الكمائن .

المبحث الثاني : التظاهر بالتسليم .

المبحث الثالث : ارتداء أزياء العدو وحمل شاراته .

المبحث الرابع : العميل المزدوج .

المبحث الخامس : محاولة تشتيت العدو وتفتيته .

المبحث السادس : من الوسائل المستحدثة :

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : هياكل الطائرات والدبابات والمدافع والطرود المتفجرة .

المطلب الثاني : الحصون ذات الأبواب المموهة .

المطلب الثالث : بيع السلاح الفاسد .

الطلب الرابع : الخداع الإعلامي .

المبحث الأول

الكمائن

إن الكمين خدعة جائزة فى الإسلام ، والقانون الدولي ، وليس فى الكمين غدر ؛ لأن الكمـــين فى الحرب لايكون إلا بأن يستخفي المجاهدون فى مكمن ، بحيث لا يفطن لهم ، ثم ينهضوا على العدو على حين غفلة (١) .

قال أبو بكر بن العربي : إن الخديعة المشروعة فى الحرب تكون فيمـــا تكـــون بـــالكمين يُعِـــدُّه الجيش(٢)، وقد أقر الرسول صلى الله عليه وسلم ما فعله عبد الله بن أبي حدرد (٣) وصاحباه في سريتهم لقتل رفاعة بن قيس الجشمى (٤) ؛ إذْ كمنوا له فى موضعٍ ليلاً ، وانتظروه حتى قدم آخذاً سيفه ، فَشدُّوا عليه وقتلوه ، وجاءوا برأسه (٥) .

وقد تضعضع المسلمون يوم حُنيْن حين قال بعضهم : **(لن نغلب اليوم من قلة)** ؛ بسبب كُمَناء هوازن فى شِعاب الوادي وجوانبها ، ثم شَدَّت الكتائب على المسلمين شدَّة رجـــلٍ واحـــد ، فَوَلَّـــوْا مدبرين(٦) .

فالكمين له أثره الملحوظ فى الحرب ، وبناءً على ذلك فقد قَسَمْتُ هذا المبحـــث إلى مطلـــبين : تحدثت فى الأول منهما عن أهداف الكمائن ، وفوائدها ، وعوامل نجاحها ، وأما المطلب الثاني فجعلته نماذج لتلك الكمائن ، فإلى التفصيل إن شاء الله تعالى :

---

(١)العلاقات الدولية فى الإسلام ـــ وهبة الزحيلي ص٥٧ .

(٢)فيض القدير ـــ المناوي ٤١١/٣ .

(٣) عبد الله بن أبي حدرد : هو سلامة بن عمير بن أبي سلامة أبو محمد الاسلمى له ولأبيه صحبة ، أول مشاهده الحديبيـــة ، ثم خيـــبر . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عن عمر ، وروى عنه يزيد بن عبد الله ، وأبو بكر محمد بن عمر بن حزم ، وابنه القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد شهد الجابية مع عمر ، ومات سنة إحدى وسبعين ، وله إحدى وثمانون سنة .. الاستيعاب لابن عبد البر ٩٢٣/٣ .

(٤) رفاعة بن قيس الجشمى : يقال له رفاعة بن قيس ، أو قيس بن رفاعة ، عظيم من بنى جشم نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قيسا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذا اسم فى جُشم وشرف ، قتله عبد الله بن أبي حدرد بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم . . السيرة النبوية ـــ لابن هشام ٦٢٩/٤ـــ ٦٣٠ .

(٥) سيرة ابن هشام ٦٢٩/٢ وما بعدها .

(٦) نفس المرجع ٤٤٢/٢ .

المطلب الأول

أهداف الكمائن ، وفوائدها ، وعوامل نجاحها

أـــ مفهوم الكمائن :

إن الكمائن هي ترتيب أمني غايته مفاجأة العدو ، وشَلُّ قُدْرته على المقاومة ، وهى العمود الفقري لحرب العصابات ، وأعمالها العسكرية ، وهى من عوامل نجاحها .

ب ـــ أهداف الكمائن :

للكمائن أثر كبير فى بثِّ الرعب فى قلوب الأعداء ؛فعندما يظهر الكمين يُفَاجأ العدو بذلك ، إذا ضرب الكمين العدو من الخلف أضعف معنويات أفراده ؛ وذلك أنه لا يدوم إقبال مقاتلٍ على خصمه إلا إذا كان آمناً من ورائه .

ومتى تَوقَّع أن يُؤْتى من خلفه تَشتَّتتْ هِمَّته بين الدفع والقتال ،وضعف جأْشُه عن مواجهة الرجال، والْتفتَ قلْبُه حذراً مما قد يقع ، فكيف إذا سمع جلبةً من خلفه ،أو صوتاً من ورائه ،ولو كان رجـــلاً واحداً ؟! (١).

لذلك كان من أهداف الكمائن أيضاً :-

١ـــ إيقاع القتلى ،والجرحى ، والخسائر المادية في صفوف العدو .

٢ـــ قطع الإمدادات ،والمساعدات الخارجية ،عن منطقة تمركز العدو .

٣ـــ الحصول على الأسلحة ،والمعدات ، والوثائق ، والمستندات من العدو .

٤ـــ رصد تحركات العدو ، ومعرفة طبيعة المنطقة التي تمر فيها دوريات العدو (٢).

ج ـــ عومل نجاح الكمائن :

إن من عوامل نجاح الكمين ؛ ليكون أنكى في العدو ، ما يلي :-

١ـــ عامل المفاجأة (٣) : وهو يسبب الارتباك بين صفوف العدو ، ولو لفترةٍ قصيرة ، مما يُمكِّن المقاتلين من السيطرة على الموقف ، وإحكام النيران .

٢ـــ اختيار الموقع المناسب لنصب الكمين ، فيمكن اختيار المناطق ذات الطبيعة الـــوعرة ، الـــتي يصعب على العدو التحرك فيها ، أو المنحنيات التي يضطر العدو لتخفيف الـــسرعة فيهـــا ، واختيـــار المرتفعات العالية التي تشرف على شوارع منخفضة .

٣ـــ توزيع المقاتلين بصورة جيدة ، تكفل إحكام السيطرة على أرتال العدو .

---

(١)تهذيب مشارع الأشواق ـــ صلاح الخالدى ص٣٩١ـــ٣٩٢ .

(٢) فرسان الشهادة ـــ إسلام ناصر ص١٣٣ .　　(٣)المدخل إلى العقيدة الاستراتيجية الإسلامية ـــ محمد محفوظ ص٢١٩ .

٤ـــ استخدام عمليات التمويه ؛ كالتخفى بين الصخور ، واستخدام أغصان الأشجار ، والحرص على إخفاء أي آثار ، أو أدوات ، تدل على الكمين ؛ مثل الأسلحة .

٥ـــ التغيير والتجديد فى استخدام أساليب الكمين ؛ مثل العبوات الناسفة ، والنيران الكثيفة .

٦ـــ استغلال نقاط الضعف عند العدو ؛ مثل قلة الاحتياطات الأمنية ، أو تراخى إحدى الدوريات عن باقي القافلة .

٧ـــ فى حالة الاشتباك يجب العمل على إنهائه فى أقصر وقت ممكن ، وعدم تطوره إلى مواجهة واسعة ؛ لعدم تكافؤ القوى .

٨ـــ التأكد من صلاحية الأسلحة ، والمتفجرات ، والألغام المزروعة قبل العملية مباشرة (١) .

المطلب الثاني

بعض النماذج للكمائن

أسوق هنا طائفة محدودة من نماذج الكمائن فى القديم والجديد ، زيادة فى الإيضاح ، وقد اكتفيت باثنيْن غابرين ، وثلاثة أمثلة معاصرة على النحو التالي :

١ـــ مصرع قائد الجيش الروماني عام ثلاثة عشر للهجرة :

لما رأى قائد الجيش الروماني أن القتل قد استَعَرَ فى جيشه بصورة رهيبة قرَّر اغتيال خالد بن الوليد؛ بأن طلب منه الموافقة على هدنة مؤقتة متظاهراً بأنه يرغب فى الصلح ، وإنهاء الحرب ، ولذلك فهو يطلب الاجتماع بخالد للتفاوض .

وكان فى الوقت نفسه قد نصب كميناً كلف رجاله بقتل خالد ؛ بمجرد مروره بهم إلى المكان الذي تحدد للتفاوض ، ولكن خالداً تعرف من استخباراته على كامل تفاصيل مؤامرة القائد الروماني ، فاختار عشرة من أشجع قادة جيشه ، وكلفهم بإبادة قوة الكمين المشار إليه ، واحتلال موقعهم ، فقاموا بتنفيذ المهمة بأسرع ما يمكن ، وعندما طلع الفجر فى اليوم التالي تقدَّم قائد جيش أجنادين إلى موضع الكمين وَحْده ، وتقدَّم إليه خالد حسب الاتفاق .

وهنا أمسك القائد الروماني بخالد ، ونادى قوة كمينه ، فسارعت قوة خالد إلى القائد الروماني فقتلته ، وأمرهم خالد بأن يقذفوا برأسِه فى مقدمة صفوف الجيش الروماني (٢) .

٢ـــ فتح حمص سنة سبعَ عشرةَ للهجرة .

يذكر أن المسلمين لما رأوْا مناعة المدينة ، وشدة تحصيناها ، وأنه يكاد يكون من المستحيل اقتحامها

---

(١) فرسان الشهادة ـــ إسلام ناصر ص١٣٣ ـــ ١٣٤ .

(٢) الدهاء فى الحرب ـــ العماد حسن توركمانى ص٩٧ .

عنوة ؛ لجأوا إلى الحيلة ، واستدرجوا بها الحامية الرومانية ؛ حتى خرجت بأكملها من المدينة ، فقد وضع أبو عبيدة خُطَطَه الهجومية متظاهراً بالانسحاب ؛ تاركاً المواشي والأغنام فى مؤخِّرة قواته ، وعندما ابتعد عن المدينة خرج الرومان ؛ لمطاردة جيش المسلمين ، فأسرع فرسان أبي عبيدة ، فطوَّقوا جيش حمص ، ومنعوه من الانسحاب ، أو التراجع إلى المدينة ، وبعد قتالٍ عنيف دار خارج المدينة بين الفريقين ، جنح أهل حمص إلى السلم ، وطلبوا الصلح ، فأجابهم المسلمون إلى ذلك ، فوضعت الحرب أوزارها ، ودخل المسلمون مدينة حمص ، وسيطروا عليها (١) ، ومنحوا أهلها الأمان على شروط الصلح التقليدية المعروفة (٢) .

٣ــ معركة الفلوجة الباسلة فى العراق فى العام ١٤٢٥هــ ـــ ٢٠٠٤م .

سمحت المقاومة الإسلامية العراقية فى الفلوجة للقوات الأمريكية بالدخول فى عدة مناطق داخل الفلوجة ، ثم قامت بتطويقها ؛ ليسير القتال على الطريقة التي أرادتها المقاومة ، وليس على طريقة الاحتلال الذي يستفيد من قواته الجوية ، ومدفعيته الثقيلة من خارج الفلوجة ، وقد نجحت فى تَحْيِيد سلاحه الجوى ومدفعيته الثقيلة من خلال إجباره على خوض حرب الشوارع ، بعد أن أوْهَمتْه أن الفلوجة أصبحت خالية من المقاومة ، مما أدى إلى الإثخان فى العدو الأمريكي .

فقد نصبت المقاومة الإسلامية هناك عدة كمائن للاحتلال ، وتمكَّنت من خلال استراتيجية ذكية من تقطيع أوصاله ، وإبعاد خطوطه عن بعضها البعض ، وتمكنت من إيقاع خسائر فادحة فى الأفراد والمعدات ، وأسفرت العملية عن تطهير الحي الصناعي من جهة الجنوب الشرقي بالكامل ، وكذلك طهَّرت حَيَّي النزال والشهداء .

وكانت المقاومة قد نصبت كمائنها عن طريق نَشْر قناصتها قبل قدوم قوات الاحتلال ، ولذلك أوقعت خسائر كبيرة فى جنوده الراجلة الذين أنزلتهم القوات فى ساحة الاحتفالات ؛ حيث حاصرتهم نيران قناصة المقاومة ، فيما تَمَّ تَحْيِيد الطيران من الدخول إلى أرض المعركة ، بسبب صعوبة استخدامه

---

(١)الدهاء في الحرب العماد حسن توركماني ص٩٧ ، ١٠٩ .

(٢)من شروط الصلح : الصلح إما أن يكون مؤقتاً وهو الهدنة ، أو مؤبداً وهو عقد الذمة ، ويترتب على عقد الصلح المؤقت إنهاء الحرب،وتمتع المهادنين بالأمان على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وذراريهم ؛ لأن الهدنة أو الموادعة عقد أمان أيضا ، فيجب كف الأذى عنهم حتى يتأتى ناقض للعهد منهم . وكذلك يترتب بالأولى على عقد الذمة أو الصلح الدائم إنهاء الحرب بصفة دائمة ، وأمن كل من المسلمين وغيرهم على أنفسهم وأموالهم وبلادهم وأعراضهم لثبوت العصمة بالعقد ، وتصبح ديارهم جزءا من دار الإسلام ، ويكون لهم ما لنا وعليهم ما علينا ويتركون وما يدينون ، ويدفعون الجزية مقابل عدم تكليفهم بواجبات الجهاد أو الدفاع عن البلاد .. ..العلاقات الدولية فى الإسلام ـــ د . وهبة الزحيلي ص٧٥ .

مع التحام الصفوف (١) .

٤ــ كمين فى شارع بغداد بالموصل :

قامت المقاومة الإسلامية بالعراق بتَلْغيم بَيْتٍ بالمتفجرات فى شارع بغداد بالموصل ، ثم استدرج العدو إلى هذا المكان عن طريق شَخْصٍ يتحرَّشُ بهم ، أو يطلق عليهم النار ، فجاؤْوا لتمشيط المكان ، فتَمَّ تفجيره بهم ، ولَمَّا هرعت قوات الاحتلال الأمريكي للإسعاف والنجدة ؛ قام استشهاديُ آخر بقيادة سيارة مفخخة إليهم ، مما أدى إلى زيادة الخسائر فى صفوف الأعداء (٢) .

٥ ــ الاستشهادية القسامية الأولى ريم الرياشي ٢٠٠٤/١/١٤م :

على الرغم من تحصينات العدو الصهيوني الشديد وكثرة جنوده على معبر (إيرز) إلا أن المجاهدة ريم الرياشي ــ رحمها الله ــ استطاعت وبتوفيق من الله عز وجل أن تضلل الجنود وتخترق المعبر وتوقع بهم أربعة قتلى وتصيب أكثر من عشرة آخرين من الجنود .

فقد ارتدت حزاماً ناسفاً شديد الانفجار ، كان ملتفاً على ساقها ووسطها ، وكانت تمشى على (عكازين) ، وعلى الرغم من ذلك نجحت في تخطي الجهاز الإلكتروني الذي تستخدمه قوات الاحتلال لتفتيش العمال والمسافرين عن طريق خطة ذكية للغاية ، فشلت قوات الاحتلال في اكتشافها ، فعندما وصلت إلى مركز التفتيش أخبرت الجنود الإسرائيليين بأن ساقها مكسور وبه مسامير بلاتين من شأنها أن تجعل جهاز الفحص يطلق صفارة الإنذار فاستجاب لها الجنود ، و لم يدخلوها على جهاز التفتيش ، وتم تحويلها إلى غرفة تفتيش مركزي للتأكد من خلوها من أي معدن آخر غير البلاتين .

وفور نقلها إلى هناك ، ومجيء خبراء المتفجرات لتفتيشها فجرت نفسها لتوقع أربعة قتلى وتصيب أكثر من عشرة آخرين (٣) ..

وإذا كان هذا حال امرأة متزوجة ولها ولد وبنت فما بالنا بالرجال أمثال محمد فرحات وغيره .. رحمهم الله جميعاً وأسكنهم فسيح جناته .

---

(١) مجلة جنات ع١١ص٦ شوال ١٤٢٥هـ ــ ديسمبر ٢٠٠٤م .

(٢) قناة الجزيرة ٢٠٠٤/٢/٢٩م

(٣)شذا الرياحين من سيرة واستشهاد الشيخ أحمد ياسين ــ سيد بن حسين العفاني ٦٣٩/١ .

المبحث الثاني

التظاهر بالتسليم

إن المطلع على ما كتب في وسائل الخداع يخيل إليه أن معظمها غير مشروع لمخالفته من الناحية القانونية لمعاهدة لاهاى البرية عام (١٩٠٧م) ، وكذا في الإسلام ؛ لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد توعد من أعطى الأمان لعدوه ، ولو بالإشارة ، ثم غدر ؛ أن يقتله ، فقال :

(والذي نفسي بيده ؛ لو أن أحدكم أشار بإصبعه إلى مشرك ، ثم نزل إليه على ذلك ، ثم قتله، لقتلته) (١) .

ولكن الأمر هنا مختلف ؛ فليس التظاهر بالتسليم كإعطاء الأمان ؛ لأن هناك فرقاً بين أن تقول لشخص أعطيتك الأمان ، وبين أن تتظاهر بين يديه بالانهزام .

كذلك ولو من باب المعاملة بالمثل ، فإنها تجوز حيث يقول تعالى : **{ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ..}** (٢) ، فالكفار لا يتورعون عن استخدام أي شيء ضدنا وليس عندهم أي وازع من دين أو شيء يردعهم .

والتظاهر بالتسليم كذلك يشبه فعل النبي صلى الله عليه وسلم في غزوه لبني لحيان ، حين تظاهر بالذهاب إلى الشمال مع أن المعركة إلى الجنوب ؛ حيث أظهر لهم أنه لا يريد قتالهم ..

كذلك في قوله تعالى : **{وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ .. }** (٣) ، دليل على جواز التظاهر بالتسليم ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : " بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فلقوا العدو ، فحاص الناس حيصةً (أي جالوا جولة يطلبون الفرار) فأتينا المدينة ففتحنا بابها وقلنا : يا رسول الله نحن الفرارون ، فقال : **بل أنتم العكارون** (أي الكرارون إلى الحرب والعطافون نحوها) **وأنا فيئكم** (الفئة : هي الطائفة التي تقيم وراء الجيش فإن كان عليهم خوف أو هزيمة التجاؤا إليهم) " (٤) .

فالفرار من الزحف إذا التقى الجيشان كبيرة من الكبائر يستحق صاحبها الغضب الشديد والعذاب الأليم إلا رجلاً منحرفاً من مكان إلى مكان آخر رآه اصلح في ضرب العدو ، أو أراد أن يوهم العدو

---

(١)شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ١٨/٣ .

(٢)سورة البقرة جزء الآية ١٩٤ .

(٣)سورة الأنفال جزء الآية ١٦ .

(٤)السنن الكبرى ــ البيهقي ٣٥٦/١٣ باب من تولى متحرفاً لقتال ..

أنه يفر حتى يستدره بعيداً عن صحبه ثم يكرُّ عليه فيقتله ، فتلك من خدع الحرب المحبوبة ، أو رجــلاً منتقلاً من جماعة إلى جماعة أخرى رأى أنها في حاجة إليه فيشد أزرهم ويقوي عزمهم (١) .

وبعد هذا التمهيد أنتقل بكم للحديث عن ألوان الخدع الحربية المتعلقة بالتظاهر بالتسليم ، وبيــان حكمها على الشاكلة الآتية :

من الخدع الحربية التظاهر بالتسليم خداعاً للعدو ؛ كرفع راية بيضاء على حصن ، أو قلعــة ، أو موقع ؛ لإيهام العدو بالرغبة في التسليم ، حتى إذا ما اطمأن واقترب انهالت عليه النيران ، أو أُخِذَ على حين غِرَّة (٢).

فالعدو عندما يكون قوياً متغطرساً ؛ كاليهود ، والأمريكان ، وسائر الدول الكافرة المغترة بقوتها؛ فإنها لاترقب في مؤمن إلاًّ ولا ذمَّة (٣) ، مهما عملنا معهم من سلام أو اتفاقيات ، بل يسعون دائمــاً لتدميرنا واستئصالنا ، وهم يخضعوننا دائما لإملاءاتهم وشروطهم وقوانينهم ؛ ولا يتورعون عن نقــض عهودهم ؛ كما في قوله تعالى : **{ أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ}**(٤).

وهي العهود التي بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينهم فنقضوها ؛ كفعل بني قريظة ، وبني النضير ، ودليله قوله تعالى :**{ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُــونَ }** (٥) ؛ فإنها قد نزلت في يهود المدينة .

و يتأكد جواز هذه الخدعة بل وجوبها إذا كنَّا في حالة ضعف واضطرار ؛ بحيث لو امتنعنــا عــن استخدام هذه الخدعة لاستؤصلنا و فُتِنَّا في
دينا ، وكان المجتمع الإسلامي مهدداً بالزوال ، فإذا سنحت الفرصة لاستخدام هذه الخدعة محافظةً على المجتمع المسلم ، ونِكايةً في العدو فلا نتردد في استخدامها .

وقد استخدمتها المقاومة الإسلامية في العراق ضد قوات الاحتلال الأمريكي في منطقة الخفجــة ، فأنكت نكايةً بالغةً في هذا العدو الصليبي ، و أوقعت الكثير من الخسائر في صفوف جنده .

ثم إنه إذا يجوز لنا قتلهم في الحرب ، فمن باب أولى تجوز مخادعتهم بهذه الخدعة ، والله أعلم .

---

(١) التفسير الواضح ــ محمد محمود حجازي ٦٧/٩ .

(٢) الموسوعة العسكرية ٥٥/١ .

(٣) أي : لا يراعون رحماً وقرابة أو حلفاً وعهداً ، أو أماناً وضماناً .. تفسير وبيان كلمات القران ـــ حسنين محمد مخلــوف ، بهــامش القرآن الكريم ص١٨٨ .

(٤)سورة البقرة الآية ١٠٠ .

(٥)سورة الأنفال الآية ٥٦ .

المبحث الثالث

ارتداء أزياء العدو ، وحمل شاراته

ما قيل عن جواز خدعة التظاهر بالتسليم في المبحث الثاني يمكن أن يقال هنا في جـــواز هـــذه الخدعة ؛ بارتداء أزياء العدو ، وحمل شاراته ؛ ليتسنى لنا التسلل إلى صفوفه دونما خطر ، وللتغلب عليه بسهولة ، وبأقل تكلفة .

وقد استخدم العدو الصهيوني هذه الخدعة في الدفرسوار في حرب أكتوبر (١٩٧٣م) في محاصـــرة الفرقة الثالثة من الجيش المصري مستخدمين نفس أزيائه وشاراته فيما يسمى (بعملية الغزالة) كرمـــز لحركة العبور والعودة السريعة التي تشبه قفزات الغزالة السريعة ، بعد أن اكتشفوا ثغـــرة في الجـــيش المصري بين الفرقة الثانية والثالثة عـــن طريـــق صـــور مـــن طـــائرات الاســـتطلاع الأمريكيـــة في ١٣/١٠/١٩٧٣م مستغلين قرار مجلس الأمن الدولي بوقف إطلاق النار بنيَّةٍ خبيثةٍ ؛ لرفع الحالة المعنوية لجنودهم وشعبهم ، معتمدين على حالة الاسترخاء المعنوي الذي توقعوا أن يصيب القـــوات والقيـــادة المصرية عقب وقف إطلاق النار لفترة قصيرة (١) .

كما استخدمها في الانتفاضة الأولى بكثرة ، وفي الثانية ؛ حيث كانت القوات الخاصة ، وبمساعدة الخونة والعملاء ، يَتَخَفَّوْنَ في الزيِّ المدني ، أو الزي الشعبي الفلسطيني ، أو حتى في زي النساء ، يجوبون المدن والشوارع لخطف المقاومين أو قتلهم (٢) .

وأهم شيء في هذه الخدعة لضمان نجاحها ونجاعتها هو إتقان فن التمثيل والمكياج بدقة بالغـــة ، والذكاء والفطنة وسرعة البديهة ؛ حتى يؤخذ العدو على حين غرة .

هذان الفنَّان قد يحتاج إليهما المجاهد أو الاستشهادي أيضا ، وتُعطى كل حالة احتمالاتها وتوقعاتها:

أـــ فإذا ما قام بدور مريض ؛ فعليه أن يتعرف على أعراض المرض ، ويتدرب على تمثيلـــها تمامـــاً وبإتقان ، وكذلك المكياج من تغيير اللون إلى الشاحب ، أو المائل إلى الصُفرة أو الحُمـــرة ، حـــسبما يتطلبه نوع المرض .

ب ـــ وإذا قام بتزوير بطاقة هوية ، أو تصريح لشخص ما ؛ عليه أن يتقن اسمه ودوره ويتعـــرف على بعض سلوكياته ، ومشابهته في الشكل .

ج ـــ وإذا قام بدور صحفي أن يتقن بعض أعمال الصحفي من المعرفة بالتصوير ، ومتطلباتـــه ، وكتابة التقارير وغيرها ، وأن يشبه شكل الصحفي .

---

(١)الموسوعة العسكرية ٧٠٦/١ وما بعدها .

(٢)صراع الأدمغة ـــ إسلام ناصر ص٢٤ .

ولا ننسى تلك الصحفية الفرنسية المتخفِّية التي زارت بيت أبي جهاد قبل اغتياله عـــدة مـــرات ، واختفت بعد اغتياله ، و قد كان من أفضل القادة في الثورة الفلسطينية (١) حيث شارك في عمليـــات المقاومة منذ عام ١٩٥٤م على الحدود المصرية الفلسطينية ضد الاحتلال كذلك أثناء الغزو الـــصهيوني لجنوب لبنان ، وحينما انطلقت الانتفاضة الفلسطينية كان له دور فعَّال فيها ؛ ولهذا قتلوه قبل الذهاب إلى أوسلو .

كان أبو جهاد منتسباً لجماعة الإخوان المسلمين في غزة والتي قدمت الفدائيين في حرب ١٩٤٨م باعتبار أن قضية فلسطين هي القضية الأولى ، إلا أنه قاطع هذه الحركة واتجه إلى العلمانية ، وبخاصـــة عندما تبدل موقف النظام المصري من حركة الإخوان المسلمين هناك ، في أعقاب ما عرف باسم محاولة اغتيال جمال عبد الناصر التي جرت في ميدان المنشية بالإسكندرية عام ١٩٥٤م (٢) .

د ـــ وإذا قام بدور السائح فعليه أن يحدد من أي جهة مثلاً من أوربا الشرقية ، فيتـــشبه بهـــم في اللباس ، واللون الأبيض ، وزرقة العينين ، وإجادة لغتهم .. إلى غير ذلك .

هـــ وإذا قام بدور متدين صهيوني أن يتقلدهم في الصورة أو الشكل ؛ من لبس القبعة السوداء ، والأهداب الجانبية في البدلة ، والقميص الأبيض ، والسوالف الطويلة التي يزعمون أنها مفاتيح الجنـــة ، وأن يعرف بعض أمور ديانتهم ، ولسانهم حتى لا يُكشف بسهولة ..

ومن الأمثلة المشرقة فى ذلك : بروفيسور مصري (الدكتور حسن ظاظا) الـــذي أَمَّ اليهـــود في صلاتهم بارتداء أزياء صلاتهم في كنيس يهودي بباريس وهم لا يعرفونه ؛ وذلك لإتقانه العبرية ، وثقافة اليهود الدينية ، وهو الذي كان يحقق مع الأسرى اليهود عام ١٩٧٣م ، فكانـــت معرفتـــه بديانتـــهم وعقائدهم تساعده في معرفة ما تنطوي عليه نفوسهم الخبيثة من الأسرار والمكائد أثناء التحقيق ، والتي قد تفيدنا في محاربتهم مادياً أو معنوياً (٣) .

إن أقوى ما يكون في الخطة هي أن تبدو ساذجاً مُغفَّلاً مع خصمك ، وتُظْهر له انخـــداعك بـــه ؛ حتى يتابع خطته (٤) .

---

(١)أعلام فلسطين ـــ محمد عمر حمادة ٣١/٣ وما بعدها .

(٢)أبو جهاد أسرار بداياته وأسباب اغتياله ص١٥٧ وما بعدها .

(٣)صراع الأدمغة ـــ إسلام ناصر ص٢٤ .

(٤) المنهج الحركي للسيرة النبوية ـــ منير الغضبان ص٣٤٥ .

المبحث الرابع

العميل المزدوج

من ضمن وسائل الخداع للأعداء أن يكون هناك عميل مزدوج ؛ بمعنى أن يُعْطِيَ الأعداء بعض المعلومات غير المهمة بالاتفاق مع مخابراتنا وبعلمها ؛ بهدف أن يسهل تحركه فيهم ، ويستفيد أكبر قدر من المعلومات منهم ، وهو من الأمور المباحة شرعاً ؛ بل لابد منه ؛ لأن التخطيط السليم في المعركة يتوقف على معرفة أسرار العدو ، وكشف مخططاته ، فهو عمل مشروع لحماية الدولة من الاعتداء ، والدليل على ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم استعمل العيون في الحرب ، أمثال نعيم بن مسعود(١) ، وحذيفة بن اليمان (٢) وغيرهما رضي الله عنهم ، حيث أمر نعيم بتخذيل الأحزاب، وأمرحذيفة باستطلاع أخبارهم ، فَأَخْذُ المعلومات عن العدو مبكراً دليل القوة واليقظة ، والتهيؤ والاستعداد الدائم .

ويكون الشخص في الظاهر يعمل مع الأعداء ، وفي الخفاء يكون مخلصاً لدينه ولوطنه ، ويكون الجاسوس المسلم في هذه الحالة كالمجاهد في سبيل الله ، إن مات مات شهيداً في سبيل الله .

أما من يقوم بالتجسس لحساب دولتين مختلفتين دون علمهما بذلك ، فهذا يُعَدُّ من أخطر أنواع التجسس ؛ لما في ذلك من الخيانة العظمى ، والإضرار بالناس .

وما يقوم بهذا العمل إلا من كان مُحباً للمال ، فهو يبيع الأخبار لمن يدفع له الثمن الأعلى دون الاهتمام لمصالح الناس والدولة .

وقد حذَّر عبد الحميد الكاتب (٣) في رسالته إلى أحد قواد مروان بن محمد من هذا ، فقال له :

" اعلم أن جواسيسك وعيونك ربما صدقوك ، وربما غشوك ، وربما كانوا لك وعليك ، ونصحوا لك وغشوا عدوك ، وغشوك ونصحوا عدوك ، وكثيراً ما يصدقونك ، فالجاسوس المحترف الذي يبيع الأسرار ، ويعمل لكلا الدولتين غالبا ما يكون جامد الإحساس ، بارد العاطفة، لايعترف بعقيدة ، ولا حب عنده لوطن ، وله عدة وجوه " (٤) .

---

(١)السير الكبير ــ السرخسي ١٢١/١ . (٢)تاريخ الطبري ٢٤٤/٢ سنة ٢هـ .

(٣)**عبد الحميد** بن يحيى بن سعد العامري **المعروف بالكاتب** عالم بالأدب يضرب به المثل في البلاغة ، وعنه أخذ المترسلون ، أصله من قيسارية، سكن الشام ، واختص **بمروان بن محمد** آخر ملوك بني أمية في المشرق ، ويقال :"فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد " ، له (رسائل) تقع في نحو ألف ورقة ، طبع بعضها ، وهو أول من أطال الرسائل ، واستعمل التحميدات في فصول الكتب ، ولما قوى أمر العباسيين وشعر مروان بزوال ملكه ، قال لعبد الحميد : قد احتجت أن تصير إلى عدوي ، وتظهر الغدر بي ، وإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك ستحوجهم إلى حسن الظن بك ، فأبى عبد الحميد مفارقته وبقي معه إلى أن قتلا معاً ، في (بوصير) بمصر.. الأعلام ــ خير الدين الزركلي ٢٨٩/٣-٢٩٠ . (٤)صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ــ القلقشندي ٢١٤/١٠ .

إن العملاء المزدوجين موجودون في كل زمان ومكان ، يستغلون الظروف ، ويتنقلون بحرية بين بلدين عدوين موهمين كل بلد أن البلد الآخر لا يعرف أنهم عملاء له ، وهكذا يقومون باللعب على الحبلين ، ولكن نهاية هؤلاء تكون عادة غير مضمونة ؛ بل و يحفُّها الخطر أكثر من نهاية الجاسوس العادي الذي يعمل لدولته فقط (١) .

فالواجب على المسلم أولا وأخيراً أن يكون ولاؤه لله تعالى لا لغيره ، وبعد ذلك لا مانع من أن يتجسس لحساب وطنه وأهله ، طالما أنه صادق في عمله ومهنته ، مستعمل في عمله القواعد والأصول التي رسمها له الإسلام (٢) .

وزيادة في الإيضاح حول هذه الخدعة أتحدث عن مثلين وقعا في العصر الحاضر لعميلين منفصلين ، الأول مخلص لله ولدينه ووطنه ، والثاني مخترق لبلد عربي لصالح الصهاينة ، في هذين المطلبين :

المطلب الأول

الجندي المجهول أحمد محمد عبد الرحمن

إنه مواطن مصري مسلم ، من مواليد ١٩٣٩م ، ومن سكان السويس ، سافر إلى اليونان ، وتمكن من إيجاد عمل في أثينا على متن الباخرة (أرتا) التي تتجول في موانئ أوروبا ، وقد تعرَّفت عليه فتاة جميلة ، ادعت أنها إنجليزية ، اسمها (جوجو) ، وأنها ابنة مليونير ، وأخذت تلاحقه من ميناء إلى ميناء ، وعرضت عليه ترك العمل في البحر ، وستجد له العمل المناسب ، عند ذلك بدأ يشكُّ في نواياها، ورفض عرضها قائلاً : إنه يفضل البقاء في البحر .

ثم تعرَّف عليه اثنان ، وادعيا أنهما من رجال الأعمال ، أحدهما يُدعى جاك ، والآخر أبرهام ، وحاولا التقرُّب منه ، ووجَّها الدعوة له لقضاء الليل في المدينة فوافق وهو الواثق من نفسه ، وأثناء السهرة (كررا) نفس طلب العميلة جوجو (٣) ، بضرورة ترك العمل على ظهر الباخرة ، وسيجدان له العمل المناسب ، وأخبره جاك أن والده مليونير ، و أنه سيتوسط له للعمل معه ، ويترك المركب .

وفي اليوم الثاني تظاهر جاك بأن والده وافق على أن يعمل أحمد لديهم بعد جهد كبير، وأنه سيكون (وكيلاً) لشركته في القاهرة ، وأن عمله سيكون الاستعلام عن المراكب الغارقة في قناة

---

(١)عالم الجاسوسية ودنيا الغموض والأسرار ــ أيمن أبو الروس ص١٣٨ ، التجسس وأحكامه في الشريعة ــ محمد الدغمي ص١٥٢ .

(٢)مجلة هدى الإسلام ع٤ مج٨ ص٦٧-٧٣ (تحت عنوان : قانون التجسس في الإسلام ــ عماد نجم شهاب سموم).

(٣)وقد تأكد له أنها يهودية من خلال لقائه بها ؛ لأنها كانت تدافع عن إسرائيل ، وتقول : إسرائيل تريد أن تعيش ، والعرب يريدون أن يلقوا بها في البحر .

السويس ، وحجم الغاطس ، وطول المركب وعرضه ، (هذه معلومات وهمية وبسيطة ، تستعمل لجرِّ رِجْلِ العميل ـــ كما يقول المثل ـــ ليستهين بالعمل المكلف به) ، وسلَّمه مبلغ ٥٠٠ دولار دُفعةً على الحساب ، وبطاقة الطائرة أيضا ، وعنوانهما في ألمانيا ؛ لإرسال الرسائل والبرقيـــات بعـــد اســـتقراره بالقاهرة(١) .

عاد إلى بلده مصر وهو يفكر في جاك وأبراهام ، وهو يقول في نفسه : ماذا يريدان مـــني ؟ هـــل يظنان أني بهذه السذاجة ؟! أنا ابن السويس ، يضحكان علـــي ، ويعتقـــدان أني صَـــدَّقْتهما هكـــذا ببساطة؟!، هل تخيلا لحظةً أني بلعت (الطُّعم) ؟! ، لقد قرأت كثيراً عن طرق اصطيادهم للمصريين في الخارج ، قرأت كثيراً عن أسلحتهم المعهودة ـــ المال ـــ الجنس ـــ إيجاد العمل ، واســـتثمار حـــالات الضياع ، ولكني لن أضيع ما دامت تلتصق أقدامي بأرضي الحبيبة ، ما دُمت أتذكَّر إخوتي وأصدقائي و جيراني الذين صُرعوا برصاصهم ، ما دام يتحرك في كياني عزة مصر ؛ فلن أكون لهم ، ولـــن أخـــون بلدي؛ مثل بعض ضعاف النفوس الذين انتهوا إلى حبل المشنقة .

ثم توجَّه إلى المخابرات المصرية ، وشرح لهم القصة كاملةً منذ مغادرته القاهرة حتى عودته ، وعلى إثر اجتماع ضمَّ كبار ضباط المخابرات المصرية جرت الموافقة على استمرار أحمد عبد الرحمن بتمثيـــل دور العميل ؛ حيث أرسل لهما رسائل تتضمن معلومات مدروسة ، وُضعت بإشراف المخـــابرات .. واستمرت العلاقات بينه وبين جاك وأبرهام ، ثم سافر إلى تل أبيب ، وهناك لقي ترحيباً حاراً ، وأُنزل في فِيلاًّ ضخمة في بئر السبع ، تحوي جميع متع الحياة ، وجرى تدريبه أثناء ذلك على كيفية اســـتخدام أدوات التجسس ؛ مثل التصوير السري ، وتحميض الأفلام ..

وقد وثقوا به كثيراً ، وبعد أن اطمأنوا إليه جرى تسليمه أحدث جهاز إلكتروني في العالم للإرسال والاستقبال ؛ لكي يستخدمه في إرسال المعلومات لهم ، حيث يقوم بإرسال البرقية في حـــوالي الثانيـــة الواحدة ، ولا يمكن التشويش عليه ، أو اكتشاف موجاته الإلكترونية .

وعاد إلى مصر ليقدم الجهاز الإلكتروني (هدية للمخابرات المصرية) . وقد أُبقي معه الجهـــاز ، وأعطي شقة مفروشة حسب طلب المخابرات الإسرائيلية ، واستأنف إرسال البرقيات على الجهـــاز ، وكان مجموع البرقيات التي أرسلها ٢٠٠ برقية ، اشتملت على معلومات مدروسة بدقة متناهية حتى لا تكشف المخابرات الإسرائيلية أيَّ خداع فيها ، أو أية هفوة تدعوها للشك بعميلها لحظة واحدة .

---

(١) المخابرات والعالم ـــ سعيد الجزائري ٢/١٤٩-١٥٥ .

استمرت العملية طوال ثماني سنوات دون أن يتطرق الشك ، أو تتزعزع ثقة المخابرات الإسرائيلية في العميل ، واستمرت عملية الاتصالات والسفر إلى تل أبيب ، وكانت آخر سَفْرة له بتاريخ حزيران عام ١٩٧٦م ، حيث نقل إلى المخابرات المصرية كافة المعلومات المطلوبة بدقة متناهية (١) .

عند ذلك قررت المخابرات المصرية إنهاء هذه العملية مع المخابرات الإسرائيلية ، بعد أن حققت أهدافها ، لاستحالة السير بها أكثر من ذلك ، وبعد جهد شاق وخارق للعادة بذلته المخابرات المصرية إلى جانب المواطن المصري المسلم الذي ضرب مثلًا رائعاً في الولاء والفداء والإخلاص لوطنه .

ثم أعطيت البرقية الآتية لأحمد ليرسلها على الجهاز الإلكتروني : إلى المخابرات الإسرائيلية : " من المخابرات المصرية إلى المخابرات الإسرائيلية : نشكركم على إمدادنا بالمعلومات التي كشفت لنا المزيد من عملائكم داخلياً وخارجياً على مدى ثماني سنوات ، و إلى اللقاء في معارك ذهنية أخرى .

وهكذا أُسدل الستار على معركة من حرب الدهاء ، بين المخابرات المصرية والمخابرات الإسرائيلية التي كان بطلها المواطن المصري أحمد عبد الرحمن الذي استحق إعجاب كل مصري وتكريمه ، وكل مواطن عربي مسلم كذلك .

المطلب الثاني

الخنجر المدسوس إيلي كوهين

إنه من مواليد الحي اليهودي في الإسكندرية في ١٩٢٤م ، وكان أبوه (شاؤول) ، وأمه (صوفي كوهين) ، من المهاجرين الذين جاءوا إلى مصر من حلب ، وكان أباً لثمانية أطفال ، بينهم (إيلي) ، وقد ربَّاهم جميعا تربية دينية تلمودية ، ثم بعث بأذكاهم ، وهو (إيلي) ؛ ليدرس اللغات في إحدى المدارس ، وقد أصبح بسهولة متحدثاً بطلاقة بالعبرية والفرنسية والعربية ، وتجلَّى اهتمام إيلي بالديانة اليهودية مبكراً ، فألحق بمدرسة (الميمونيين) بالقاهرة ، ثم عاد إلى الدراسات التلمودية في الإسكندرية، تحت رعاية الحاخام (موشي فيتورا) حاخام الإسكندرية .

أرسله مدير المخابرات في ذلك الوقت (أيسر هاريل) بعد أن التقى به في حيفا ، أرسله للتجسس على سوريا بعد تأهيله ؛ لكي يذهب إليها في صورة مليونير من أصل عربي عائد إلى وطنه بعد أن كوَّن ثروة طائلة في الأرجنتين ، وكان يحمل جواز سفر سوريا باسم (كامل أمين ثابت) (١) .

تعرف على الملحق العسكري السوري في (بوينس أيرس) العقيد (أمين الحافظ) ، وتوثقت الصداقة بين

---

(١)الانفجار ١٩٦٧م حرب الثلاثين سنة ـــ محمد حسنين هيكل ص٢٨٥-٢٨٨ .

الرجلين ، و تعرف أيضاً على كثيرٍ من الضباط ، والدبلوماسيين، وكبار الموظفين ، وحتى الوزراء الذين أصبحوا يثقون فيه ؛ باعتبار قربه من السلطة العليا ، ووصل الأمر إلى حد أن (إيلي كوهين) قام أكثر من مرَّة بزيارة الجبهة السورية ، ودخل أخطر تحصيناتها في الجولان ، وبعين خبيرٍ أُعِدَّ لمهمته ؛ فقد كان يعرف المعنى الحقيقي لكل شيءٍ تقع عليه عيناه .

وقد لعبت المخابرات المصرية دوراً رئيسياً في كشف (إيلي كوهين) ، وتَمَّ الاتصال بالعميد (أحمد سويداني) قائد الأمن الداخلي في سوريا ، ووُضعت أمامه كلُّ التفاصيل ، فقام بوضع (إيلي كوهين) تحت المراقبة ، واكتشف بالفعل هوائي جهاز الإرسال الذي يستعمله (إيلي كوهين) من بيته في دمشق؛ لكي يبعث برسائله إلى قيادة الموساد ، ثم استطاع في اليوم التالي مداهمة بيت (إيلي كوهين) ، والقبض عليه .

وكان الفريق (أمين الحافظ) عاجزاً عن التصديق ، حتى ذهب بنفسه للسجن العسكري ، وواجه صديقه (كامل ثابت أمين) ، و لم تستغرق المواجهة أكثر من دقيقة واحدة؛ فقد سأله الفريق (أمين الحافظ) : (من أنت ؟) ، ورد كامل أمين ثابت قائلاً : (إيلي كوهين من تل أبيب) ، وحُوكم (إيلي كوهين) ، وصدر عليه حكم الإعدام شنقاً وعلناً في ساحة المرجة ، ونفذ حكم الإعدام فعلاً ، رغم أن جهود يهود قد جندت عدداً كبيراً من السياسيين في العالم (١) ، بما فيهم بابا الفاتيكان ، ورئيس وزراء فرنسا وقتها (جورج بومبيدو) في محاولة عند الدقيقة الأخيرة لتأجيل تنفيذ حكم الإعدام في (إيلي كوهين) ، فلم تفلح .

وأعتقد أن العميل الصهيوني هذا كان ظاهرة كثيرة الأمثلة ، و لم تكن حالة يتيمة في بلاد الشام وحدها ، ولطالما تحدَّث الناس عن شبهات تحوم حول بعض الزعامات أنهم يعودون إلى أصول يهودية ، ولو من جهة الأم ، ولا غرابة في ذلك ، فما تأتَّى للصهاينة أن يُثبِّتوا أقدامهم في أرضنا المقدسة ، وأن يوسِّعوا نفوذهم تحت خداع السلام والتطبيع إلاَّ بمثل هؤلاء ، ولو كانوا من بني جلدتنا .
والله المستعان.

---

(١)الانفجار ١٩٦٧م حرب الثلاثين سنة ــ محمد حسنين هيكل ص٢٨٥-٢٨٨ .

المبحث الخامس

محاولة تشتيت العدو وتفتيته

يجب على القوة الإسلامية أن تستخدم مختلف الأساليب المبتكرة في إثارة الذعر والفـزع لـدى العدو ، ومحاولة تشتيته وتفتيته ، وأن تبتعد عن الجمود ؛ وعن استخدام أساليب متشابهة ، أو أعمـال مكررة ؛ لضمان أفضل شروط النجاح والنصر ، وحرمان العدو مـن حريـة العمـل العـسكري ، ومحاصرته، والتضييق عليه .

وهذا يتطلب من القوة الإسلامية أن تنسق التعاون بين تحركات جيوشها ، وتؤمِّن ارتباط بعـضها ببعض ، وحسن إدارة القوات وأمنها ، والتوسع الكبير في استخدام العيون (الجواسيس) ، وإِجْـراء الاستطلاع القتالي كلما دعت الضرورة لذلك .

وأن تكون القوات مرنة في تفرقها ، ثم تجمعها ، وعودها للتفرق ، وهكذا .. لتحقيق أهدافها (١) .

ويمكن أن تستخدم أسلوب الإثارة والاستفزاز للعدو بصورة موجهة بغية إثارته ، وانتظـار ردود فعله على إثارات معينة ، وتحقيق الهدف الرئيسي من تحديد توجهات الخصم الحقيقية ، وجمع المعلومات والاستفسارات عنه من خلال ذلك (٢) .

وقد عرفت أساليب الحرب التشتيتية تطوراتٍ هامةً خلال الحملات الصليبية القديمة ؛ بسبب اتساع المساحة الجغرافية لميادين القتال واتصالها ، وتشكيل جبهات تمتد من أقصى بلاد الشام في الشمال حتى مصر ، وقد ساعد ذلك على تنوع الأهداف ، مما فرض تنوع الأساليب ؛ مثل توجيـه الـضربات إلى العدو بصورة مباغتة ، ثم الانسحاب بسرعة أكبر ، مع تكرار الضربات ، إما بصورة متزامنـة (أي في وقت واحد) على مسارح متباعدة ، وإما بصورة ضربات متتالية ؛ من أجل حرمان العدو من حريـة العمل العسكري ، أو من توجيه ضربات كبيرة إلى قوتنا ، وتقسيم الحرب إلى معارك منفصلة يكـون فيها التفوق لصالحنا (٣) .

وزيادة في الإيضاح فقد قسمت هذا المبحث إلى مطلبين ، تحدثت في الأول منهما عن التشتيت ، وفي الثاني عن التفتيت :

---

(١)المذهب العسكري الإسلامي ــ بسام العسلي ص١٨٣ ، ١٨٩ ، ١٩١ .

(٢)صراع الأدمغة ــ إسلام ناصر ص٤٩ .

(٣)المذهب العسكري الإسلامي ــ بسام العسلي ص ١٩٢-١٩٦ .

المطلب الأول

التشتيت

هو أعمال قتالية هدفها تحويل أنظار الخصم عن اتجاه الجهد الرئيسي للعمليات ، أو حمله على تخفيف الضغط من جبهة إلى جبهة أخرى ، وليست المواقع الخداعية ، والمناورات الكاذبة ، والعمل على محاور ثانوية ، سوى ظواهر مختلفة للأعمال الهادفة لتضليل العدو وخداعه عن اتجاه الجهد الرئيسي للعمليات في الهجوم ، والمواقع الدفاعية القوية في مجموع تنظيم الدفاع .

وقد يكون من أهداف التشتيت استنزافُ قوات العدو المتفوقة بصورة بطيئة ، وإعداد الظروف المناسبة لتحويل المواقف لصالح القوة التي تمارس أعمال التشتيت .

وتكتسب العمليات التشتيتية أهمية خاصة في إطار الحروب التحررية ؛ إذْ إن التفوق الكبير لقوات الخصم ، وضعف إمكانات قوات المقاومة بصورة عامة ـ لاسيما في المراحل الأولى للثورة ـ هما من العوامل التي لايمكن معالجتها إلا بالأعمال التشتيتية .

وتلجأ قيادة الاستنزاف إلى استخدام الوسائل المختلفة في ممارستها للأعمال التشتيتية ؛ مثل نشر الشائعات ، وتحقيق ضربات مباغتة في أماكن غير متوقعة ، وتوجيه مجموعة من العمليات المتواقتة ، أو المرتبطة بمخطط واحد ، مما يجعل الخصم عاجزاً عن تحديد منطقة الجهد الرئيسي لأعمال المقاومة .

وتعتمد المقاومة في نجاح العمليات التشتيتية على ما يتوفر لديها من روح معنوية عالية ، ورصيد كبير في دعم الجماهير لها ، والمرونة والسرعة في العمل ، وطبيعة الأعمال القتالية التي تمارسها ، وهي ترى أن هذه العمليات عامل من عوامل تحول ميزان القوة لصالحها (١) .

المطلب الثاني

التفتيت

هو مصطلح حديث يقصد منه منع العدو من استثمار ميزة تفوُّقِه في القوى ، وذلك بإخضاعه معنوياً لظروف نفسية تجعله عاجزاً عن تقدير الموقف السليم ، واتخاذ الإجراءات الصحيحة ، وإخضاعه مادياً لظروف تجعله عاجزاً عن حشد قواته وأسلحته في اتجاه الضربة الحاسمة الموجهة إليه ، وبالتالي وضع القوات وقياداتها في شلل تام يمنعها من تقديم مقاومة حقيقية .

ويعد التفتيت (المعنوي والمادي) هدفاً من أهداف الاستراتيجية ، ذلك أن التفتيت المعنوي يحطم إرادة القتال عند العدو ، ويحمله على الخضوع دون قتال ، والاستسلام دون معركة ، وحتى إن لم

---

(١)الموسوعة العسكرية ١/٢٧٢-٢٧٣ .

يستسلم هذا العدو دون قتال ، فإنه سيكون في موقف معنوي ومادي غير متوازن مما يجعل أمر القضاء عليه في المعركة ، وإخضاعه في الحرب ، وتدمير قواته ، سهلا .

ويعتمد التفتيت المعنوي على مجموعة من المعطيات ، ومنها :

أ ـــ معرفة العدو معرفة شاملة وعميقة ، يمكن بواسطتها تحديد نقاط ضعفه ، ومراكـــز قوتـــه ، والنقاط التي يمكن استثمارها في (الحرب النفسية) الموجهة ضده ، وتقدير الموقف الخـــاص تقـــديراً صحيحاً لا مبالغة فيه ولا استهانة ، ودراسة القيادات العسكرية والسياسية والفعاليات الاقتصادية ..

ب ـــ معرفة مدى التلاحم بين القاعدة الجماهيرية وبين قياداتها ..

ج ـــ معرفة روابط العدو الوطنية منها والدولية وردود الفعل المتوقعة للعدو وحلفائه ، وما يقابل ذلك لمصلحة الطرف المقابل ، وإجراء موازنة دقيقة بينها ..

د ـــ انتقاء أفضل الوسائل ، ثم تحديد الوسيلة المناسبة ، سواء كانت سياسية أو غـــير سياســـية ، لخوض حرب تقليدية ، أو إثارة مؤامرات وفتن داخلية ، أو الخوض في معارك عصابات ..

أما التفتيت المادي فيعتمد بدوره أيضا على مجموعة من المعطيات ، منها :

أ ـــ ممارسة العمليات والمناورات بصورة مباغتة تعيق العدو عن استخدام إمكاناته ، وزج قواتـــه بصورة صحيحة تضمن له تحقيق التوازن في مسرح عمليات القتال .

ب ـــ حرمان العدو من المبادأة ؛ لوضعه أمام مواقف متجددة ، تجعله في حالة عجز عـــن اتخـــاذ القرارات الصحيحة ، أو الإجراءات المناسبة .

ج ـــ توجيه ضربات حاسمة في عدد من الاتجاهات ، مع التركيز على محور الجهـــد الرئيـــسي ، وخداع العدو عنه ، بإجراء (مناورات خداعية) (١) .. إلى غير ذلك من الإجراءات ..

إن التفتيت المعنوي متلاحم مع التفتيت المادي ، وليس بديلاً له ، بحيث لا يمكن الاعتمـــاد كليـــاً عليه، وإن نجاح التفتيت المادي ما هو إلا تتويج للجهد المبذول في تنفيذ أساليب التفتيت المعنوي .

كما أن الحصول على التفتيت المعنوي الأفضل بحاجة إلى تفتيت مادي مستمر .

---

(١) الموسوعة العسكرية ١/٢٨٧-٢٨٨

المبحث السادس

من وسائل الخداع المستحدثة

مع التقدم العلمي الهائل المرعب فى صناعة الأسلحة الفتاكة التي تستخدم في الحروب اليوم ،فـــلا تبقي ولا تذر ؛ فكَّر الخبراء والعسكريون في طرقٍ يواجهون بها هذا الدمار ، ويقللون منه ، أو يضللونه ويخدعونه ويتلافَوْنه ؛ فكان من بعض الوسائل التي اهتدَوْا إليها : استخدام الهياكل والأشكال المزيفـــة للطائرات ، والدبابات ، والمدافع ، وغيرها ..، أو الحصون المقفلة ذات الأبواب المموهة ،أو بيع السلاح الفاسد للدولة المعادية ، أو استخدام التكنولوجيا الحديثة في التجسس ،والحصول على المعلومات ، وهو المعروف بالخداع الإعلامي ، إلى غير ذلك من الوسائل .

أتحدث بإذن الله في هذا المبحث عن هذه الوسائل في أربعة مطالب مستقلة كما يلي :ـــ

المطلب الأول

هياكل الطائرات والدبابات والمدافع والطرود المتفجرة

كانت عملية التمويه في بداية استخدامها بسيطة وبدائية ، وتقوم على المحاكاة والتقليد ، وذلـــك بإعطاء المعدات العسكرية ألوانا مماثلة لألوان المحيط المجاور .

ومن الأمثلة على ذلك وضع أغصان الأشجار على جسم الإنسان ،أو طلاء الجسم بمواد معينة مماثلة لألوان الأشياء المحيطة بالبيئة ؛ من أجل تضليل العدو ؛ لذلك نلاحظ أن الجنود يرتدون بَزَّاتٍ عسكرية مشابهة للوسط الذي يكونون فيه ؛ حتى لا يفرق بينه وبين هذه البيئة ؛ فيختفـــي فيهـــا ، ولا يظهـــر للعدو،إلا في الوقت المناسب ، كذلك نرى أن بعض القواعد والمطارات العسكرية(١) أصبحت تموَّه بما يلائم طبيعة المنطقة ،وبعضها تحت الجبال ، ويورَّى على مداخلها بأشياء وهمية صعبة الاكتشاف للعدو.

ولكن مع تطور العلوم ، سرعان ما تبين أن الظلال ، وانعكاس الأضواء ، تلعب دوراً في اكتشاف الأجسام المموهة ؛ وكنتيجة لذلك أصبحت عملية التمويه من مسئولية القادة ، ورجـــال الهندســـة في الجيش ، وظهرت قاعدة جديدة في التمويه تقول :

إن التمويه الناجح يجب أن يكون خشناً وغير لَّماع ؛ لمنع حدوث انعكاس الأضواء ، وأن لايكون نافراً حتى لا يخلق ظلا كاشفاً ، وعليه جاءت الدعوة للجنود المقاتلين بالاختباء قدر المستطاع في الأشياء الطبيعية ؛ حتى لا تظهر ظلالهم ، وأن يلتزموا السكون عند ظهور الطيران .

ونتيجة للتطور العلمي والتكنولوجي ، وابتكار أجهزة الكشف الإلكتروني والحـــراري ، وغيرها ؛

---

(١) صراع الأدمغة ـــ إسلام ناصر ص ٧١ .

ازدادت الحاجة إلى عمليات التمويه ، وإخفاء الأفراد ، ومعدات القوات المسلحة ، مما نتج عنه الاستفادة من الآلات التكنولوجية ، لتطوير القدرات الحسية فى عمليات التمويه (١).

ومن الأمثلة على استخدام التمويه فى هياكل الطائرات ، والدبابات ، والمدافع ، ضد الأعداء ؛ ماكان فى حرب العراق ضد التحالف الدولي أثناء غزوه للكويت ، وقد بدأت الحرب فى ١٧/١/١٩٩١ م ، واستخدم فيها العراقيون الوسائل التالية :

١ــ فقد أقام قواعد صاروخية خشبية خادعة ، للتمويه على القواعد الحقيقية .

٢ــ وأقام كذلك طائراتٍ وهميةً ، ودبابات خادعة مصنوعة من البلاستيك تنفخ بالهواء .

٣ــ وقد موَّه كذلك على المدافع العملاقة بوضعها في الجبال وسترها بالأعشاب .

٤ــ ثم موَّه أماكن مخازن الأسلحة ، ومخابئ الجيش ؛ بوضع براميل نفط مشتعلة قريبة منها ؛ وذلك للتغطية والتمويه على الأماكن الحقيقية .

وكذلك أثناء العمليات القتالية في منطقة الخليج العربي ، وحسب ما بثَّته وكالات الأنباء فقط ، لوحظ أن ٩٠ % من الضربات التي تَمَّ توجيهها ضد القوات العراقية ، حتى نهاية الأسبوع الأول ، من قِبَل طيران قوات التحالف المتعددة الجنسيات ؛ أصابت أهدافاً كاذبة (٢) ؛ حيث كان التمويه منفَّذاً بدقة وإحكام ؛ بحيث لا يستطيع الاستطلاع البصري حتى للاختصاصيين المؤهلين من تمييز هذه الماكيتات عن النماذج الحقيقية للعتاد القتالي من مسافة تزيد على ٣٠٠م .

لقد أثبتت الفاعلية العالية للإجراءات والتدابير الموجهة نحو تضليل العدو ، والمنفذة بشكل مسبق فى زمن السلم ، جدارتها خلال سير الأعمال القتالية ، وذلك عندما استخدم العراق آلاف هياكل الدبابات والطائرات ، وقواعد إطلاق الصواريخ ، من أجل تضليل طياري القاذفات الضاربة لقوات دول التحالف (المتعددة الجنسيات) ، والحفاظ عملياً على مخزونات العتاد القتالي (٣) .

وكانت مدارج إقلاع الطائرات وهبوطها ، ومخابئها ، الأهداف الأساسية لتقليل التدمير فى القواعد الجوية ، ومن أجل ذلك استخدمت رقائق خاصة رسم عليها حفر كما لو أنها حفر ناجمة من انفجار القنابل .

ومن أجل الحفاظ على مدرجات الإقلاع والهبوط تَمَّ استخدام طبقة رقيقة من الرمال ، وفى نفس الوقت وعلى مسافة ٢٠ــ٣٠ م عن المدرج الحقيقي كان يُفْرش مدرج كاذب من الرقائق وُضع عليه

---

(١)علم النفس العسكري ــ عماد الزغول ص١٢٩-١٣٠ .

(٢)الدهاء في الحرب ــ العماد حسن توركماني ص٧٥-٧٦ .

(٣)نفس المرجع ص٢٥٩-٢٦٠ .

هياكل (ماكيتات) الطائرات بالحجم الحقيقي ، وقد قام العدو فى مرحلة لاحقة بتوجيه الضربات الجوية إليها (١) .

كذلك كانت بعض الجيوش ؛ مثل الروس في أفغانستان ، تموِّه المتفجرات الصغيرة ؛ بجعلها لُعباً مُغْرية للأطفال ،أو أقلاماً صغيرة ، أو محافظ نقود ، يضعونها في المدارس ، أو الشوارع العامة ، وأحياناً يسقطونها من الطائرات ، و بمجرد تناول الشخص لها وفتحها تنفجر فيه .

وقد استخدم هذا الأسلوب أيضا جيش الاحتلال الصهيوني سنة ١٩٥٦م ، مما أدى إلى إصابة الكثير من أبناء شعبنا بهذا العمل الحقير .

كذلك استخدمت المخابرات الصهيونية تمويه طرود متفجرة ؛ بإرسالها على شكل رسائل بريدية للذين حملوا راية الكفاح ، ورفعوا السلاح ضد المحتل ، وأشهرهم مصطفى حافظ قائد منطقة قطاع غزة ، وذلك في الستينات (٢) .

المطلب الثاني

الحصون ذات الأبواب المموهة

تهتم حكومات الدول وقياداتها بتوفير الحماية لشعبها ، خاصة عند اشتعال الحروب بينها وبين الدول الأخرى ؛ لذلك فهي تعمد لبناء الملاجئ لحماية الناس من القصف الذي قد تتعرض له المدن والأحياء الشعبية خلال الحروب ، وهي تسبب خسائر كبيرة بين الناس ، وكذلك فإنها تقيم ملاجئ عسكرية محصنة وقوية ، توفر الحماية للمنشآت ، والمعدات العسكرية والأفراد (جنوداً وقيادات) ، وكذلك ملاجئ لخزن المواد التموينية وغيرها ، وكل ملجأ منها يكون مهيأ لما أُعِدَّ له ؛ فمثلاً الملاجئ الشعبية:

أ ــ منها ما يكون تحت الأرض ، ويكون واسعاً ؛ ليتسع لأكبر عدد ممكن من الناس ، ويكون مزوداً بالمياه، ومخازن الأغذية ، والإسعافات ، ومعظم الاحتياجات التي تلزم خلال الحرب ، وتكون محصنة تحصيناً جيداً من حيث التمويه ، حيث غالباً ما تكون هذه الملاجئ تحت البنايات العالية ، أو تحت الحدائق العامة ، أو المصانع .

ب ــ ومنها ما يكون في أماكن مرتفعة ، وتكون محكمة الإغلاق لمنع تسرب الغاز الفتاك إلى غرفها ؛ وإن سبب ارتفاعها أن الغازات الكيماوية والبيولوجية تتسرب إلى المناطق السفلية ، وهذا

---

(١)الدهاء في الحرب ــ العماد حسن توركماني ص٢٦٢-٢٦٣ .

(٢)صراع الأدمغة ــ إسلام ناصر ص٧٢ .

يؤدى إلى عدم نجاعة الملاجئ الأرضية في توفير الحماية للناس ، ويجب أن يتوفر في هذه الملاجئ كمامات واقية من الغازات السامة ، وطعام وشراب .. الخ .

ج ــ كذلك هناك ملاجئ للطائرات طبيعية في الجبال ، أو صناعية ؛ لحمايتها من القصف ، وهي رابضة ؛ كما حدث للطائرات المصرية عام ١٩٦٧م ؛ حيث دُمِّرَت وهي في مطاراتها ، فَشُلَّ بذلك سلاح الطيران ، وفَشِلَ الجيش المصري في الدفاع عن سيناء والقناة . (١) .

د ــ وهناك أيضا ملاجئ للدبابات لحمايتها من القصف، مثل ملاجئ محصنة ، أو سواتر ترابية، أو مجسمات تمويهية .

هـ ــ وهناك أيضا للمنشآت العسكرية ؛ حيث يتم التمويه على هذه المنشآت ببنائها تحت الأرض ،أو في الجبال ، أو في الصحراء ، ويتم إحاطتها بسواتر ترابية لحمايتها ، أو يتم وضعها في مناطق مكتظة بالسكان ، أو في الغابات ؛ للتمويه .

إن هذه الحصون لكي تثبت نجاعتها ، وفاعليتها ، وقيمتها ، يجب أن تحاط أولاً وقبل كل شيء بالسرية التامة والتمويه ، فمثلاً يجب أن يكون المكان الذي يبنى فيه الملجأ أو الحصن غير مُلْفت للنظر ؛ كأن يكون في مكان مهجور ، أو داخل حقل ، أو منزل عادي ،أو بناية كبيرة ، أو في الجبال (٢).

كما يجب أن يكون الزمان مناسباً لعملية البناء ، وعملية إحضار المواد اللازمة ، وعملية تصريف المخلَّفات ؛ كأن يكون فى وقت الفجر ، أو القيلولة ، أو منتصف الليل ، وقد يكون العمل فى وسط النهار ، ولكن عن طريق القيام بعملية تغطية كاملة لعملية البناء ، كان يدَّعي مثلاً بناء منزل أو غيره.

كذلك يجب اختيار أفضل الجوانب لِبَاب الملجأ ، ومن المهم أن يبتعد الباب عن الأماكن المكشوفة، وأماكن تسرب المياه .

---

(١) صراع الأدمغة ــ إسلام ناصر ص١٠٦ــ١٠٨ .

(٢) نفس المرجع ص١٢١ وما بعدها .

المطلب الثالث

بيع السلاح الفاسد للعدو

كان من سياسة الدولة الإسلامية في السابق تحريم بيع السلاح للدولة الكافرة المحاربة ؛ حتى لا يختل ميزان القوى ، أو يتغير لصالح الأعداء .

وهذه السياسة تطبقها الدول الحديثة في الوقت الحاضر ؛ حيث تحتفظ لنفسها بالتكنولوجيا المتقدمة والتقنيات المتطورة في فن الحرب ، وصناعة الأسلحة ؛ كالدبابات ، والطائرات بأحدث ما وصل إليه العلم ، ووسائل الاتصال ، والرادار ، والأسلحة الكيميائية ، والذرية ، والنووية ، والهيدروجينية ، والصواريخ العابرة للقارات ، ومشروع حرب الكواكب ، والأقمار الصناعية ، وغيرها ؛ حتى لا يختل ميزان القوى بشكل حاد ، أو يهتز الاستقرار الإقليمي .

ولكن ؛ ومع التقدم العلمي ، والتجارة الرابحة لبيع الأسلحة ، وهي التي تؤثر على اقتصاد الدولة المصدرة تأثيراً إيجابياً ملحوظاً ؛ بما تُدِرُّه من الأموال الطائلة إلى خزينة الدولة ، صارت عملية بيع السلاح لا تخلو من خدعة أو تزييف من الوجوه التالية :

١ ـــ تعمدت بعض الدول أن تصدر إلى الدول المستهدفة استعمارياً ، أو عسكرياً ، سلاحاً فاسداً، أو به نسبة قليلة جداً من المتفجرات ، أو انتهت مدة صلاحيته ؛ كما كان ذلك واضحا بصورة خاصة في حرب ١٩٦٧م بين الصهاينة ومصر ، مما ساهم إسهاماً كبيراً في إلحاق الهزيمة بالجيش المصري(١) .

٢ ـــ كذلك بعد اتفاقية أوسلو عمد الاحتلال الصهيوني إلى إجراء فحوصات وتعديلات على سلاح السلطة قبل تسليمهم إياه ، من هذه التغييرات : ثني ماسورة الكلاشن ثنياً خفيفاً ؛ حتى لا تصيب الهدف بدقة أثناء التصويب ، أو نزعها واستبدالها بماسورة أخرى من الحديد المطاوع بدلاً من الفولاذ ، بحيث عندما يستعمل السلاح أكثر من مرة تُثْنى الماسورة ، أو تتشقق ؛ لأنها لا تتحمل درجة الحرارة كالفولاذ ، أو يُعدَّل السلاح بحيث لا يرمي القذيفة بعيداً كمثيله من السلاح العادي ..

وفى انتفاضة الأقصى لجأوا إلى تَشْريك الذخيرة ، بحيث تنفجر الطلقة قبل أن تخرج من المسدس ، أو الكلاشن ، أو الرشاش ، مما يؤدي إلى إتلاف قطعة السلاح ، و بَتْرِ يد المقاوم أو قتله ، أو ينفجر الصاروخ قبل إطلاقه ، فيقتل من حوله .

---

(١)مجلة الرسالة ع٣٥٧ ص١٨ (تحت عنوان : نزع سلاح المقاومة + إبعاد المجاهدين عن الساح = هزائم وجراح) .

وكانت طريقة نشر هذه الذخيرة المشرَّكة بأن أوعزوا إلى عملائهم أن يشتروا الذخيرة من السوق ، أو من عندهم ، ثم هم يقومون بتشريكها ، ثم يبيعونها مرة أخرى ، وبأسعار مغرية ، وقد أدت هـــذه الخدعة الخسيسة إلى إصابة بعض المقاومين المجاهدين ، إلا أنهم بحمد الله تنبهوا لها بـــسرعة ، وأخـــذوا حذرهم ، واكتشفوا العملاء الموزعين ..

٣ــ إن بعض الدول تقوم بتصدير السلاح بقصد التخلص مما لديها من الأجيال المتقادمـــة مـــن السلاح ، مما يفسح المجال أمام دخول أجيال أكثر تقدماً وتعقيداً إلى جيوشها .

وبعض الدول الأخرى تخضع إنتاجها العسكري لتطور تقني سريع يعجل بظاهرة تقادم المعـــدات والأسلحة ، ويقلل من العمر الاقتصادي ، بالمقارنة بالعمر الوظيفي ، ويجعل مـــن إحـــلال المعـــدات والأسلحة أمرا ضروريا (١) ، مما يكفل استمرارية اشتغال المصانع ، واســـتمرارية التـــصدير وتحـــسن الاقتصاد لتلك الدولة .

إن بعض الدول الكافرة حالياً تفتعل الأزمات بين الدول الإسلامية بعضها مع بعض ، ثم يقومـــون بتصدير الأسلحة إلى الطرفين معاً ، كما كان ذلك واضحاً في حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران ، فكانت الدولتان الكبيرتان أمريكا وروسيا تسعيان إلى (ضبط مسار الحرب) ، وليس وقفها ؛ لأنه أمر أساسي لضمان مصالحهما في تصدير الأسلحة ، وبالتالي تحقيق رغبة إسرائيل أن يبقوا شعبين محطمـــين بالحرب أفضل من احتمال انتصار أحد الطرفين ، خاصة إذا أجهز على الطرف الآخر بصورة واضحة في ميدان القتال (٢) ؛ حتى يبقيا منشغلين ببعضهما ، ولا يتفرغا لدولة الاحتلال .

---

(١)مجلة السياسة الدولية ع١٢١ ص١٨٩-٢٠٨ (السوق الدولية لتجارة السلاح ــ علاء سالم) .

(٢)مجلة النور مج٢ ع١١ ص٣٢-٣٩ (تجارة السلاح في حرب الخليج ــ الأستاذ نبيل الخانجي) .

المطلب الرابع

الخداع الإعلامي

هو استخدام إحدى وسائل الإعلام غير الرسمية لنشر خبر كاذب ، يستهدف المساهمة في خداع العدو عن نوايانا الحقيقية ، و تشتيت انتباهه نحو أهداف ثانوية أو خداعية .

ويدخل الخداع الإعلامي في إطار الخطة الخداعية العامة ، ويخدم أغراضها ، والغاية منه إعطاء تدابير الخداع المختلفة قسطاً أكبر من المصداقية .

ومن الجدير بالذكر أنه لا يحقق غرضه إذا كان مكشوفاً أكثر مما ينبغي ، أو بدا فيه الافتعال واضحاَ ، فالمهم تأمين تطابق الخداع الإعلامي مع التدابير الخداعية الأخرى ؛ لأن العدو لا يركن إلى الخبر المنشور وحده ، كما أنه لا يسقطه نهائياً ، ولكنه يسعى إلى التحقق منه بالمقارنة مع المعلومات الأخرى (تقاطع المعلومات) ، فإذا لم يجد من الدلائل والمؤشرات ما يؤكد صحته ، واكتشف زيفه ، أسقطه من حسابه (١) .

ومن الأمثلة على المكر أو الخداع الإعلامي ما يأتي :

١ــ ما نشره جيش الاحتلال الصهيوني في أحد أخباره الكاذبة أنه أمسك طفلاً صغيراً من طلبة المدارس يحمل على ظهره حقيبة مليئة بالمتفجرات بدلاً من الكتب ، وصُوِّر أمام كاميرات الإعلام على أن المقاومين الفلسطينيين أرسلوه مقابل مبلغ بسيط من المال لينتحر ، فتظهر الصورة أمام الغرب والعالم مُنَفِّرة ، وأن الفلسطينيين يبيعون أولادهم بثمن بخس دراهم معدودة .. حدث ذلك في مغتصبة رفيح يام على الحاجز .

٢ــ كذلك قصة الطفل الشهيد محمد الدرة في الإعلام الأوكراني المملوك في معظمه لرؤوس أموال يهودية ، حيث صَّور حادثة استشهاد الطفل الفلسطيني محمد الدرة عبر شاشات التلفزة الأوكرانية على أساس أن القاتل فلسطيني ، والضحية طفل يهودي ، وشاهد الملايين صورة محمد الدرة ، وعلى رأسه قلنسوة صهيونية ، في حين كان شاب فلسطيني يمطره بالرصاص (٢) .

٣ــ كذلك مما يقوم به جيش الاحتلال الأمريكي في العراق ، أنهم كانوا يمسكون بعض السكان الفارِّين من مدينة الفلوجة من القصف والدمار ، ويصوِّرونهم أمام شاشات التلفاز على أنهم متسللون عرب من خارج مدينة الفلوجة ، وقد تم اعتقالهم في أحد معسكرات الجيش الأمريكي ، وأنهم سوف يرحلون إلى معتقل غوانتانامو ، ولما رأى المواطنون العراقيون صورهم على شاشات التلفاز صُدِموا

---

(١)الموسوعة العسكرية ــ للهيثمي ورفاقه ٤٨/٢ .

(٢)مجلة جنات ع١٢ ص٣١ (تحت عنوان : المسلمون حول العالم) .

وذهلوا من مدى كذب الإدارة الأمريكية ومؤسساتها الإعلامية (١) .

٤ــ كذلك من أمثلة فن الخداع والتضليل الإعلامي : ما شاهدناه ونشاهده في فصول المسرحية المُملَّة ، والتي تسمى (عملية السلام في الشرق الأوسط) ، فهي لا تُظْهر الصراع على حقيقته الدينية ، وأنه صراع بين الإسلام ، والصهيونية التي اغتصبت وطناً كاملاً ، اسمه فلسطين ، وفيها المسجد الأقصى؛ بل تصوره على أنه صراع ثانوي : يعني قضية لاجئين ، أو اقتسام مياه ، أو ممر آمن ، وتصور أيضا المفاوضين من الطرفين ، وما بينهم من الودِّ والصداقة والاحترام ، حتى إنهم لَيبيتون معاً ، ويأكلون، ويتنزهون ، ويلعبون مع بعضهم البعض ، ويحترمون عطلة السبت سوياً ، مما يوحي لرجل الشارع العربي أن اليهود ليسوا أعداء ، بل ينبغي التعامل معهم بلطف ..

ويصورون أيضا أن المفاوضات صعبة وشاقة للغاية ، بالرغم من أن المفاوضين الفلسطينيين لا يتنازلون ولا يتهاونون ،فالقضية في أيدي أمينة ، وهم يستحقون الشكر والثناء ، إلا أن التعنُّت الإسرائيلي يجعلهم يرضَوْن بالأمر الواقع ، وما هو متاح ، إذنْ فأيُّ اتفاقٍ يخرج يُعدُّ مكسباً (٢) ..

٥ــ أيضا هناك بعض المحطات الإعلامية تستضيف أحد الرموز الإسلامية المخلصة مثلاً للتحدث حول موضوع معين ، ثم يجتزئون بعض لقطات من حديثه ، ويضعونها ضمن جزيئات صورة كلية أخرى مغايرة ، فيظهر حديثه مشوَّهاً بالصورة التي يريدون ، وكأنه يؤكد باطلهم (٣) .

٦ــ هناك أيضا ما يسمى (بدبلجة الصور) وذلك يتم من خلال تجميع أكثر من صورة معاً ، بحيث تبدو وكأنها طبيعية ، أو أشبه بالحقيقة ، وأمثال ذلك ما تفعله أجهزة المخابرات الصهيونية من دبلجة صور المستهدفين ، وجعلهم في أوضاع لا تليق بهم ، ومحاولة إسقاطهم بالتهديد بالفضيحة (٤) .

---

(١)مجلة جنات ع١٢ ص١٩ (تحت عنوان : خفايا وأسرار حرب الخداع الإعلامي) .

(٢)مجلة البيان ع١٥٤/ ٢٠٠٠ ص٤-٥ (تحت عنوان : علم النفس والسياسة وفن الخداع) .

(٣)مجلة البيان ع١٧٤،١٧٥ ص١٠٢ (تحت عنوان : نحن والمكر الإعلامي) .

(٤)صراع الأدمغة ــ إسلام ناصر ص٩٧-٩٨ .

الخاتمة

أولاً : النتائج :

بعد هذه الرحلة المضنية ــ ولكنها ممتعة ــ أخلص إلى تدوين النتائج الستِّ التالية :

١ــ إن مفهوم الخدعة في الحرب يدور حول الاحتيال والمراوغة بما يظهر حيناً من الوسائل ، ويخفى حيناً آخر ؛ لتقليل الخسائر ، وانتزاع الانتصار بغالب التقدير والظن ، وهو ما يجعل أهداف العدو تكسد وتفسد.

٢ــ إن الخدعة مشروعةٌ في الإسلام ، شهد بذلك الكتاب والسنة وأفعال الصحابة والمعقول .

٣ــ إن هذه المشروعية مشروطة بما يضمن انضباطها ، وعدم الجنوح بها إلى العدوان على حدود الله ، أو امتهان الكرامة الإنسانية ، ومن ذلك الشروط الأربعة التالية :

أ ــ وجود حالة حرب

ب ــ أن تكون لها فائدة مرجوة .

ج ــ ألا تؤدي الخدعة إلى نقض العهد أو الأمان .

د ــ ألا تؤدي إلى ارتكاب محظور .

٤ــ كما أن للخدعة المشروعة أهدافاً سامية تزيد مشروعيتها جلاءً ، ومن ذلك الأهداف الأربعة التالية:

أ ــ تضليل العدو في الحرب ، والتغلب عليه .

ب ــ تقليل الخسائر في صفوف جندنا .

ج ــ الوقوف على قوة العدو ، ومعرفة خططهم ، وأسرارهم .

د ــ إضعاف الروح المعنوية للعدو (الحرب النفسية) .

٥ ــ وللخدعة وسائل عديدة ، رصد البحث منها ستة وهي :

أ ــ الكمائن .

ب ــ التظاهر بالتسليم

ج ــ ارتداء أزياء العدو ، وحمل شاراته .

د ــ العميل المزدوج .

هـ ــ محاولة تشتيت العدو ، وتفتيته .

و ــ من الوسائل المستحدثة الصور الأربعة التالية :

١ــ هياكل الطائرات والدبابات والمدافع والطرود المتفجرة .

٢ــ الحصون ذات الأبواب المموهة .

٣ــ بيع السلاح الفاسد للعدو .

٤ــ المكر الإعلامي .

٦ــ إن الاعتماد على الحيلة والخداع يوفر الكثير من النفوس ، والأموال ، والأوقات ، والجهود؛ لأنه غالباً ما يختصر المعركة ، ويجعلنا ننتزع الغلبة بأقل الخسائر ، ويفوِّت عليهم فرصة استئصالنا وإهلاكنا .

ثانيا : التوصيات :

١ ــ أنصح أن تُدَرَّس هذه الخدع المشروعة في المدارس الثانوية و الجامعات ، بالإضافة إلى دراسة (**الحرب النفسية**) وأهميتها ، وأهدافها ، ووسائلها ، وكيفيَّة التصدي لها ؛ حتى نكون على بيِّنةٍ من أمرنا ، وعلى مستوى التحدي الكبير الذي يَجْبَهُنا ، وقد قدَّر خبراء الحروب أنها تكون غالباً أقوى أثراً من القتال بالسلاح في تحقيق هدف النصر بسرعة ، وبأقل الخسائر ، وذلك لأنها تستهدف في المقاتل عقله وتفكيره وعواطفه لتجرِّده من أثمن ما لديه ، وهي (الروح المعنوية) .

٢ ــ و أوصي كذلك بالسعي لمعرفة كل شيء عن أعدائنا : لغوياً ، ومدنياً ،واقتصادياً ، وعسكرياً ، ونفسياً، وأن نقف على أرض ثابتة من هذه المعلومات ؛ لنتبيَّن نقاط الضعف فيها ، ونغزوهم من خلالها .

٣ــ و أشدد أيضاً على ضرورة أن نعدَّ القادة الأكفاء لذلك ؛ لأنَّ براعة القائد وكفاءته من الأسباب الهامة جداً في تقليل الخسائر في صفوف الجند .

الفهارس العامة

أولاً : فهرس الآيات .

ثانياً : فهرس الأحاديث .

ثالثاً : فهرس الآثار .

رابعاً : فهرس المصادر والمراجع .

خامساً : فهرس الأعلام .

سادسا : فهرس الموضوعات .

أولاً : فهرس الآيات

الرقم	نص الآية	رقم الآية	اسم السورة	رقم الصفحة
٢٣	يخادعون الله وهو خادعهم	١٤٢	النساء	٢١
٢٤	ما ووري عنهما من سوءاهما	٢٠	الأعراف	٢٤
٢٥	فادارأتم فيها	٧٢	البقرة	٢٥
٢٦	وقال رجل من آل فرعون يكتم إيمانه	٢٨	غافر	٢٥
٢٧	بيت طائفة منهم غير الذي تقول	٨١	النساء	٢٧
٢٨	إذ يبيتون ما لا يرضى من القول	١٠٨	النساء	٢٧
٢٩	وجاءوا على قميصه بدم كذب	١٨	يوسف	٢٩
٣٠	إذ يريكهم الله في منامك قليلا	٤٣-٤٤	الأنفال	٣١
٣١	فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية	٧٠	يوسف	٣١
٣٢	أما السفينة فكانت لمساكين يعملون	٧٩	الكهف	٣١
٣٣	فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم	٨٨-٨٩	الصافات	٣٢
٣٤	وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا	٥٧	الأنبياء	٣٢
٣٥	قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم	٦٣	الأنبياء	٣٢
٣٦	قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته	٤٤	النمل	٣٢
٣٧	قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان	٤٤	النمل	٣٢
٣٨	ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين	٣٠	الأنفال	٣٧
٣٩	كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم	٨	التوبة	٣٨
٤٠	وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة	٣٦	التوبة	٤٠
٤١	وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين	٧٥	النساء	٤٢
٤٢	والذين آمنوا و لم يهاجروا مالكم من ولايتهم	٧٢-٧٣	الأنفال	٤٢
٤٣	وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم	١٩٠	البقرة	٤٣
٤٤	وإن جنحوا للسلم فاجنح لها	٦١	الأنفال	٤٣
٤٥	قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر .. صاغرون	٢٩	التوبة	**٤٣-٤٥**
٤٦	فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وانتم الأعلون	٣٥	محمد	٤٤

الرقم	نص الآية	رقم الآية	اسم السورة	رقم الصفحة
٤٧	يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم	٧٣	التوبة	٤٥
٤٨	يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار	١٢٣	التوبة	٤٥
٤٩	وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا	١٥	الإسراء	٤٦
٥٠	يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون	٢-٣	الصف	٥٢
٥١	يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود	١	المائدة	٥٢
٥٢	و أوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا	٣٤	الإسراء	٥٣
٥٣	والذين آمنوا و لم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء	٧٢	الأنفال	٥٣
٥٤	فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه	٧٧	التوبة	٥٣
٥٥	إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون	٥٥-٥٦	الأنفال	٥٣
٥٦	حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله	٢٣٨- ٢٣٩	البقرة	٥٦
٥٧	فان خفتم فرجالا أو ركبانا	٢٣٩	البقرة	٥٦
٥٨	يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام	١٨٣	البقرة	٥٧
٥٩	يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام	٩٠	المائدة	٥٩
٦٠	فاجتنبوا الرجس من الأوثان	٣٠	الحج	٥٩
٦١	ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا	٣٢	الإسراء	٦٢
٦٢	الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما	٢	النور	٦٢
٦٣	فعدة من أيام أخر	١٨٤	البقرة	٦٤
٦٤	فمن اضطر غير باغ ولا عاد	١٧٣	البقرة	٦٥
٦٥	إذ يوحي ربك إلى الملائكة اني معكم فثبتوا	١٢	الأنفال	٦٦
٦٦	لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم	١٢٨	التوبة	٧٠
٦٧	يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم	٧١	النساء	٧٢
٦٨	وإذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة	١٠٢	النساء	٧٢
٦٩	أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى	٢٢	الملك	٧٤

الرقم	نص الآية	رقم الآية	اسم السورة	رقم الصفحة
٧٠	الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله	٧٦	النساء	٧٥
٧١	قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين	٥٢	التوبة	٧٥
٧٢	فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم	٥٧-٦٠	الأنفال	٨٧
٧٣	إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم	١١	الرعد	٨٨
٧٤	منكم من يريد الدنيا	١٥٢	آل عمران	٩١
٧٥	الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم	١٧٣-١٧٤	آل عمران	٩٤
٧٦	يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب	١٠٠	آل عمران	٩٥
٧٧	فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله	٨١	التوبة	٩٥
٧٨	إذ يقول المنافقون و الذين في قلوبهم مرض	١٢-١٣	الأحزاب	٩٦
٧٩	وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به	٨٣	النساء	٩٦
٨٠	ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال	١٦	الأنفال	١٠٤
٨١	أوَ كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم	١٠٠	البقرة	١٠٥
٨٢	الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة	٥٦	الأنفال	١٠٥

ثانياً : فهرس الأحاديث

الرقم	طرف الحديث	التخريج الموجز	رقم الصفحة
٢٢	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا	خ إيمان ١٧	٤٥
٢٣	اغزوا باسم الله .. وإذا لقيت عدوك فادعه ..	م جهاد (٢-٣)	٤٥،٤٨،٤٩
٢٤	لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسال عن	ت قيامة١	٥٠
٢٥	ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام	خ إيمان ٢٤	٥٢
٢٦	أربع من كن فيه كان منافقا خالصا	خ إيمان ٢٤	٥٢
٢٧	ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة	جه رهون ٤	٥٤
٢٨	لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة	خ موادعة ٢٢	٥٤
٢٩	والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني		٥٥
٣٠	العهد الذي بيننا وبينهم ترك الصلاة	جه صلاة ٧٧	٥٦
٣١	بين الرجل والكفر ترك الصلاة	م إيمان ٣٥	٥٦
٣٢	شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر	خ جهاد ٩٨	٥٦
٣٣	بني الإسلام على خمس	خ إيمان ٢	٥٧
٣٤	عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاث : شهادة ..	هيثمي ٥٢/١	٥٨
٣٥	هل تجد ما تعتق به رقبة	م صيام ١٤	٥٨
٣٦	إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم	م صيام (١٧،١٦،١٥)	٥٩،٦٤
٣٧	شارب الخمر كعابد وثن	جه أشربة ٣	٥٩
٣٨	إن على الله عهدا لمن شرب السكر ..	م أشربة ٧	٦٠
٣٩	لعنت الخمر على عشرة اوجه	جه أشربة ٦	٦٠
٤٠	لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن	خ مظالم ٣٠	٦٢
٤١	إذا زنى العبد خرج منه الإيمان	ت إيمان ١١	٦٢
٤٢	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم	م إيمان ٤٦	٦٣
٤٣	لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن ..	جه ديات ١	٧٠
٤٣	ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك ..	جه ديات ١	٧٠
٤٤	إن من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان	جه فتن ٢	٧٣
٤٥	إذا نظرت كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة	م إمارة ٣٤	٧٧
٤٦	كم ينحرون ؟		٧٨
٤٧	بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب مسيرة ..	خ جهاد ١٢٢	٨٧

ثالثاً: فهرس الآثار

رابعاً : فهرس المصادر والمراجع

مراجع علوم القرآن والتفسير

١ـــ أحكام القران ـــ الجصاص الحنفي ت ٣٧٠هـــ / دار الكتاب العربي ـــ بيروت .

٢ـــ الأساس في التفسير ـــ سعيد حوى دار السلام للطباعـــة والنـــشر والتوزيـــع ط٢/١٤٠٩هـــــ ١٩٨٩م.

٣ـــ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ـــ فخر الدين الرازي / دار الكتب العلميـــة بـــيروت ـــ لبنـــان ط١/١٤١١هـــ ـــ ١٩٩٠م .

٤ـــ التفسير الواضح ـــ محمد محمود حجازي / دار الجيل ، ط٦/١٣٨٩هـــ ـــ١٩٦٩م .

٥ـــ الجامع لأحكام القرآن ـــ لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي ت٦٧١هـــ صححه أحمد عبـــد العليم البردوني ط١/١٣٧٢هـــ ـــ ١٩٥٢م .

٦ـــ الكشاف عن حقائق التنـــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـــ الزمخشري ـــ شرحه وضبطه وراجعه يوسف الحمادي /مكتبة مصر ـــ الفجالة .

٧ـــ تفسير الجلالين بهامش القرآن الكريم ـــ العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت٨٦٤هـــــ) والعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـــ) /دار إحياء التـــراث العـــربي ، مؤسسة التاريخ العربي بيروت – لبنان ط١/١٤٢٠هـــ ـــ ١٩٩٩م .

٨ـــ تفسير القرآن العظيم ـــ ابن كثير ت ٧٧٤هـــ دار الكتاب المصري ط١/١٤٠٨هـــ ـــ ١٩٨٨م.

٩ـــ تفسير المنار ـــ السيد محمد رشيد رضا / الهيئة المصرية العامة .

١٠ـــ تفسير وبيان كلمات القرآن الكريم ـــ للشيخ حسنين محمد مخلوف بهامش القرآن الكريم مذيلاً بأسباب النـــزول وآداب حملة القرآن وقواعد التجويد / دار الفجـــر الإســـلامي ط٥/١٤٢٢هـــــ ٢٠٠١م.

١١ـــ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـــ ابن جرير الطبري ت٣١٠ه / دار الفكر ط/١٤٠٥هـــ ـــ ١٩٨٤م .

١٢ـــ صفوة التفاسير ـــ محمد على الصابوني / دار القران الكـــريم ـــ بـــيروت ط٢/ ١٤٠١هـــــ ـــ١٩٨١م.

١٣ـــ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ـــ الشوكاني ت١٢٥٠هـــــ / دار الفكر.

١٤ـــ في ظلال القرآن ـــ سيد قطب /دار الشروق ط١٣/١٤٠٧هـــ ١٩٨٧م .

١٥ـــ الثقات ـــ محمد بن حبان البستي ت ٣٥٤هـــ /دار الفكر ط/ ١٣٩٥هـــ ـــ ١٩٧٥م تحقيـــق السيد شرف الدين أحمد .

١٦ـــ محاسن التأويل ـــ محمد جمال الدين القاسمي طبع وتصحيح وترقيم وتخريج وتعليق : محمد فؤاد عبد الباقي /دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى الحلبي البابي ـــ القاهرة .

مراجع علوم الحديث والسنة

١٧ـــ الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ٢٠٩ـــــ٢٧٩هـــــ بتحقيق وشرح أحمد شاكر / دار إحياء التراث العربي بيروت ـــ لبنان .

١٨ـــ السنن الكبرى ـــ البيهقي ت٤٥٨ هـــ بإشراف البحوث والدراسات في دار الفكر .

١٩ـــ جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ـــ ابن الاثير الجزري ٥٤٤ـــ ٦٠٦هـــ حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد القادر الأرناؤوط /مكتبة الحلواني ط/١٣٩٠هـــ ـــ ١٩٧١م .

٢٠ـــ سنن أبي داو ود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى ٢٠٢ت٢٧٥هـــ مراجعـــة وضـــبط وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد /دار إحياء التراث العربي بيروت ـــ لبنان .

٢١ـــ سنن ابن ماجة ـــ الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القز ويني (٢٠٧ـــ٢٧٥) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي / دار الفكر .

٢٢ـــ شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ـــ محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني ت١١٢٢هـــ / دار الكتب العلمية بيروت ـــ لبنان ط/١٤١١هـــ ـــ ١٩٩٠م .

٢٣ـــ صحيح البخاري ـــ الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ين إبراهيم بن بردزبة الجعفي البخاري ت٢٦٥هـــ ضبطه ورقم أحاديثه ووضع فهارسه محمد عبد القادر أحمد عطـــا /دار التقـــوى للتراث ط١/١٤٢١هـــ ـــ ٢٠٠١م .

٢٤ـــ صحيح مسلم بشرح النووي ت٦٣١هـــ ـــ ٦٧٦م / دار المنار طبعة جديـــدة /١٤٢٣هـــــ ٢٠٠٣م.

٢٥ـــ عمدة القاري شرح صحيح البخاري ـــ البدر العيني / دار الفكر ـــ بيروت .

٢٦ـــ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ـــ ابن حجر العسقلانى (٧٧٣ــــ ٨٥٢) قابـــل نـــسخه المطبوعة والمخطوطة عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، اشرف على طبعه محب الدين الخطيب / دار الفكر .

٢٧ـــ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على أَلْسِنَةِ الناس ـــ الشيخ إسماعيل بن محمد العجلونى الجراحي ت١١٦٢هـــ / دار إحياء التراث العربي ط٢/١٣٥١هـــ .

٢٨ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ــ الحافظ نور الدين على بن أبي بكر للهيثمى ت٨٠٧هــ بتحرير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر / دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان / ١٤٠٨هــ ١٩٨٨م .

٢٩ــ مسند الإمام أحمد بن حنبل ــ أبو عبد الله الشيباني (١٦٤ــ ٢٤١هــ) /مؤسسة قرطبة ــ مصر .

٣٠ــ مصنف بن أبي شيبة ــ محمد بن أبي شيبة الكوفي ١٥٩-٢٣٥هــ /مكتبة الرشد ــ الرياض ط١/ ١٤٠٩هــ تحقيق كمال يوسف الحوت .

٣١ــ مسند الشهاب ــ محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي ت٤٥٤هــ تحقيق حميدي بن عبد المجيد السلفي / مؤسسة الرسالة ــ بيروت ط٢/١٤٠٧هــ ١٩٨٦م .

٣٢ــ موطأ الإمام مالك بن أنس ــ أبو عبد الله الأصبحي (٩٣ــ ١٧٩هــ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي / دار إحياء التراث العربي ــ مصر .

مراجع اللغة

٣٣ــ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ــ إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين ــ بيروت ط٢ / ١٣٩٩هــ ١٩٧٩م .

٣٤ــ النهاية في غريب الحديث ــ ابن الأثير ٥٤٤ــ ٦٠٦هــ تحقيق محمود الطناحي / دار إحياء الكتب العربية فيصل البابي الحلبي .

٣٥ــ القاموس المحيط ــ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي / المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت ــ لبنان .

٣٦ــ تاج العروس من جواهر القاموس ــ السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ــ تحقيق عبد الكريم العزباوي / دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع .

٣٧ــ تهذيب اللغة ــ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (٢٨٢ــ٣٧٠هــ) تحقيق محمد على النجار / الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٣٨ــ كتاب العين ــ الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٠٠ــ ١٧٥هــ تحقيق د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي / منشورات الاعلمي للمطبوعات بيروت ــ لبنان .

٣٩ــ لسان العرب ــ جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ٦٣٠-٧١١هــ / دار صادر ــ بيروت .

٤٠ــ محيط المحيط ــ بطرس البستاني /مكتبة لبنان ــ بيروت ط/١٩٩٨م .

٤١ـــ مختار الصحاح ـــ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازى ، راجعها وحققها لجنة من علماء العربية / دار الكتب العلمية بيروت ـــ لبنان .

٤٢ـــ معجم ما استعجم ـــ عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد ت٤٨٧هـــ تحقيق مصطفى السقا / عالم الكتب ـــ بيروت ط٣/١٤٠٣هـــ .

٤٣ـــ معجم مقاييس اللغة ـــ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت٣٩٥هـــ بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون / دار الجيل ـــ بيروت ط١/١٤١١هـــ ١٩٩١م .

٤٤ـــ مفردات ألفاظ القرآن ـــ الراغب الأصفهاني ت في حدود ٤٢٥هـــ تحقيق عدنان داوودي /دار القلم دمشق ط٣/١٤٢٣هت ـــ ٢٠٠٢م .

مراجع فقهية

٤٥ـــ أعلام الموقعين عن رب العالمين ـــ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ت ٧٥١هـــ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد / المكتبة العصرية صيدا ـــ بيروت (١٤٠٧هـــ ـــ١٩٨٧م) .

٤٦ـــ الأحكام السلطانية ـــ أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي ت٤٥٨هـــ ـــ تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي / دار الكتب العلمية بيروت ـــ لبنان (١٤٠٣هـــ ١٩٨٣م .

٤٧ـــ الأخلاق الإسلامية وأسسها ـــ عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني / دار القلم ـــ دمشق ط٣/١٤١٣هـــ ـــ ١٩٩٢م.

٤٨ـــ الأم ـــ الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ـــ٢٠٤هـــ) / دار الغد العربي ط١/١٤٠٩هـــ ـــ١٩٨٩م .

٤٩ـــ الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية ـــ جلال الدين السيوطي ت٩١١هـــ / دار الكتب العلمية بيروت ـــ لبنان ط١/ ١٤١٣هـــ ـــ ١٩٨٣م .

٥٠ـــ التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي ـــ عبد القادر عودة /دار التراث .

٥١ـــ الجهاد والقتال في السياسة الشرعية محمد خير هيكل / دار البيارق ، توزيع دار ابن حزم ط٢/١٤١٧هـــ ـــ١٩٩٦م .

٥٢ـــ الذخيرة ـــ القرافي (شهاب الدين أحمد بن إدريس) ت(٦٨٤هـــ ـــ ١٢٨٥م) تحقيق محمد حجي / دار الغرب الإسلامي ط١/١٩٩٤م .

٥٣ـــ الفروق ـــ القرافي ، وبهامشه عمدة المحققين ، وتهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية / دار المعرفة بيروت ـــ لبنان .

٥٤ـــ الفقه الإسلامي وأدلته ـــ وهبة الزحيلي /دار الفكر ـــ دمشق ط٤/١٤٢٢هـــ ـــ٢٠٠٢م .
٥٥ـــ القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً ـــ سعدي أبو جيب / دار الفكر دمـــشق ـــ ســـورية ط٢/ ١٤٠٨هـــ ١٩٨٨م .
٥٦ـــ القاموس القويم في مصطلحات الأصوليين ـــ محمد حامد عثمان / دار الحـــديث ـــ القـــاهرة ط١/١٤١٦هـــ ١٩٩٦م .
٥٧ـــ الكبائر ـــ الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي / مكتبة الرياض الحديثة ، البطحـــاء ـــ الريـــاض تليفون ٤٠٢٧٩٩٣ـــ ٤٠٢٢٥٢٠
٥٨ـــ الموافقات في أصول الشريعة ـــ أبو إسحاق الشاطبي ، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي / المكتبة العصرية صيدا ـــ بيروت ط١/١٤٢٣هـــ ـــ ٢٠٠٢م .
٥٩ـــ الهداية شرح بداية المبتدي ـــ المرغيناني ت٥٩٣هـــ / دار الكتب العلمية بيروت ـــ لبنان ط١/ ١٤١٠هـــ ـــ ١٩٩٠م .
٦٠ـــ الوجيز في أصول الفقه ـــ عبد الكريم زيدان / مؤسسة الرسالة ـــ بيروت ط٥/١٤١٧هـــ ـــ ١٩٩٦م .
٦١ـــ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ـــ للإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاســـاني الحنفـــي الملقب بملك العلماء ت٥٨٧هـــ / دار الفكر ط١/ ١٤١٧هـــ ـــ ١٩٩٦م .
٦٢ـــ بداية المجتهد ونهاية المقتصد محمد بن احمد بن رشد القرطبي الأندلسي الشهير بابن رشد الحفيـــد ت٥٩٥هـــ / دار الفكر .
٦٣ـــ تهذيب كتاب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضل الجهاد ـــ أحمد بن إبـــراهيم بـــن النحاس الدمشقي الدمياطي ، استشهد سنة ٨١٤هـــ ، تحقيق صلاح عبد الفتاح الخالدى / دار النفائس للنشر والتوزيع ـــ الأردن ط١/١٤١٩هـــ ـــ١٩٩٩م .
٦٤ـــ حاشية رد المحتار ـــ خاتمة المحققين محمد أمين الشهير بابن عابدين على الدر المختار : شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان ، ويليه : تكملة ابن عابدين لنجل المؤلـــف / شـــركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط٢/ ١٣٨٦هـــ ـــ ١٩٦٦م .
٦٥ـــ شرح كتاب السير الكبير ـــ محمد بن الحسن الشيباني ، إملاء محمد بن أحمد السرخسي، تحقيق عبد العزيز أحمد .
٦٦ـــ فقه السنة ـــ سيد سابق / الفاتح للإعلام العربي طبعة خاصة بالمؤلف ١٤٠٩هـــ ـــ ١٩٨٨م.

٦٧ـــ قليوبى وعميرة على شرح العلامة جلال الدين المحلى على منهاج الطالبين ـــ الشيخ محيي الدين النووي، فى الفقه الشافعي /دار إحياء الكتب العربية ـــ عيسى البابى الحلبي وشركاه .
٦٨ـــ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج شرح الشيخ محمد الخطيب الشربيني على متن المنهاج للنووي / دار إحياء التراث العربي بيروت ـــ لبنان ط/١٣٥٢هـــ ـــ ١٩٣٣م .

مراجع التاريخ

٦٩ـــ الإصابة في تمييز الصحابة ـــ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٧٧٣ـــــ ٨٥٢ هـــ) تحقيق علي محمد البجاوي /دار الجيل ـــ بيروت ط١/١٤١٢هـــ ١٩٩٢م .
٧٠ـــ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ـــ خير الدين الزركلي / دار العلم للملايين ـــ بيروت ط٩ تشرين الثاني نوفمبر ١٩٩٠م .
٧١ـــ الاستيعاب ـــ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ت ٤٦٣هـــ تحقيق علي محمد البجاوي /دار الجيل ـــ بيروت ط١/١٤١٢هـــ .
٧٢ـــ الانفجار ١٩٦٧م (حرب الثلاثين سنة) ـــ محمد حسنين هيكل /مركز الأهرام للترجمة والنشر طبعة (١٤١١هـــ ـــ١٩٩٠م) .
٧٣ـــ البداية والنهاية ـــ ابن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـــ دقق أصوله وحققه أحمد أبو ملحم وثلاثـــة آخرون / دار الكتب العلمية بيروت ـــ لبنان .
٧٤ـــ الثقات ـــ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ت٣٥٤هـــ تحقيق السيد شـــرف الدين أحمد / دار الفكر ط/١٣٩٥هـــ ١٩٧٥م .
٧٥ ـــ الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ـــ حنا الفاخوري / دار الجيل .
٧٦ـــ الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية ـــ ابن هشام الفقيه المحدث أبي القاسم عبد الرحمن بـــن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي (٥٠٨ـــ٥٨١هـــ = ١١١٤ـــ ١١٨٥م) ، ومعـــه السيرة النبوية للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافرى ت٢١٣هـــ قدم له وعلق عليه وضبطه طه عبد الرءوف سعد / يطلب من مكتبة الكليات الأزهرية حسين محمد امبابى ـــ مؤسسة مختار للطباعـــة والنشر والتوزيع .
٧٧ ـــ السيرة الحلبية وهو الكتاب المسمى (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ـــ أبي الفرج نـــور الدين علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي الشافعي ت ١٠٤٤هـــ ضبطه وصححه عبد الله محمد الخليلي ـــ دار الكتب العلمية بيروت ـــ لبنان ط١/١٤٢٢هـــ ـــ ٢٠٠٢م .

٧٨ــ السيرة النبوية ــ ابن هشام ت٢١٣ أو ٢١٨هــ تحقيق مصطفى السقا وآخرون / الدار الثقافية العربية بيروت .
٧٩ــ الطبقات الكبرى ــ ابن سعد / دار صادر ــ بيروت .
٨٠ــ العقد الفريد ــ عبد ربه الأندلسي /دار الكتاب العربي بيروت ــ لبنان ط٣ .
٨١ــ المقتنى في سرد الكنى ــ شمس الدين محمد بن احمد الذهبي (٦٧٣ــ٧٤٨هــ) تحقيق محمد صالح عبد العزيز المراد / مطابع الجامعة الإسلامية ــ المدينة المنورة ١٤٠٨هــ .
٨٢ ــ المنهج الحركي للسيرة النبوية ــ منير الغضبان /كتبة المنار الأردن ــ الزرقاء ط١/١٤٠٤هــــ ــ ١٩٨٤م .
٨٣ــ الموسوعة العسكرية ــ المقدم الهيثم الأيوبي ورفاقه / المؤسسة العربيــة للدراســات والنــشر ط/١٩٨١.
٨٤ ــ بدائع السلك في طبائع الملك ــ أبو عبد الله بن الأزرق / وزارة الإعلام ــ العــراق ط١ــــ تحقيق د .علي سامي النشار .
٨٥ــ تاريخ الخلفاء ــ جلال الدين السيوطي ت٩١١هــ /دار الجيل بيروت ط٢/١٤١٥هــــ ــ ١٩٩٤م.
٨٦ــ تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك ــ أبو جعفر محمد بن جرير الطــبري ٢٢٤-٣١٠هــــ (ذخائر العرب) تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم / دار المعارف ط٦ .
٨٧ ــ تاريخ اليعقوبي ــ أحمد بن أبي يعقوب ــ الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي / دار صادر ــ بيروت .
٨٨ــ زاد المعاد في هدي خير العباد ــ ابن قيم الجوزية ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليــه شعيب الارنؤوط ، وعبد القادر الارنؤوط / مؤسسة الرسالة ، مكتبة المنار الإسلامية ط١٥/١٤٠٧هــ ١٩٨٧م .
٨٩ــ سير أعلام النبلاء ــ الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بــن عثمــان الــذهبي ت٧٤٨هــــ ١٣٧٤م/مؤسسة الرسالة بيروت ــ شارع سوريا ط٧/١٤١٠هــ ــ ١٩٩٠م .
٩٠ــ صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ــ أبو العباس أحمد بن على القلقشندي ٨٢١هــــ ١٤١٨م تصنيف وإعداد محمد قنديل البقلي ــ اشرف عليها وقدم لها سعيد عبد الفتاح عاشور/ عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت ــ القاهرة .

٩١ـــ عيون الأخبار ـــ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ت٢٧٦هـــ مطبعة دار الكتب المصرية ـــ القاهرة /١٣٤٣هـــ ـــ ١٩٢٥م .

٩٢ـــ فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ـــ غالب بن علي عواجي /دار لينة للنشر والتوزيع ط/١٤١٨هـــ ـــ١٩٩٧م .

٩٣ـــ فقه السيرة ـــ محمد سعيد رمضان البوطى ط٧/١٣٩٨هـــ ـــ ١٩٧٨م .

٩٤ـــ قاموس الحِكَم والأمثال والأقوال المأثورة ـــ سمير شيخاني / مؤسسة عز الدين للطباعة والنـــشر ط١/١٤٠٧هـــ ١٩٨٧م .

٩٥ـــ معجم البلدان ـــ ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت٦٢٦هـــ تحقيق فريد عبـــد العزيز الجندي / دار الكتب العلمية بيروت ـــ لبنان ط١/١٤٠٠هـــ-١٩٩٠م .

٩٦ـــ مقدمة ابن خلدون لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجـــم والبربـــر ومـــن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، وهو تاريخ وحيد عصره العلامة عبد الرحمن بن خلدون المغـــربي ت(٨٠٨هـــ ـــ١٤٠٦م) كتاب التحرير ١٨١ (١٣٨٦هـــ ـــ١٩٦٦م) .

٩٧ـــ موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ـــ أحمد شـــلبي / مكتبـــة النهـــضة المـــصرية ط١٩٨٤/٧م

٩٨ـــ موسوعة السياسة د. عبد الوهاب الكيالي ورفاقه ، مراجعة وتنقيح رشاد بيي ومنير حمودي /دار نعمة للطباعة .

٩٩ـــ موسوعة أمثال العربـــ إعداد د. إميل بديع يعقوب / دار الجيل بيروت ط١/ ١٤١٥هـــــ ـــ ١٩٩٥م .

الصحف والمجلات

١٠٠ـــ مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مج٣ ع٤ ص٦ (كلمة الشيخ بن باز ..) .

١٠١ـــ مجلة الرسالة ع٣٥٧ ص١٨ (نزع سلاح المقاومة + إبعاد المجاهدين عن ..)

١٠٢ـــ مجلة السياسة الدولية يوليو ١٩٩٥م ع١٢١ ص٧٩٠-٨٠٩ .

١٠٣ـــ مجلة النور مج٢ ع١١ ص٣٢-٣٩ (تجارة السلاح ..).

١٠٤ـــ مجلة جنات ع١١ ص٦ ١٤٢٥هـــ ـــ ٢٠٠٤م .

١٠٥ـــ مجلة هدى الإسلام ـــ محرم ١٤٠٦هـــ ، ع٤ مج٨ ص٦٧ .

١٠٦ـــ قناة الجزيرة ٢٠٠٤/٢/٢٩م .

١٠٧ـــ مجلة البيان ع١٥٤/٢٠٠٠ ص٤-٥ (علم النفس والسياسة وفن الخداع) .

مراجع حديثة

١٠٨ــ أبو جهاد أسرار بداياته وأسباب اغتياله ــ د. محمد حمزة تقديم د. سمير يوسف / المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ــ دار محمد علي ــ صفاقس ط١ .

١٠٩ــ آثار الحرب فى الفقه الإسلامي ــ وهبة الزحيلي ــ دار الفكر بدمشق .

١١٠ــ أعلام فلسطين ــ محمد عمر حمادة / دار قتيبة للطباعة ــ بيروت ط١/١٤١٢هـ ــ ١٩٩١م.

١١١ــ الاستخبارات العسكرية في الإسلام ــ عبد الله مناصرة /مؤسسة الرسالة ط٢/ ١٤١٢هـ ــ ١٩٩١م .

١١٢ــ التجسس وأحكامه فى الشريعة الإسلامية ــ محمد راكان الدغمى /دار السلام ط٢/ ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م .

١١٣ــ التحليل النفسي للاستخبارات ــ سمير عبده / دار الكتاب العربي .

١١٤ــ الجهاد والفدائية فى الإسلام ــ حسن أيوب /دار الندوة الجديدة بيروت ــ لبنان ط٢/١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

١١٥ــ الحرب النفسية ــ أحمد نوفل الجامعة الأردنية : كلية الشريعة /دار الفرقان للنشر والتوزيع ط١/ ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م .

١١٦ــ الحرب النفسية والشائعات ــ معتز سيد عبد الله ١٩٩٧م /دار غريب للطباعة والنشر ــ القاهرة .

١١٧ــ الدعاية السياسية وتطبيقاها قديماً وحديثاً ــ محمد منير حجاب / دار الفجر للنشر والتوزيع ط١/١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م .

١١٨ــ الدهاء في الحرب ــ العماد حسن توركمانى ، بدون دار نشر ولا سنة طباعة .

١١٩ــ العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية ــ اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ / إدارة الصحافة والنشر ــ مكة المكرمة /١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م .

١٢٠ــ العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية ــ سعيد عبد الله حارب المهيرى / مؤسسة الرسالة ط١/١٤١٦هـ ــ ١٩٩٥م .

١٢١ــ العلاقات الدولية فى الإسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث ــ وهبة الزحيلي / مؤسسة الرسالة ط٤/ ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م .

١٢٢ــ المخابرات والعالم ــ سعيد الجزائري /دار الجيل بيروت ط٥/١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م .

١٢٣ــ المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ـــ محمد جمال الدين على محفوظ، بدون طبعة.

١٢٤ــ المذهب العسكري الإسلامي ـــ بسام العسلي /دار النفائس .

١٢٥ــ المنهج الحركي للسيرة النبوية ـــ منير محمد الغضبان / مكتبة المنار ـــ الأردن ـــ الزرقاء ط١/١٤٠٤هـــ ـــ١٩٨٤م .

١٢٦ــ النظرية الإسلامية في القيادة الحربية ـــ جمال الدين محفوظ ط/١٤٠٣هـــ ـــ ١٩٨٣م .

١٢٧ــ بيع المرابحة للآمر بالشراء د. يوسف القرضاوى .

١٢٨ــ شذا الرياحين من سيرة واستشهاد الشيخ أحمد ياسين ـــ جمع وترتيب د. سيد بن حسين العفاني / مكتبة آفاق ـــ غزة ط١/١٤٢٥هـــ ـــ ٢٠٠٤م .

١٢٩ــ صراع الأدمغة ـــ إسلام ناصر ط١(١٩٩٥م) سلسلة الوعي الأمني الإسلامي (على درب حذيفة).

١٣٠ــ عالم الجاسوسية ودنيا الغموض والأسرار ـــ أيمن الحسيني أبو الروس /مكتبة ابن سينا القاهرة

١٣١ــ الإسكندرية ، الوكيل بالسعودية مكتبة الساعي /١٤١١هـــ ـــ ١٩٩١م .

١٣٢ــ عالم الجواسيس والمخابرات ـــ إعداد قسم التأليف والترجمة / دار الجديد الأردن ـــ الزرقاء ، مؤسسة الإيمان بيروت ـــ لبنان ، دار الرشيد /١٤١١هـــ ـــ ١٩٩٠م .

١٣٣ــ علم النفس العسكري ـــ عماد عبد الرحيم الزغول /دار الشروق للنشر والتوزيع ط١(٢٠٠٣م).

١٣٤ــ عمالقة الفن الأسود (أخطر الجواسيس عبر التاريخ) ـــ جمال الكاشف ـــ دار الطلائع .

١٣٥ــ فرسان الشهادة ـــ إسلام ناصر ـــ سلسلة الوعى الأمني (على درب حذيفة بن اليمان) ط١/١٩٩٤ـــ١٩٩٥م .

١٣٦ــ فن القيادة في الإسلام ـــ المقدم الركن أحمد عبد ربه مبارك بصبوص /مكتبة المنار الأردن ـــ الزرقاء ط١/١٤٠٨هـــ ـــ ١٩٨٨م .

خامساً : فهرس الأعلام

سادساً : فهرس الموضوعات

الخلاصة

هذا البحث يتناول مسألة الخداع في الحرب ، لذا فقد بدأ الفصل التمهيدي ببيان معنى الحــرب، وأسبابها ، وأنواعها ، ووسائلها .

ثم كان الفصل الأول عن مفهوم الخدعة وحكمها ، مقسماً إلى ثلاثة مباحث ؛ فكان الأول عــن تعريف الخدعة ، و الثاني حول مشروعيتها ، و الثالث في الألفاظ ذات الصلة بها ، وكان مفهومها هو الاحتيال والمراوغة بما يظهر حيناً من الوسائل، ويخفى حيناً آخر ، لتقليل الخسائر ، وانتزاع الانتصار ، بغالب التقدير والظن ، وهو ما يجعل أهداف العدو تكسد وتفسد .

ثم كان الفصل الثاني عن الشروط الأربعة لاستخدام الخدعة : من حيث وجود حالة الحرب ، وأن تكون لها فائدة مرجوة ، و عدم نقض العهد أو الأمان ، وأن لا تؤدي إلى ارتكاب محظور ، وقد وقع في أربعة مباحث .

ثم كان الفصل الثالث عن أهداف الخدعة من حيث : تضليل العدو والتغلب عليــه في الحــرب ، وتقليل الخسائر في صفوف جندنا ، والوقوف على قوة العدو ، ومعرفــة خططهــم ، وأســرارهم ، وإضعاف الروح المعنوية عندهم (الحرب النفسية) في خمسة مباحث متتالية .

ثم كان الفصل الرابع يبين بعضاً من صور الخداع : كالكمائن ، والتظاهر بالتسليم ، وارتداء أزياء العدو، وحمل شاراته ، والعميل المزدوج ، ومحاولة تشتيت العدو وتفتيته ، وكذلك بعــض الوســائل المستحدثة: كهياكل الطائرات والدبابات والمدافع والطرود المتفجرة ، والحصون ذات الأبواب المموهة، وبيع السلاح الفاسد للعدو ، والمكر الإعلامي ، وقد تناثرت في ستة مباحث مترادفة .

وفي الختام كان طائفة من نتائج البحث ، وعِدَّةٌ من التوصيات .

Abstract

This research discusses the issue of craftiness in military strategy. Therefore , the first introductory chapter has tackled the meaning of war , its reasons . types and techniques . Chapter one has explained the concept of craftiness , giving jurisprudential judgments about it . It has been divided into three sections : The first section defines craftiness, the second examines its legitimacy and the third consider some related terms . The concept of craftiness is argued to mean elusion and trickery, using different techniques to having minimal losses and seizing victory by depending on calculation and estimation to defuse the aims of the enemy . Chapter two has argued in four sections the conditions for using craftiness : the case of war , its potential usefulness, not breaching the truce (if there is any) , and avoiding unlawful acts. Chapter three has considered the aims of trickery in five sections: disillusionment of the enemies and overcoming them, having minimal losses in our troops, estimating the strength of the enemies, knowing their plans and secrets , and subduing their morale. Chapter four has examined some forms of craftiness in six sections: ambushing the enemies, feigning surrender, masquerading as the enemies, carrying their flags and symbols ,recruiting double agents, and shattering the enemies. There are also some new methods such as dummy planes, tanks and artillery, letter bomb, camouflaged gates of forts,selling fake weapons to the enemies,and using the media to gain strategic advantage and blind the enemies. The research has some useful result and recommendations.